دفتر تبليغات اسلامی حوزه علميه قم
مركز انتشارات

ابو الأسود الدؤلي

في الميزان

دكتور محمد المنصور

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٧٢٠٩

أبو الأسود الدؤلي في الميزان

دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم
مرکز انتشارات

أبو الأسود الدؤلي في الميزان

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۱۱۵۷
تاریخ ثبت :

دكتر محمد المنصور

فهرست نويسى پيش از انتشار : مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامى

المنصور، محمد، ۱۳۳۰-

ابوالاسود الدؤلي في الميزان/ محمد المنصور. ـ قم: مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر، ۱۳۷۶.

۲۲۴ص. ـ (دفتر تبليغات اسلامى حوزهٔ علميهٔ قم، مركز انتشارات؛ ۵۶۳)

كتابنامه: ص [۲۱۵]-۲۲۴، همچنين به صورت زيرنويس.

۱. ابوالاسود، دؤلى، ۱ قبل از هجرت - ۶۹ق. الف. دفتر تبليغات اسلامى حوزهٔ علميهٔ قم، مركز انتشارات. ب. عنوان.

۲الف ۸م/ ۳۱۶۸ PJA ۸۹/۹۲۷.

دفتر تبليغات اسلامى حوزه علميه قم

مركز انتشارات

ابوالأسود الدؤلي في الميزان

دكتر محمد المنصور

صفّ الحروف والنشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي

المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي

الطبعة: الأولى / ۱۴۱۸ق، ۱۳۷۶ش

الكمية: ۱۵۰۰

السعر: [redacted] تومان

حقوق الطبع محفوظة للناشر

قم، شارع شهداء (صفائية)، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

ص ب: ۹۱۷، هاتف: ۷-۷۴۲۱۵۵، فاكس: ۷۴۲۱۵۴، توزيع: ۷۴۳۴۲۶

Printed in the Islamic Republic of Iran

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم: ۵۶۳

مسلسل انتشار: ۱۰۹۴

شابک X ـ ۳۴۸ ـ ۴۲۴ ـ ۹۶۴

ISBN 964 - 424 - 348 - X

الإهداء ...

أهدي هذا السفر المتواضع إلىٰ علَم الشريعة وخاتم أولياء اللّه وحافظ بيضة الإسلام بقية اللّه الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء، الإمام المهدي، الحجة بن الحسن، صاحب العصر والزمان (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف).

راجياً منكم سيدي ومولاي قبول بضاعتي المزجاة ليوم فقري وفاقتي.

أنتم أهل الكرم والجود.

المؤلف

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس المطالب

مقدمة المؤلف ١١
مقدمة البحث ١٣
الفصل الاول ١٦
الفصل الثاني ١٧
الفصل الثالث ١٨
الفصل الرابع ١٩
الخاتمة ١٩

الفصل الاول: اثر الاسلام في الشعر الجاهلي

الباب الاول: الإسلام اثره على الحياة في عصر الرسول ﷺ وخلفائه ٢٣
تاثير الشعر بالمناهج الجديدة في صدر الاسلام ٢٧
ا) الآراء التي ترئ تاثير الاسلام علىٰ الشعر في عصر صدر الاسلام ٢٨
ب) الآراء التي تقول بانها لاأثر للإسلام علىٰ الشعر في عصر صدر الإسلام ٤٢
العوامل المكانية والزمانية ٤٨
من الرجز ٥٠
الخلاصة ٥١

الباب الثاني : اثر الاسلام علىٰ الشعر ٥٣
عصر ابي الاسود الدؤلي ، والآثار السياسية والاجتماعية في نهاية عصر صدر الاسلام ٥٥
ظهور الاحزاب والفرق الاسلامية ٥٧
الحياة السياسية وآثارها علىٰ الشعر ٦٠

الفصل الثاني : اسمه وصفاته

الباب الاول : اسمه ونسبه وكنيته ٦٥
كنيته ٧٠
مولده ٧١
قبيله بنو كنانة ٧٣
الباب الثاني : إســلامــه ٧٤
معنىٰ الشيعة ٧٦
تشيّع ابوالاسود الدؤلي ٨١
حياته في المدينة المنورة ٨٤
صلته برجال عصره ٨٦
مكانة الدؤلي في عهد الامام علي عليه السلام ٨٩
حياة ابي الاسود وعائلته ٩٦
علاقاته النسوية ٩٨
ذريّة ابي الاسود ١٠٠
الباب الثالث : ذكاء الدؤلي ١٠٣
شجاعة الدؤلي ١٠٥
ابوالاسود العالِم ١٠٧
شيوخه وتلامذته ١٠٨
ابوالاسود بين التبذير والتقتير ١٠٩
حِرف الدؤلي ١١١
آثار الدؤلي العلمية ١١٦

الفصل الثالث : المدرسة النحوية لابي الأسود الدؤلي

الباب الأول: المدرسة النحوية لابي الاسود الدؤلي ١٢٣
أصل النحو ومنشاه ١٢٤
الباب الثاني الراي الاول: الاثر السرياني ١٢٦
الراي الثاني : الأثر اليوناني ١٣٠
الراي الثالث : عربي المنشا والاصل ١٣٣
اسباب نشاة علم النحو ١٣٦
تاريخ النحو العربي ١٤١
الرواية وسندها ١٥١
الخلاصة ١٥١

الفصل الرابع : الشعر وخصائصه

الباب الأول: تـوطـئـة ١٥٥
١ـ خصائص لغة الشعر ١٥٦
٢ـ شروط النقاد في لغة الشعر ١٥٦
الالفاظ والمفردات ١٥٨
التراكيب والأساليب ١٥٩
١ـ الجمل الاعتراضية ١٦٠
٢ـ الجمل الشرطية ١٦١
٣ـ اساليب التوكيد ١٦١
٤ـ ندرة المحسنات ١٦٢
الباب الثاني : فنون الشعر ١٦٣
الحِكَمْ والنصائح ١٦٤
الهجاء ١٦٨
العتاب ١٧٣

الفخر ١٧٥
الرثاء ١٧٩
الوصف ١٨٢
الشكوىٰ والتحسّر ١٨٤
المديح ١٨٥
السياسة ١٨٨
الاعتذار ١٩٢
الشجاعة ١٩٣
القضاء ١٩٥
الباب الثالث: الصورة الشعرية عند أبي الأسود الدؤلي ١٩٦
١ـ توطئة ١٩٦
٢ـ مفهوم الصورة الشعرية ووظيفتها ١٩٧
٣ـ روافد الصورة الشعرية ١٩٨
٤ـ الصورة الشعرية في الديوان ١٩٩
الصورة ذات الاصول القرآنية ٢٠٠
الصورة ذات الاصول البدوية ٢٠١
الصورة المبتكرة من تجاربه ٢٠٢
البناء الفني للقصيدة عند الشاعر ٢٠٤
١ـ توطئة ٢٠٤
٢ـ مطلع القصيدة ٢٠٧
٣ـ بناء القصيدة الدؤلية والوحدة الفنية ٢٠٨
الدؤلي في السوق النقدي ٢١٠
رأينا في شخصية الدؤلي ٢١٢

المصادر والمراجع ٢١٥

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم والسلام علىٰ محمد وآله الطاهرين .

البحث الذي بين أيديكم يحتوي علىٰ حياة الشاعر الاسلامي ابي الأسـود الدؤلي . صوب هذا البحث في معهد الدراسات الاسلامية العالي في جامعة القاهرة لنيل شهادة الماجستير تحت إشراف العلامة الدكتور حامد حنفي داود، رئيس كلية الالسن واستاذ الادب العباسي في جامعة القاهرة .

واخترت من ذلك البحث، بعض الفصول، مع طرح وإضافة بعض المواد والمواضيع وجعلته بحثاً تحت عنوان «ابو الأسود الدؤلي في الميزان»، بعد مراجعتي لامّهات المصادر والمراجع في إظهاره إلى الوجود، لكي نكشف للقارئ الكريم الظروف التي عاشها علماؤنا الأوائل بين التهجير والاضطهاد والتسفير واستمرّوا في تبيان ونشر الدعوة الإسلامية بين الأمصار والمدن، مع التشريد والغربة والتبعيد .

المؤلف

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة البحث

هناك عناصر مهمة تحث وتحفز الباحث الأريب على اختيار بحث أدبي يتناول شاعراً أو أديباً أو كاتباً، منها: البعد الادبي الفني الذي يتمتع ويتصف به الاديب أو الشاعر الذي يُراد معرفته والبحث عن ابعاده الادبية والشعرية والفنية بالاضافة إلى بعده العقائدي وتوجّهاته السياسية والفكرية ونظرته إلى المجتمع والطرق والأساليب التي يستخدمها لإيصال المجتمع إلى مايصبو إليه ويؤمن به ويعتقده.

وقدحفل الصدر الأول للاسلام بمجموعة من الشعراء والادباء، الذين تناولتهم اقلام الباحثين والدارسين والمحققين، فاشبعوهم درساً وبحثاً ونقداً وتحليلاً، ولكنَّ شاعرنا «ظالم بن عمرو بن سفيان» المكنّىٰ بأبي الأسود لم يحظ بالاهتمام والدراسة والبحث اللائق باعتباره شاعراً وأديباً ونحوياً لايشق له غبار؛ بالإضافة الىٰ كونه من اسياد التابعين المشهورين. فأردنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة ان نسلط الاضواء علىٰ مختلف جوانب حياته الشعرية والنحوية واللغوية علىٰ قدرنا، لاعلى قدره.

مضافاً إليها، رغبتنا من وراء هذه الدراسة، إحياء التراث الادبي للصدر الأول للإسلام وكشف النقاب عن الرموز الادبية البارزة التي كان لها دور مؤثر عميق في ترسيخ دعائم الفكر الإسلامي الاصيل بين المسلمين. فإزاحة الستار عن الجوانب الابداعية في حياة أمثال هؤلاء الشعراء، واجب تقتضيه الظروف الراهنة التي تعيشها الأمة الإسلامية بما تمثله من مبدئية الفكرة ووضوحها وصدق

العبارة وكمالها. فشاعرنا لا يقل عطاءً ادبياً وشعرياً عن كثير من معاصريه ولكنه لم يلق الاهتمام اللازم واللائق به كما لقي معاصروه لسبب او آخر. فالمنهج السياسي الحاكم بعد شهادة الإمام علي عليه السلام وتسلط الامويين على مقاليد الحكم قد إتسم بالتوجه القومي العنصري، بالإضافة الى تحويل السلطة الى شكل ملكي وراثي، له الاثر البالغ على ضياع النتاجات الشعرية والادبية لشعراء الشيعة وإحجام المؤرخين ورواة الشعر والادب وكتابه عن تناقل اشعارهم خوفاً من سياط الجلادين الامويين التي لاترحم.

ومما يؤيد ماذهبنا اليه، أنّ رواة الشعر والتاريخ وكتّابه المتقدمين، عندما يذكرون شاعراً شيعياً سواء كان اثنى عشرياً اوزيدياً او كيسانياً فبالرغم من كونه المكثرين في نظم الشعر، ولكننا عندما نتصفح كتب الادب والتاريخ لانجد له سوى قصائد، او ابياتاً متناثرة بين صفحاتها، وسبب ذلك يعود الى ماذكرناه آنفاً، بالاضافة الى أن اشعارهم تتناقض فكرياً واسلوب النظام الحاكم؛ فحتى اذا لم يكن الراوية او المؤرخ من صنائع النظام فانه سوف لايروى اشعارهم خوفاً. وعلى هذا، ضاع الكثير من شعرهم ولم يبق إلاّ شذرات يسيرة بين صفحات كتب التاريخ والأدب. وهذه الاسباب بدورها تؤدي الى اهمال الباحثين والدارسين عن تناول امثال هؤلاء الشعراء بحثاً ونقداً وتحليلاً، ومما يزيد الطين بلة، اننا نجد الاسباب الآنفة الذكر للمتقدمين لاتزال قائمة الى يومنا هذا في عصر يتسم بالتحرر والابتعاد عن كل لون من الوان التعصب الاعمى والطائفية البغيضة، بعد مرور اربعة عشر قرناً؛ نجد ان مايعانيه الباحثون والدارسون في وقتنا الحاضر، عند اختيارهم لدراسةٍ او بحثٍ يدور حول شاعر شيعي في احدى جامعات القاهرة او بغداد او دمشق او اي بلد عربي آخر، هو المحاربة وعدم الالتفات او التقليل من اهمية البحث وشانه واعتباره ليست بمستوى البحوث العلمية ذات الأهمية.

وحينما وقع اختيارنا على الشاعر ابي الاسود الدؤلي، وجدنا جميع هذه العقبات ماثلة امامنا بكل ابعادها ورغم ذلك تابعنا المسيرة نحو ازاحة التراب عن هذا الطود الادبي الشامخ، رائدنا في ذلك العقيدة الحقّة والمبدئية الفكرية التي يتسم بها شاعرنا، وعند دراستنا لشعره وجدناه شعراً صادقاً في التعبير، مع جمال في التصوير سامياً في معانيه ومبانيه، مع عقيدة صادقة تتراءى من خلال حس مرهف مبتعداً عن التلون والمصانعة والنفاق السياسي والاجتماعي والادبي. فصوّر لنا المجتمع من

خلال كلماته تصويراً جميلاً بما يحمله من تناقضات وعادات وتقاليد وعصبية كانت من ابرز سمات الشخصية المسلمة التي لم تترسخ بعد في اعماقها المبادئ والمثل الاسلامية العليا، بالاضافة الى التمايز الطبقي الحاد في الجانب الاقتصادي.

وحينما وصلت الخلافة الى امير المؤمنين عليه السلام يجد الشاعر فيه المثل الأعلى والمطبق الحقيقي لمبادئ السماء على الارض، سلوكاً وعملاً وحكماً، بل يجده القرآن الناطق المتحرك بين الأمة، وهذا مانلمسه واضحاً في عقيدته وفكره من خلال مدائحه ومراثيه لوصي المصطفى علي عليه السلام فيرتسم أمامنا خطا فكرياً شيعياً واضحاً في مبانيه وصوره، صادراً عن ايمانه بخطه القويم الثابت ولذلك بقي جبلاً صلداً شامخاً يتحدى الظالمين في كل عصر ومصر. فشاعرنا لم يات بشيء جديد على القصيدة العربية وزناً او قافية او صورة، بل اعطاها صورة صادقة واضحة واسلوباً بسيطاً وفكراً خالياً من كل الوان التعصب فاحاط الشعر العربي بإطار منهجي يتوخى من وراء ذلك ابراز معالم الدين الاسلامي الحنيف بابعاده الفكرية والتربوية والسياسية والتي تنسجم ومبادئ القرآن الكريم وسيرة العترة الطاهرة عليهم السلام.

فإذا انتقلنا من شاعريته الى الجوانب الأخرى من شخصيته المتعددة المواهب، كمعرفته وتضلّعه بالحديث وعلوم القرآن نجده مورداً ثراً يرجع اليه طلاب الحديث وعلوم القرآن. اما النحو، فهو الواضع والشارح والمفسر لقواعده ومبانيه، بل هو اول من كتب في النحو وقواعده وهذا ما ذهب اليه ارباب النحو وكتّاب التاريخ والادب ويمكننا ان نعتبر هذا الامر من المسلّمات التاريخية وهناك حادثة رواها المؤرخون للاستدلال على انّ أول من كتب في النحو العربي وقواعده هو ابوالاسود الدؤلي. هذه الحادثة وقعت في الكوفة، ايام خلافة امير المؤمنين عليه السلام وهي أنّه اشكل على رجل يقرأ القرآن وحينما وصل الى قوله تعالى ﴿إنّ اللهَ بَريءٌ من المشركين ورسولِه﴾ بكسر الهاء، نقل ماسمعهُ إلى امير المؤمنين علي عليه السلام وقال: انّ القرآن يُلحَنُ فيه، فاشار عليه الامام علي عليه السلام بالقاعدة النحوية التي تعتبر أسّ النحو وهي «الكلام: اسم وفعل وحرف» ومن هذه القاعدة التي لم ينطق بها عربي من قبل، وصل الينا هذا الصرح الشامخ للنّحو وقواعده؛ فحفظت اللغة العربية والقرآن الكريم من التحريف والتخليط واللحن إلى يومنا هذا.

وتشتمل دراستنا لهذا الشاعر علىٰ تمهيد واربعة فصول وخاتمة، بالاضافة إلىٰ ذكر المصادر في نهايتها.

الفصل الاول

وفيه قسمان:

القسم الاول: اثر الاسلام فكراً وعقيدةً ومنهجاً جديداً علىٰ الشعر ومنحاه في الوصف والمدح والهجاء والرثاء والغزل وغيرها من ابواب الشعر.

فبعد ظهور الاسلام واشراق نوره، تَغَيَّر وجه الحياة في الجزيرة العربية، فقام مجتمع جديد، سادته قيماً مغايرة لما هو سائد في العصر الجاهلي وكان للقرآن الكريم أثره الواضح في هذا التغيير الفكري والاجتماعي والادبي؛ فاصبح الادب وخاصة الشعر منه، ينحو منحاً اخلاقياً ينسجم كلياً وروح الاسلام؛ فلم يرتض الاسلام للموضوعات الشعرية التي تتعارض وتعاليمه، ولذا قلَّ الهجاء المقذع الفاحش وكذلك الغزل والنسيب والمبالغة والمغالاة، وانكر علىٰ الشعراء تكسبهم بالشعر ونهىٰ عن الفخر والمنافرة.

القسم الثاني: عرضنا في هذا القسم مقدار تأثُّر الشعر بالدين الجديد في الصدر الاول للاسلام.

فالمسيرة الشعرية بعد ظهور الاسلام لم تتوقف، بل حاول الاسلام تهذيبها وازالة ماعَلِّقَ بها من شوائب وافكار لاتنسجم ومبادئه؛ فنجد الرسول الأكرم ﷺ في تعريفه للادب الملتزم ووصفه، أنَّهُ يقول: «إنَّ مِنَ الشعر لَحِكْمَةً وإنَّ مِنَ البيان لَسِحْراً» وهذا دليل واضح للشكل الذي يريده الاسلام لمباني ومعالم واطر الشعر.

وخير مثال علىٰ ذلك، قول الرسول الأعظم ﷺ في حسان بن ثابت عند هجائه للمشركين والرد عليهم: «مازِلْتَ مؤيَّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».

ولكن الرسالة الجديدة الممثلة بالقرآن الكريم وفصحاته وبلاغته وجزالته واحكامه، بهرت عقول العرب واخرستهم، بالاضافة إلىٰ انشغالهم بالفتوحات التي اثرت تاثيراً واضحاً علىٰ ابتعادهم عن رواية الشعر فخمد لهيبه، وقلت دواعي روايته ونظمه؛ فكان ظهوره بين فترات متباعدة ولكنه يَتَّسِمُ بالصدق في الوصف والمدح والرثاء والهجاء.

الفصل الثاني

وفيه قسمان:

القسم الاول: اسم الشاعر ونسبه وكنيته ومولده ووفاته مع صورة للحالة الاجتماعية السائدة في عصره.

اسمه ونسبه، فهناك خلاف فيه ولم يكن هذا الخلاف جذرياً بقدر ما هو خلاف في التقديم والتاخير، فبعضهم ذكر الاسم كاملاً والبعض الآخر اسقط منه شيئاً او اختصره اختصاراً شديداً ولكنهم لم يخرجوا عن اجماع المؤرخين.

اما كنيته «ابو الاسود»، فلم تذكر لنا كتب التاريخ انّه كان اسود اللون كما لم تذكر لنا انّ له ولداً يدعى الاسود، حتىٰ الذين هجوه لم يذكروا هذه الصفة ولم يذكروا عنها شيئاً من قريب او بعيد.

مولده ووفاته: لم تعرف السنة التي ولد فيها ابو الاسود الدؤلي ولا المكان الذي ولد فيه ولكننا نعرف أنّه من كنانة «وأنّها بطن من مضر من قحطان وانّ ديارهم تقع في جهات مكة» وهذا ماذكره القلقشندي في نهاية الارب، اما وفاته فهناك اقوال: منها انّه توفي في سنة تسع وستين للهجرة (٦٩هـ) وهو ماذكره ابن خلكان في وفيات الاعيان وقيل إنّه توفي في سنة سبع وستين للهجرة (٦٧هـ) وهو ماذكره السيوطي في بغية الوعاة وكذلك وافقه علىٰ هذا التاريخ ابن الجزري في طبقات القراء والقفطي في إثبات الرواة وجمال الدين الاتابكي في النجوم الزاهرة.

والبعض ـ وهم القلة ـ ذكروا انّه توفي سنة تسع وتسعين للهجرة (٩٩هـ) وهذا ماذكره صاحب الاغاني ابو الفرج الاصبهاني.

وأصحّ هذه الروايات ماذكروه من انّه تُوفيّ سنة تسع وستين للهجرة وانّه عاش خمساً وثمانين سنة وعلىٰ هذا، تكون ولادته في السنة السادسة عشرة قبل الهجرة النبوية الشريفة.

القسم الثاني: عرضنا فيه العلاقة بين الشاعر وخلفاء صدر الاسلام والعصر الأموي والتقلبات السياسية والاجتماعية التي مرّ بها كما أشرنا إلىٰ بعض صفاته كالذكاء والشجاعة والعلم وقدرته على ادارة دفّة الولاية والقضاء.

لقد ذكر المؤرخون انّ ولادته قبل الهجرة النبوية الشريفة بستة عشر عاماً واختلفوا حول صحبته للرسول الاكرم ﷺ وذهب آخرون إلىٰ أنّه لم يكن صحابياً بل تابعي؛ فذهب ابوالفرج الاصبهاني في أغانيه إلىٰ انه صحابياً شهد بدراً مع المسلمين؛ ولكن اغلب الروايات المنقولة عن غيره، أنّه أسلم في أواخر حياة الرسول ﷺ ولم يره.

فبقي مغموراً لم تسلط عليه الأضواء ولم يشع صيته في دنيا الادب والعلم الىٰ حين خلافة عمر بن الخطّاب، فقد هاجر في زمنه إلىٰ البصرة وسكن بها وبنىٰ له مسجداً خاصاً باسمه ولم يُعرفْ سبب هجرته إلىٰ البصرة سوىٰ ماذكره بعض المؤرخين من انّه هاجر إليها مع من هاجر لِاسباب قد تكون مادية او علمية أو دينية.

اما علاقته بالخلفاء الذين عاصروه، فقد تولّىٰ ابو الاسود الدؤلي مناصب عدة؛ فقد ذكر ابن حجر العسقلاني في الأصابة في تمييز الصحابة، والبغدادي في خزانته من انّ عمر أرسله إلىٰ البصرة واستعمله عليها وقيل أنّه أرسل إليها ليعلّم اهلها الاعراب وهذا ما ذكره القفطي في إنباه الرواة وذكر صاحب الإصابة انّ عثمان بن عفان قد استعمله ايضاً علىٰ البصرة.

وهذه الروايات في تولي ابي الاسود الدؤلي للولاية او التعليم من قبل عمر وعثمان، قابلة للنقاش من الناحية التاريخية وهناك ادلّة تدلُّ علىٰ خلاف ذلك.

ولم ينعم ابو الاسود الدؤلي برخاء وشهرة كما نعم بها في عهد الإمام علي عليه السلام، والحقيقة انّ حياته لم تعرف إلاّ في ظل هذا الامام العادل وحكمه وقد وصل في عهده الىٰ اسمىٰ المراكز وارفعها، فقد تولىٰ القضاء في البصرة وكان الوسيط في حرب الجمل بين الإمام علي ـ عليه السلام ـ وعائشة وطلحة والزبير وذكر صاحب الاغاني انّ اباالاسود الدؤلي كان علىٰ رأس الجيش الذي أرسله ابن عباس لقتال الخوارج في البصرة بالاضافة إلىٰ كونه من حواري أمير المؤمنين عليه السلام ومن أصحاب الراي المعتد به لدىٰ الإمام عليه السلام ولهذا بقي مخلصاً ومتشيّعاً له ومن المتحققين بمحبته ومحبة أهل بيته.

الفصل الثالث

مدرسته النحوية ومادار حولها من دراسات وتحليلات وآراء من قبل أهل اللغة والأدب، وكذلك تعرّضْنا في هذا الفصل إلىٰ فنون واغراض شعره، كالوصف والمدح والرثاء والهجاء والحكمة

ووضعتُ جدولاً بيّنتُ فيه ما نسب له من شعر وكذلك مانسب من شعره لغيره وفي الحقيقة هو له.

لقد ذهب جُلُّ المؤرخون ـ إنْ لم نقل كلهم ـ وخصوصاً مورخو الادب والنحو إلىٰ انَّ النحو العربي، عربي النشأة أصيل الطبع، بعيداً كل البعد عن التاثر بالقواعد اليونانية والسريانية وغيرهما من اللغات المجاورة وانَّ الشخص الذي فتح باب النحو علىٰ مصراعيه للغة العربية هو ابوالاسود الدؤلي وإليك مجموعة من الروايات التي تثبت وتؤيد ماذهب اليه مجموعة من المؤرخين وكتاب الادب؛ فقد ذكر ابن سلاّم في طبقات الشعراء وابن قتيبة في الشعر والشعراء انَّ «أول من اسس العربية وفتح بابها ونهج سبيلها ووضع قياسها ابوالاسود الدؤلي» وكذلك ذهب ابوالطيب اللغوي إلىٰ ان «أول من رسم النحو ابوالاسود الدؤلي الذي اخذه عن إميرالمؤمنين علي» وكذلك ابن النديم في فهرسته وجلال الدين القفطي وابن الانباري في نزهة الالباب والذي يقول: «إن أول من وضع علم العربية وأسس قواعدها وحدَّ حدودَها أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام واخذ عنه ابوالاسود الدؤلي».

وكل هؤلاء وغيرهم ممن جاء بعدهم لم يخرج عن هذا الإطار وكلهم اتفقوا علىٰ شيء واحد هو: انَّ النحو العربي منشاه ومبداه عربي وانَّ من ابتدعه واخرجه الىٰ الوجود علي بن ابي طالب عليه السلام ولم يكن ابوالاسود الدؤلي سوىٰ ناقل وشارح ومبوِّب له.

اما الاغراض الشعريّة المختلفة بالاضافة إلىٰ مانسب اليه من شعر ومانسب لغيره من شعره، فقد بسطنا الكلام في فصول الكتاب.

الفصل الرابع

حاولنا في هذا الفصل، انْ نُسلِّط الاضواء علىٰ الجوانب الفنيّة لاغراضه الشعريّة؛ بالاضافة الىٰ مبنىٰ القصائد ومعانيها وصورها وأوزانها وموسيقاها وماجاء به من جديد، بالاضافة إلىٰ آراء القدماء والمحدثين والمستشرقين من علماء ونقاد وأدباء وشعراء وقد فصّلنا ماذكرناه اعلاه في بابه.

الخاتمة

امتدَّ العمر بالشاعر والاديب والنحوي، ابي الأسود الدؤلي، حتىٰ وصل به الىٰ العقد الثامن، فقد ولد في السنة السادسة عشرة قبل البعثة النبويّة الشريفة وتوفي علىٰ أصح الروايات في

السنة التاسعة والستين للهجرة، فكان عمره حين وفاته خمساً وثمانين سنةً ومع هذا العمر المديد أغنى الادب والشعر والنحو بنتاجاته المختلفة مع مااحتلّه من مكانة مرموقة ينظر إليها من قبل علماء الادب والنحو والشعر نظرة ملئها الإحترام والتقدير لما ارفده هذا العالم الجليل. لكن بعض من مصادر الكتب وامهاتها التي تَناولتْ حياة هذا الشاعر مفقودةً وخطيةً نادرة لايمكن الحصول عليها بيسر، فلهذا إعتمدنا علىٰ ماتَيَسَّرَ من المصادر والكتب التي تناولت الابعاد الادبيّة والنحويّة والعلميّة لهذا الرجل ووجدنا عند مراجعتنا لكتب الرجال، إسمه بين رجال الطوسي في التهذيب، كما ذكره الكشي والنجاشي والخوئي فِي معجم رجال الحديث وقد ذكرنا مصادر الكتب التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا من قديمة وحديثة ومن اهمّ المصادر القديمة: خزانة الادب للبغدادي والاغاني لابي الفرج الإصبهاني وتهذيب التهذيب للعسقلاني ومعجم البلدان للحموي والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ.

امّا المعاجم: فاهمها لسان العرب لابن منظور و معجم مقاييس اللغة لإبن فارس.

وقد إعتمدنا على مصادر حديثة، منها: الفرق الاسلامية للدكتور نعمان القاضي ودراسات ادبيّة للدكتور طاهر احمد مكي ومحمد رسول الحرية للدكتور عبدالرحمن الشرقاوي ومحاضرات الدكتور حامد حنفي داود وغيرها ومن المستشرقين بحوث مارجوليوث الادبية وتاريخ الادب العربي لبلاشير وغيرهما.

الفصل الاول

أثر الاسلام في الشعر الجاهلي

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الاول

الإسلام أثره على الحياة
في عصر الرسول ﷺ وخلفائه

وجدت من البديهيات المتفق عليها لدى معظم الباحثين في الشعر العربي القديم «انّ القصيدة العربيّة استقرّتْ لها تقاليدها الفنيّة وبلغت قمّة نضجها في اواخر العصر الجاهلي ويمضي بعض الباحثين قاطعاً بهذه الحقيقة»[1]. أن العرب عند ظهور الإسلام كانوا أصحاب شعر بلغ درجة رائعة من التطور والكمال الفني، واصبح هذا الشعر هو الصورة المثالية للشعر العربي في العصور التالية، فبقيت تقاليده وفنونه مسيطرة خلال العصور، «وانتقلت الى اللغات الاخرى أوزانه ومفاهيمه الفنيّة»[2].

ومما لاشك فيه أنّه ببزوغ شمس الإسلام ظهرت الحمرة المغربية للعصر الجاهلي حتى وجد العرب أنفسهم على مشارف عصر جديد ومرحلة جديدة، شملت سائر مجالات حياتهم من دينية وإقتصادية وإجتماعية وسياسية ومن هنا أصبح لِزاماً على

---

١. د. يوسف خليف، حركات التجديد في الشعر العربي، ص٢٩.

٢. د. محمد عبدالسلام كفافي، الحضارة العربية، طابعها ومقوماتها العامة.

الادب في ذلك الوقت انْ يتفاعل مع الواقع الجديد وانْ ينسجم مع متغيرات هذه المرحلة الجديدة التي إصطلح المؤرخون علىٰ تسميتها بصدر الاسلام؛ فالىٰ اي حد استطاع الأدب انْ يتفاعل او يَتَكيَّف او يتشكّل في ظل هذه الظروف الجديدة؟ أو بلفظ آخر، ماهو التحول الفكري الذي لَحِقَ بالادب ورجاله وماهي الطّاقة او القدرة التي استطاع بها (الأدب ان يتكيف) او ينصاع إلى بودقة الظروف الجديدة تحت تاثير ذلك التغيير الجذري الذي أتىٰ به الاسلام في صميم العربية؟

إنّ الإجابة علىٰ مثل هذا السؤال، تختلف بإختلاف الباحثين ومناهجهم وأذواقهم «ذلك انَّ قضية إزدهار الشعر او ضعفه في صدر الاسلام، تُعَدُّ من الامور الادبية المستعصية، لإختلاف آراء المؤرخين والباحثين وبُعد وجهات نظرهم»[1] ومع ذلك فسنحاول أن نعرض لطائفة من هذه الآراء والأقوال لكي نصل الىٰ مُحصَّل قريب من الصواب فيما يتعلّق بهذه القضية، ولكن لندع انفسنا نسأل ماهي بداية ذلك التغيير الجذري الذي اتىٰ به الإسلام للحياة العربية الجاهلية؟

لقد بدأ الدور الحضاري المؤثّر لشبه جزيرة العرب قبل القرن السابع الميلادي، فقد كان العرب يعيشون في ظلّ الجاهلية وقيمها وقوانينها وحصل ذلك الإنقلاب على أثر ظهور الدعوة الإسلامية وإنطلاق الفتوح العربية من شبه الجزيرة وعبّر عن نفسه في ثلاثة تيارات متواكبة، تركت آثارها واضحة علىٰ المسار التاريخي والحضاري آنذاك ولازال هذا الاثر مستمراً حتىٰ الآن وتَمثَّلَ إحدى هذه التيارات في نشر الدين الاسلامي وإنتشاره بين مجموعات بشريّة تُمثِّل كل العناصر تقريباً، تنتشر في مناطق تمتدُّ من المحيط الاطلسي غرباً الىٰ جزر اندونيسية شرقاً، وهو دين لايقتصر علىٰ الجانب الروحي، بل يشمل طرقاً للتعامل تُشَكِّلُ أسلوباً للحياة يمارسه في الوقت الحاضر اكثر من مليار شخص، والتيار الثاني كان حركة التعريب التي إنتهت بان أصبحت اللغة العربية هي لغة الحياة اليومية والرسميّة ـ حيث اصبحت اللغة العربية لغة شعوب كثيرة ذات

---

١. صلاح الدين الهادي، الشماخ بن ضرار الذبياني، ص١٩.

جنسيات متنوعة ـ أمّا التيار الثالث فهو «الحركة العلمية والثقافية النشطة التي قام بها العرب أو شجعوا عليها وهيّأوا لها الاجواء المناسبة»[١] ولقد استوعبت هذه الحركة الحضارات القديمة التي كانت موجودة بالمنطقة المحيطة بشبه الجزيرة في مصر وسوريا ووادي الرافدين وبلاد فارس، كما استوعبت الملامح الرئيسية للحضارة اليونانية والرومانية وطورتها في فترة الركود العلمي والثقافي التي عرفتها اوربا في العصور الوسطىٰ... «ومن الملاحظات المهمّة التي تركها الإسلام في نفوس المسلمين، هو توحيد صفوف قبائلهم»[٢] والقرآن الكريم اشار الىٰ هذا في قوله: ﴿إنّما المؤمنونَ إخوةٌ فأصلِحُوا بَينَ أخوَيكُم﴾[٣] «فهذا نداء عام شمل كل من في حيّز الاسلام وأنْ يتّحدوا في رباط الاخوة»[٤].

«ونحن نعلم أن الظلام الدامس الذي كان يعمُّ المجتمع الجاهلي وما يملكه من معتقدات فاسدة لاتقدم للإنسانيّة سوىٰ الشرور والحروب والعبودية العمياء، وسرعانَ ماجاء الاسلام وحطّم كل قيم الجهل واستبدلها بقيم الرقي الاسلامي»[٥] حيث إنّه:

١. جاء بعقيدة التوحيد، بعدان كانت الوثنية تعمُّ ذلك المجتمع، فاخذ بيَد الإنسان الىٰ جادّة الهدىٰ والخير ورسم له طريق الصلاح والاصلاح وابعده عن طرق الشر والفساد، فقد اشار الجليل في محكم كتابه: ﴿جنّاتُ عدنٍ تَجري مِنْ تَحتِها الأنهارُ خالدِينَ فيها...﴾ ومقابل ذلك، ذكر الوعد والوعيد في كثير من مواضع القرآن الكريم منددا بالجهلاء والكفار، بانَّ لهم جهنم خالدين فيها وبئس المصير.

٢. حقّقَ للانسان كرامته الحقيقية التي من أجلها خُلِق، والعدالة الاجتماعية

---

١. لطفي عبدالوهاب يحيىٰ، العرب في العصور القديمة، ص ٣٤ـ٣٥.
٢. ابراهيم حداد، الحريّة عند العرب.
٣. الحجرات (٤٩) الآية ١٠.
٤. ديلاس اوليري، الفكر العربي ومكانته في التاريخ، ص٧٥.
٥. احمد فؤاد الاهواني: القيم الروحية في الاسلام ومجلة دراسات في الاسلام صدرها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، العدد ٢١، سنة ١٩٦٢، ص٣٩.

والحريّة التي يملكها كل مخلوق، فلاطبقيّةَ في الاسلام، والتقوىٰ هي الشّعار المرفوع في المجتمع، فلافضل لعربي علىٰ اعجمي إلاّ بالتقوىٰ والناس سواسيّة كاسنان المُشط، فلافضل بين افراد المجتمع من أسياد وعبيد وأحرار ورقيق؛ وهذه الرسالة السامية غريبة علىٰ كل المجتمعات الجاهلية التي آمنت بالانفصال الطّبقي في المجتمع فلامجال لذلك، فجاء الاسلام ورفع كابوس الجهل والفقر الطبقي[١]، فحوّل الاسلامُ المجتمعَ الجاهلي من حال الىٰ حال بشكل كلي.

ومن البديهي أنّ المفاهيم الجديدة التي أنبتّها الاسلام في اعماق المجتمع العربي، قد جعلت المجتمع الجاهلي في ميزان جديد، فقد أحاط تأثيرها بالاخلاق والنظم والعمل التي تهمُّ امور الدين[٢]يتّضح ذلك إذا مانظرنا الىٰ اثره علىٰ كلٍّ مِنْ الفرد والمجتمع علىٰ حدة؛ فَفيما يختصُّ بالفرد، نلاحظ أن الاسلام نقله من الحرب الىٰ السلم، ومن القوة الىٰ القانون، ومن الثار الىٰ القصاص، ومن الاباحية الىٰ الطُّهر ومن النَّهب الىٰ الأمانة، ومن الحياة القبلية الىٰ المسؤولية العامة ومن الوثنية الىٰ التوحيد، ومن إمتهان المراة الىٰ اجلالها؛ والتَّغيُّر الذي حصل بولادة الاسلام في الأمّة والفرد، فقد قلب قيم المجتمع الموجودة قبل الاسلام، بكل ماضيه من عادات وتقاليد، وصاغ الفرد صياغة جديدة بكل حركاته وسكناته، فقد تدخّلَ بكل صغائر اعماله، فصار ذلك الفرد العقائدي الذي عجنت فيه ذرات العقيدة وأصبح الفرد هو الراعي وهو المسؤول عن الرعية «كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»؛ «وتنظيم العلاقة بينهم وبين غير المسلمين، بما في ذلك من تقرير نظم الاسلام في امور السياسة والحكم والأمور الاقتصادية والاجتماعية»[٣]، «وهكذا فَبَعْدَ أنْ كانت الحياة قبل الاسلام تسير علىٰ قوانين العرف والتقاليد، والحق للقوة، أصبحت بعد الاسلام تسير علىٰ قوانين الشريعة الاسلامية

---

١. المصدر السابق، ص٣٩ـ ٤٠.

٢. د. احمد جلبي، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية.

٣. احمد جلبي، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ج١، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥.

والحق لصاحب الحق»[1] ويعبر الدكتور طه حسين عن هذا التحول الذي تَمَّ بظهور الاسلام بقوله: «إنَّ الأمَّة العربية قبل الاسلام كانت أمَّة شعر، لها حياتها الاجتماعية والسياسية الخاصة، تعتمد في هذين النوعين من الحياة علىٰ العاطفة والشعور، اكثر من اعتمادها علىٰ الحكمة والرؤية، تندفع بحكم هذا الشعور الىٰ الحرب أو السلم أو الخصومة، أو الىٰ أيَّة ناحية من نواحي الحياة الجاهلية، فلما جاء الاسلام، تغيرت الحياة العربية تغيُّراً تاماً، تقوض النظام السياسي، دخل محل النظام القديم نظام جديد يعتمد علىٰ وحدة الامة العربية واخضاع الام الاجنبية وادماجها في الاسلام، ثم كانت الفتوح واتصل العرب بالام الأخرىٰ إتصالاً أخَذَ يشتدُّ ويقوىٰ حتىٰ أصبح إختلاطاً، ثُمَّ إمتزاجاً ونشا عنه انْ إطَّلَعَ العربُ علىٰ آراء وافكار الأمم ودياناتها وعلومها وفلسفتها ونشا عن ذلك كلّه انْ تغيرت الحياة وتغيرت موضوعات التفكير واستلزم ذلك ان تتغير العبارة التي كانوا يعبّرون بها عما في انفسهم ونشا لهم لسان جديد لم يكن لها من قبل وهو النثر الذي يعبر عن المعاني بدون القيود الشعرية»[2] ويتَّضح من راي الدكتور طه حسين هذا، مدىٰ ماجاء به الاسلام من تحوُّلٍ ومدىٰ ماكان لهذا التحول من ابعاد حضارية وفكرية إنعكست بدورها علىٰ شؤون الحياة كافَّةً، باختلاف ميادينها.

تاثير الشعر بالمناهج الجديدة في صدر الاسلام

والظاهر انَّ الميدان الحضاري الجديد الذي أنشاه الاسلام بقواعده الرصينة وعلىٰ أخصب ارض قد خلق سوقاً جديداً من أسواق الأدب العربي إحتوىٰ علىٰ أصناف الفنون الأدبيّة المستحدثة ومن هذه الفنون: الكتابة والتدوين فإنه في ـ ظلال المنطق ـ تكون هذه الحضارة قادرة علىٰ تطوير فنون مستحدثة وتحصين شعرٍ وصف بالجودة

---

١. د. سيد حنفي حسنين، حسان بن ثابت شاعر الرسول، ص١١٤.

٢. د. طاهر احمد مكي، دراسة في مصادر الادب، ص١٨، مصطفىٰ الشكعة، معالم الحضارة الاسلامية، ص٢٦٤.

وخلق موضوعات جديدة تتمشىٰ مع المظاهر والقضايا التي استحدثتها تلك الحضارة في المجتمع الاسلامي العربي.

وهذا الاستنتاج المنطقي، تدعمه النصوص والوثائق الادبية، ممثلة انتاج الشعراء المبدعين في ظل الاسلام في عصوره الاولىٰ الزاهية، ذلك انّ «الحضارة الاسلامية تمخّضَتْ عن ثقافة واسعة وأنشات أجيالاً من العلماء والكتاب والمثقفين، بمختلف فنون الثقافات وعديد الوان المعرفة فكان علىٰ الشعر ان يعايش هذه الحياة بجوانبها الجديدة وان ينفذ الىٰ اعماقها وان يواكب مسيرتها، وبالتالي، يعبر عنها تعبيراً صادقاً مادام الشعر محافظاً علىٰ جودته ماضياً في اداء رسالته». [1]

وإنْ كان هذا القرار يتّفق مع مبادئ الحضارة الاسلامية في فترة ازدهارها بصفة عامة، فإنّنا سنحاول أن نحدد مدىٰ صلاحيته للاتفاق علىٰ فترة بعينها، هي الفترة التي إصطلح المؤرخون علىٰ تسميتها بصدر الاسلام، أي عصر النبوة والخلفاء الراشدين، وحينئذ فسوف نجد أنفسنا أمام فريقين من الباحثين الذين تعرضوا لعصر صدر الاسلام من ناحية أثره علىٰ الشعر والشعراء، ففريق يثبت هذا الاثر ويؤكد بالأدلة والشواهد الشعرية الساطعة وإن اختلف في تحديده وتقديره وفريق ثان ينفي هذا الاثر او يعود به الىٰ زمن لاحق لعصر صدر الاسلام، مستفيداً من بعض الموارد والشواهد للاعتماد عليها، وسنقوم بالقاء نظرة علىٰ نماذج من آراء كلا الفريقين:

أ) الآراء التي ترىٰ تاثير الاسلام علىٰ الشعر في عصر صدر الاسلام

وينقسم هذا الفريق الىٰ فئتين: فئة ترىٰ هذا الاثر ايجابياً، وفئة اخرىٰ تراه سلبياً.

ويعتمد أصحاب الفئة الاولىٰ من هذا الفريق علىٰ مقدمة عامة واساسيّة تقول: بانّ الشعر كفن من فنون الادب يركد ويجمد حتىٰ تركد الحياة وتصاب بالشلل الفكري، فهو ينمو بنمو المجتمع ويسمو بسموه فالانقلاب الجديد الذي حطّمَ التقاليد او العلاقات

---

١. المصدر السابق.

الخارجية ومن هؤلاء الباحثين:

الدكتور بدوي طبانة الذي يرىٰ: «ان الفكر الجديد هو الاسلام الحنيف اخذ يشق لنفسه طريقاً جديداً فيصبح هو الناطق للدعوة الجديدة ويتركّز بانتصاراتها وينشر فكرها في تطهير العقيدة وبناء المجتمع بصيغة جديدة، وفق قواعده والعمل للدنيا والآخرة كما أصبح ردّ فعل المشركين يظهر علىٰ لسانهم ويعلنون به اصرارهم علىٰ قديمهم ويدعون به الىٰ الثبات والاستبسال في مقاومة الهدف والهداة بذلك انتقل الشعر من طور الىٰ طور، بعد ان كان تعبيراً عن أهواء النفوس، وتشجيعاً للعصبية الفردية، او العصبية القبلية اصبح ناشراً للمبادئ التي انحصرت في مبدأين يسيران في اتجاهين متضادين، وكان هذا عاملاً من أهمّ العوامل التي اثبت للشعر سلطانه وزادته قوة في الحقبة الاولىٰ من صدر الاسلام». [1]

وهذه النظرة التي علىٰ اساسها يرىٰ الدكتور طبانة ومناصروه انّ الشعر إزداد قوة في صدر الاسلام، نظرة تعتمد علىٰ مضمون الشعر فقط علىٰ حساب شكله وعناصره الفنيّة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الاشتراك في المباني بين شعر الجاهليين وصدر الإسلام وإن كانت معاني الشعر لم تبعد كثيراً من معاني الجاهليين، فلايزال الفخر بالآباء والأجداد، والدكتور الطاهر يرى «انّ شعراء كلّ قبيلة وأفرادها يروون شعر أسلافهم، وظهور شاعر كبير مدعاة للفخر والاحتفاظ بآثاره شيء تفترضه العصبية، وضياعها امرٌ يمسّ شرف القبيلة» [2] وهذا الفخر يختلف عن الفخر الذي جاء به الإسلام وذلك لإرتباطه بالعقيدة فنلاحظ وجود الفخر بالآباء والاجداد ولايزال التمجد بالكرم والشجاعة وحسن البلاء ولاتزال الإشادة بالإنتصارات التي يحرزها أحد الفريقين (وإن تغيّرت الظروف وتغيّر الموضوع).

---

١. د. بدوي طبانة، نقد الادب العربي من الجاهلية الىٰ نهاية القرن الثالث، ص ٦٣ ـ ٦٤.

٢. د. الطاهر، دراسات في مصادر الادب، ص ١١٥؛ بدوي طبانة، دراسات في النقد ص ٦٤.

يتّضح من ذلك التحفظ أنَّ الدكتور بدوي طبانة يؤكّد على المعاني والمضامين مهملاً الشكل والعناصر الفنية الأخرىٰ، مثل الصورة واللغة والموسيقى وغيرها من قضايا الشكل الفنية.

ويدلّل الدكتور بدوي طبانة على إزدهار الشعر في صدر الإسلام، بما يراه «من أنَّ العهد الجديد ـ ويقصد فترة صدر الإسلام ـ وضع قياساً جديداً للشعر يقامر به، بعد أن لم يكن هناك مقياس ثابت معروف للحكم عليه ويقدر على مقدار حظّه منه في أيّام الجاهليين، وكان ذلك المقياس الجديد هو الدين، ينظر إلى الشعر على ضوء هديه، فما إتّفقت فيه روح الشعر مع روح الدين فهو من الشعر في الذروة، وماخالفه فهو من كلام الغواة الذي يكون شرّاً على صاحبه وعلى الجميع».[1]

كما يستدلّ الدكتور بدوي طبانة من جهة أخرىٰ علىٰ نهضة الشعر في صدرالإسلام، هو ظهور فن النقائض، فهو في رأيه «فن وجد في صدرالإسلام، ولم تكن نقائض جرير والفرزدق هي بداية»[2]. والحقيقة أن فن النقائض يمكن أن نتبعه إلى أصول أبعد من ذلك، إذا أردنا أن نعثر على ظروف نشأته الأولىٰ، وقد فطن إلى ذلك الدكتور صلاح الدين الهادي، الذي أشار في نشأة هذا الفن في العصر الجاهلي، مع إيراد الشواهد والأدلّة التي تثبت ذلك وأشار إلىٰ «أنَّ ذلك الفن طرا عليه تطور كلّي في عهد النبوّة علىٰ يد الشعراء المسلمين من حيث الغاية والاسلوب والمعاني والألفاظ».[3]

ويلخص الدكتور بدوي طبانة معالم النهضة الشعرية في دار الإسلام، بأنّها ارتبطت بما يمكن أن يسمّىٰ بإزدهار النقد ذلك أنّه يرى أنَّ الأسس الأولىٰ «والمبادئ العامة للنقد الأدبي قد أخذت في التميز والوضوح في صدر الإسلام بعد أن لم تكن هنالك أسس واضحة أو معالم ثابتة يهتدي النقّاد بهديها ويحكمون على الأدب بالجودة

---

١ ـ المصدر السابق، ص٧٠.

٢ ـ المصدر السابق، ص٦٦.

٣ ـ د. صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوّة والراشدين، ص٢٤٨.

أو الرداءة في ضوئها». [١]

ونرى الدكتورة بنت الشاطئ تذهب إلى النظرية التي تقول بإزدهار الشعر في صدر الإسلام، وترى أنّ وجهة النظر المضادة التي تقول بتدهور أو ضعف الشعر في صدر الإسلام، هي وجهة نظر تسرّبتْ من نقّاد العصر العباسي، الذين قالوا: «إنّ الشعر زالت دولته بظهور الإسلام وفقد سلطانه على العرب الذين إنصرفوا إلى الدين الجديد والفتوح، ولانزال نردّد اليوم ماقالوه ونتصور إنّ قوماً آمنوا بدين كتابه يعجز البيان، قد زهدوا في البيان وانصرفوا عنه، فلم يعد للكذب في دنياهم الجادة المناضلة مكان»[٢]، ونلاحظ ان الدكتورة عائشة ترى «التطور الهام الذي حدث للشعر العربي، هو إن الإسلام أراد لشاعر القبيلة، أن يكون شاعر الأمّة فلم يهدر بهذا ذاتية الشاعر، بل أراد توسيع آفاقه منطلقاً من قيود الأسرة والقبيلة». [٣]

وهنالك محاولات للدكتورة تفنّد بها آراء القائلين «بأنّ الإسلام لم يؤثر على حياة الشعر وآدابه إلاّ قليلاً ومن هؤلاء، الدكتور شكري فيصل»[٤]، وكذلك، الدكتور شوقي ضيف، الذي يرىٰ «انّ الأدب لم يتأثر بالإسلام إلاّ قليلاً». [٥]

ونرى أنّ حديث الدكتورة عائشة على إزدهار الشعر في صدرالإسلام، مدعوماً بالأدلّة القويّة والمستفيضة والتي يغلب عليها الطابع اللفظي مثل قولها: «لو صحّ أنّ الحياة استغنَتْ في تلك الفترة الثورية الجادة المؤمنة، عن الشعر والشعراء لكانت القاضية او يكون ذلك شاهداً على انّه لامكانة للأدب في مجتمع جادّ ثائر مناضل»[٦] ومثل قولها في موضع آخر «هل كان دم كعب يهدر لشعرٍ قاله لو أنّ الشعر فقد سلطانه ونفوذه

---

١ . د. بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي، ص٧٦.

٢ . عائشة عبدالرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر.

٣ . المصدر السابق، ص٧٧.

٤ . المصدر السابق، ص٧٥ ومابعدها.

٥ . انظر المصدر السابق، ص٨٣، ٨٨ ومابعدها.

٦ . المصدر السابق، ص٦٦.

أو كان الأنصار يغضبون لبيت قاله فيهم في بردته[١] لو أنَّ سلاح الشعر قد فك بالإسلام»[٢]؛ نلاحظ ان الأدلّة التي تميل إليها الدكتورة عائشة هي في الحقيقة أدلّة غير ظافرة من جهة، لأنّها أدلّة تعتبر سلبية تكتفي بهدم او محاولة هدم حجّة الخصم، دون ان تظهر الجانب الإيجابي للدليل اوالبرهان ومن هذا نرى لابدّ من تحطيم حجّة الخصم بإتمام البرهان حتىٰ تتمّ الصولة الأدبية بنجاح تام ولكن الجانب الذي يستحق وصفه بالجد في بحث الدكتورة عائشة، هو محاولتها الجادّة والمثابرة في دراسة و تصنيف الشعراء المخصّصين الذين كان الدارسون في حيرة من أمرهم، فمنهم من عدّهم إسلاميين خلصاً لااثر فيهم لجاهلية، ومنهم من حسبهم جاهليين لم يؤثر الإسلام في شعرهم، والدكتورة عائشة ترىٰ: «إن هذين الرأيين كليهما يعزلان الأدب عن الحياة»[٣] ومن ثَمَّ فهي تقوم من جانبها برصد الإرهاصات التي كانت تملأ الجزيرة العربية قبيل المبعث وفي ظهور قيم جديدة[٤] للشعر الجاهلي مثل شعر الأحناف والحكمة وتقسم الجيل الإسلامي الأوّل من الشعراء إلىٰ ثلاث فئات، على أساس زمن الخضرمة بين الجاهلية والإسلام، ونخلص من ذلك كلّه إلىٰ نتيجة أساسية مؤداها «إنّه لابد لنا ان نعترف بوجود أثر إسلامي في شعر الشعراء الذين لم يعتبروا من المخضرمين، كما نلاحظ وجود نزعة جاهلية في شعر الذين أسلموا منهم وخاضوا المعركة بلسانهم إلى جانب الرسول ﷺ»[٥].

ونلاحظ بصفة عامة انّه إذا كان الدكتور بدوي طبانة قدنظر إلى المضمون فحسب في تقييمه لشعر صدر الإسلام، فإن الدكتورة عائشة عبدالرحمن قد أغفلت هي

---

١. البيت هو:

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرد السود التنابيل

٢. المصدر السابق، ص٦٨.

٣. المصدر السابق، ص٨٣.

٤. المصدر السابق، ص٨٥.

٥. المصدر السابق، ص٨٩.

الأخرى العناصر الفنية للقصيدة وجعلت همّها الاوّل إرتباط الشعر بالحياة وتعبيره عنها، هذه هي بعض النماذج من آراء الفئة الأولىٰ القائلين بان اثر الإسلام على الشعر كان اثراً إيجابياً.

وننتقل بذلك إلى آراء الفئة الثانية، التي تثبت للاسلام اثره على الشعر ايضاً وفي نظرها تعتبر ان ذلك الاثر الذي تركه الإسلام في الشعر كان سلبياً ومبررهم في ذلك «إنّ صوت الشعر والحاجة إليه قد خفت لقلّة الاستماع إليه وكان يظهر فترة بعد فترة في صادق المدح والرشاد»[1].

لكن ذلك هو حال الشعر في عهد النبوّة، فإنّ حاله بعدها اقلّ شاناً واحطّ مكانة لذهاب المعارضة، ولشدّة الخلفاء في تاديب الشعراء وإنصراف همّ العرب إلى الفتوح، وإن كان الدين قد بَدَأ يفعل في النفوس ومظاهر الحضارة قد أخذت تؤثّر في الأذهان، فإن كلّ ذلك لم يُؤثّر في شعر المخضرمين إلاّ بمقدار ضئيل، لايتعدّىٰ بعض الالفاظ الإسلامية (كالمعروف والمنكر والصلاة والزكاة والجنّة والنار والمهاجرين والأنصار ...) كما يبدو ذلك لدىٰ بعض الشعراء مثل كعب بن زهير والحطيئة معين بن أوس والنابغة الجعدي، ولذلك فإنّ أصحاب هذا الراي يرون أنّه «من المبالغة جعل المخضرمين طبقة ممتازة، فليس شعرهم إلاّ إستمرار للمذهب الجاهلي الّذي لم يتاثّر بالإسلام إلاّ تاثّراً عرضياً (سلبياً) كضعف الاسلوب في شعر حسّان، او قلّة الإنتاج في قريحة لبيد، أو كثرته عند الحطيئة والنابغة الجعدي مثلاً، وعلىٰ هذا الاساس فإنّ الشعر العربي ظلّ في الجاهلية والإسلام واحداً في مظهره وجوهره ونوعه حتى أواخر عهد بني أمية»[2].

ولعلّ مفكري هذه الفئة ـ الذين يستبعدون الاثر الإيجابي للإسلام على الشعر ـ يمضون في هذا الراي إلىٰ نهايته، فيرون انّه «من العبث ان تتكلّف البحث العقيم في القرن الاوّل عن مذهب شعري جديد، يصح ان يكون اساساً لادب عربي جديد،

---

١. احمد حسن الزيّات، تاريخ الادب العربي، ص١٠٤.

٢. المصدر السابق، ص١٠٤.

وحتىٰ مذهب عمربن أبي ربيعة في الغزل، لايختلف عندهم عن مذهب امرئ القيس إلاّ قليلاً». [١]

ونلاحظ متابعة الدكتور عبدالقادر القط هذا الراي في كتابه في الشعر الاسلامي والأموي) فإنّه وإن كان يخلص إلى انّ القرآن الكريم لم يصدر حكماً بعينه على الشعر، ولم يتخذ منه موقفاً خاصاً، وإنّما نفى عن النبي ﷺ مرّة بعد أُخرىٰ، ان يكون شاعراً من الشعراء وأن تكون رسالته كرسالتهم، فإنّه ـ على الرغم من ذلك ـ يرى انّ هذا الموقف الإسلامي من الشعر لم يحل بينه وبين الضعف الفني الذي يغلب على شعر هذه الفترة الّذي فقد في معظمه، وبخاصّة الشعر السياسي، مافي العصر الجاهلي من خيال حَيّ، واقتدار لغوي وإلتصاق بالطبيعة [٢] ويعلّل الدكتور القط هذا الضعف بصعوبة تكيّف الشعراء مع القيم الجديدة الروحية والإجتماعية، وماتجعله من مظاهر التغيير في الاخلاق والسلوك، فلم يكن من اليسير على شاعرٍ قَضىٰ الجانب الاكبر من حياته في الجاهلية بانّه يوجد لنفسه أسلوباً من الشعر يحسن التعبير عن تلك القيم والقضايا الجديدة، ويحتفظ في الوقت نفسه بتلك الخصائص الفنيّة التي نَمَتْ وتَطَوّرتْ في ظلّ مجتمع مختلف في قيمه وقضاياه [٣] ويتجلّى ذلك بصفة خاصّة في إنتاج شعراء المسلمين الذين اتصلوا بالصراع بين المسلمين والمعارضين للدّين الجديد، على عكس الشعراء الآخرين الذين كانوا اقلّ إنغماساً في تلك الحروب الكلامية، والذين مَضَوْا يقولون الشعر على طريقته الجاهلية». [٤]

ومن كلّ ذلك يخلص الدكتور القط إلى انّ «الضرورة العامة للشعر في صدر الإسلام تقوم على حقيقة حضارية معروفة، هي انّ هناك بالضرورة تداخلاً بين فترات التاريخ الحاسمة، وانّه لايمكن ان يكون هناك حدّ فاصل بين فترة والتي تليها وبخاصة

---

١. المصدر السابق، ص١٠٤ـ١٠٥.

٢. ابراهيم عبدالرحمن محمّد، قضية الشعر، ص١١٧.

٣. المصدر السابق، ص١١٧ و١١٨.

٤. المصدر السابق، ص١١٨.

حين يتّصل الأمر بمقوّمات نفسيّة بعيدة الغور في نفوس أصحابها، أو بقيم فنية أصبحت تقاليد موروثة لايمكن الخلاص منها فجاة، أو الإهتداء إلى غيرها من قيم جديدة، لذلك كان لابُدّ أن يظل هناك إمتداد ما للشعر الجاهلي في شعر ذلك العصر، على اختلاف في المظهر والدرجة». [1]

ومن الباحثين الذين أشادوا بهذه النظرية الدكتور عبدالعزيز الكفراوي الذي يتفحص عن الآثار التي تركها الإسلام جميعاً أو بعضها في الشعر العربي، ثم يقرر «إننا ننظر هنا وهناك فلانرىٰ شيئاً، اللهمّ إلاّ مفردات أو شبه مفردات اقتبسها من القرآن الكريم حسّان واخوانه من شعراء الرسول ﷺ في ردودهم علىٰ شعراء قريش، وهي ردود لاتكاد تختلف عن الهجاء الجاهلي في قليل ولاكثير، فاين روح الإسلام وتسامحه؟ واين صرخاته المدوّية في سبيل العدل والمساواة؟ الم ياخذ كلّ ذلك طريقه إلى شعراء الصدر الأوّل للإسلام؟». [2]

كلّ هذه الاسئلة التي يثيرها الدكتور الكفراوي لاتجد لها من إجابة إلاّ بالسلب، وفي هذا دلالة على مواقفه الواضحة من انّ الشعر في صدر الإسلام قد تدهور مستواه، ومثل هذا الراي لايدلّ فقط على انّ الإسلام لم يترك اي اثر في الشعر في هذه الفترة، بل يتعدّىٰ ذلك إلى إثبات حقيقة انّ الإسلام تسبّب في إضعاف مستوىٰ الشعر في هذه الفترة التي نحن بصددها، ويبرّر الدكتور الكفراوي ذلك بقوله: «لعلّ روح الدين الجديد ـ الذي ينهى عن التعظيم بالآباء ويحرّم الخمر، وينفر من التعرّض على أحساب الناس بالهجاء واعراضهم بالتشبيب ـ... كان سبباً في ضعف الشعر العربي وضعف الدوافع إليه وإلاّ فماذا يقول الشعراء في مدائحهم وقد صار أبوهريرة و ابن مسعود وبلال وغيرهم المغمورون اكرم على الله وعلى الناس ـ بفضل تقواهم ـ من صناديد قريش و قادة العرب ثم في أيّ شيء يخوض الشعراء، وقد حُرِّمَتْ أهم

---

١. المصدر السابق، ص١١٩.

٢. محمّد عبدالعزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود والتطور، ص٣٨ ـ ٣٩.

الموضوعات التي تثير الشعور وتعين عليه، من شرب وغزل وهجاء ونحوه، وإذا كان الحطيئة قد زار السجن بسبب الهجاء، فإنَّ أبا محجن الثقفي قد زاره أيضاً في سبيل عزل النعمان بن عدي عامل عمر على البصرة بأبيات قالها فيه». [1]

ودليل الدكتور الكفراوي على الضعف الذي لحق بالشعر بسبب الإسلام، يستمده من موقف الرسول ﷺ من الشعراء وقد كان هذا الموقف ردَّ فعلٍ لموقفهم منه وهجائهم له بأقذع الهجاء، فاعلنها حرباً عليهم لاهوادة فيها ولامهادنة «فمنهم من قتل ومنهم من ألقى السلاح ورمىٰ بنفسه بين قدمي الرسول عائذاً تائباً»[2].

ومضى القرآن الكريم يضع لهم تحديداً لمسيرتهم الشعرية، فردع الشعراء في أكثر من موضع، وقد رسم للشعر دستوراً لايتعدّاه، ولايتخطّاه في قوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[3]. وظاهر الآية الكريمة كما يرى الدكتور الكفراوي أنَّ جميعَ أغراضِ الشّعر في العصر الجاهلي لاتوافق الركب الإسلامي الجديد.

وقد إلتزم الصحابة بتلك الآية الكريمة حرفياً، فاقسم لبيد ألا يقول شعراً، وقصَّرَ الشعراء الباقون مواهبهم علىٰ خدمة الدعوة الإسلامية بردِّ هجمات قريش، وغيرها من المشركين، حتى إذا وضعت الحرب الأدبية بين قريش والرسول أوزارها، لاذوا بالصمت.

من هذا، يظهر إنكماش أنفاس الشعر في مكة والمدينة وضعفت قوائم عرشه في باقي الجزيرة العربية[4] إلاّ الموافق والمساند للفكر الأدبي الإسلامي ولم تقنع باحث

---

١. المصدر السابق، ص٤٠ و٤١.

٢. المصدر السابق، ص٤٩.

٣. الشعراء (٢٦) آيةٌ ٢٤٤.

٤. محمّد عبدالعزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود والتطور، ص٣٩ـ٤٠.

ويضيف الدكتور طه الحاتري إلىٰ جملة الأسباب التي صدرت عنها ظاهرة ضعف الحياة الادبية في فترة صدر الإسلام سبباً آخر حيث يقول: «وشيء آخر فقده الشعر وكان له اثره، أيّاً كان هذا الاثر فيه، وهو ماكان يجده من قبل، مِنْ تشجيع الملوك الرؤساء وتحفيهم به، واجازاتهم الشعراء عليه، فقد انتهىٰ ذلك كلّه ...» (انظر في نقد التاريخ والمذاهب الادبية، ص٥٠).

الأدب هذه الأدلّة بل ولا القويّ منها لسهولة الردّ عليها، والحقّ أن الأدلّة ليست مقنعة تماماً، ويظهر ان موقف الرسول ﷺ من الشعر والشعراء لايمكن أنْ نحمله على أنّه موقف العداء فقد كان ﷺ لايعجز عن ترديد هذا البيت من الرجز في إحدىٰ غزواته:

أنا النبيّ لاكذب أنا ابن عبدالمطلب[١]

وكما يحدّثنا التاريخ الإسلامي وأمّهات الكتب الادبيّة انّ للرسول الاكرم مواقف مشرّفة اتّجاه المجتمع الجاهلي وبالخصوص الشعراء كما خلع بردته على كعب بن زهير جائزة له علىٰ قصيدته التي استهلها بقوله:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيّمٌ إثرها لم يفد مكبول[٢]

وهو أيضاً الذي فك اسر ابي عزة الجمحي الشاعر المشرك، الذي أسر يوم بدر، بشرط ان لايعين عليه بشعره[٣] وإن كان الرسول ﷺ قد أمر بقتل كعب بن أشرف الشاعر اليهودي، فلم يكن سبب ذلك إنّه بكىٰ قتلىٰ بدر، بكاهم كثير من الشعراء، ولم يامر رسول الله ﷺ بقتل واحد منهم مثل أمية بن ابي الصلت، فإنّه بكاهم وحرّض قريشاً على ان تثار من المسلمين ليوم بدر وكلّ مافعله النبيّ ﷺ اشتهر بأنّه «كان كثير الإستشهاد بشعر أميّة بن ابي الصلت، لما فيه من معان حكيمة ونظرات دينية صائبة»[٤] وقال عن شعره: «إن كاد أمية ليسلم»[٥]، «وقصص الرسول ﷺ مع كلّ من قيس بن الخطيم، والعلاء بن الحصين، والخنساء وقتيلة بنت النضر بن الحارث، وعمر بن سالم، ووغد بن تميم ... إلىٰ آخره»[٦] كلّ ذلك يثبت ان موقف الرسول ﷺ لم يكن رافضاً

---

١. جاك. س. ريسلر، الحضارة العربية، ص٨٨.

٢. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح احمد محمّد شاكر، ط٣، ج١، ص١٦٠ و١٦٢؛ وانظر شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة أبي سعيد السكري، نسخة مصوّرة من طبعة دار الكتب، ١٩٥٠م؛ ودلائل الإعجاز عبدالقادر الجرجاني، تحقيق وشرح محمّد عبدالمنعم خفاجي، ص٧٦٠.

٣. محمّد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص٩٣.

٤. د. صلاح الدين الهادي، الادب في عصر النبوّة والراشدين، ص١٩٥.

٥. المصدر السابق، ص١٩٦.

٦. انظر: المصدر السابق، ص١٩٥ إلىٰ ٢٠٢.

للشعر عامةً ومعرضاً عن الشعراء أجمعين «فهو يقبل على ماحسن ووافق من الأشعار الجاهلية مالم يتضمّن ماينافي روح الإسلام وتعاليمه وآدابه»[١] فقد روى عن النابغة الجعدي أنه وفد على الرسول ﷺ فانشده شعره الذي يقول فيه:

بلغنا السماء مجداً وسؤدداً وانّا لنبغي فوق ذلك مظهراً

فقال له النبي ﷺ: إلى اين اباليلى؟ فقال: إلى الجنّة، فقال النبيّ: إن شاء الله.

فلما إنتهىٰ إلى قوله:

ولاخير في حلم إذا لم تكن بوادر تحمي صفوة أن يكدرا

«قال له النبيّ ﷺ: لايفضّ الله فاك فعاش مائة وثلاثين عاماً»[٢] وفي ذلك دلالة واضحة على تقبّل الرسول ﷺ للشعر وحسن استماعه له مالم يتعارض مع القيم الدينية.

والأدلّة مستفيضة في كتب الأدب على أنّ الرسول الكريم ﷺ كان يعرف للشعر قيمته وتأثيره «فهو كثيراً ماكان يستنشد الصحابة الشعر»[٣] كما أنّه كان يسمع الغزل ولاينكره من حاد يحدو.

طاف الخيالان فهاجا سقماً خيال لبنى وخيال تكتما

قامت تريك خشية أن تصرما ساقاً بخندلة وكعباً أدوما[٤]

بل أكثر من ذلك، فإنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان قادراً على أن ينظم بعض الأبيات ويرتجزها حينما تدعو إلىٰ ذلك ضرورة ومن ذلك أنّ أبا سفيان كان ينادي في أثناء معركة أحد:

أعل هبل ... أعل هبل.

فيأتيه جواب الرسول ﷺ بصوت عمربن الخطاب: الله أعلىٰ وأجلّ.

---

١. المصدر السابق، ص٢٠٢.

٢. ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج١، ص١٣٩.

٣. د. صلاح الدين الهادي، الشماخ بن ضرار الذبياني، حياته وعصره، ص١٦.

٤. أبي الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٢٠، ص٣٤٧.

فيقول أبو سفيان: لنا العز، ولاعزى لكم.

فيأمر الرسول أن يُجاب:

«اللّه مولانا ولا مولىٰ لكم»[1].

وعند دخول عساكر المسلمين مكّة المكرّمة أخذ الراية سعدبن عبادة الانصاري ونادىٰ مرتجزاً:

«اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسبىٰ الحرمة».

فامر النبيّ ﷺ أن يأخذ الراية علي بن أبي طالب وينادي:

«اليوم يوم المرحمة، اليوم تصان الحرمة»[2].

امّا فيما يتعلّق بما ذكره الدكتور الكفراوي من موقف القرآن الكريم واثره على الشعر، «فإنّ الآية الكريمة التي ذكرها لاتقصد إلى تهجين الشعر بعامّة وذمّ الشعراء اجمعين، فالمراد بالشعراء المذمومين في الآية، الشعراء المشركون الذين يتبعهم غواة الناس وسفهاؤهم»[3].

ولعلّ مثل هذا الفهم للآية الكريمة يستقيم مع ماذهبت إليه الدكتورة عائشة عبدالرحمن «من أن الرسول ﷺ لو فهم من هذه الآية مثلما فهمه أولئك النقّاد الذين يتخذونها دليلاً علىٰ معاداة الإسلام للشعر، لما لجا إلى تشجيع الشعراء وندبه لهم لنصرته»[4] وهو فهم قريب لما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف، الذي يرى «إنّ القرآن الكريم إنّما يهاجم الشعراء الوثنيين، امّا الذين اتبعوا هديه وآمنوا برسوله فإنّه يستثنيهم، بل انّ الرسول ليدفعهم دفعاً إلىٰ نصرته، إذ يقول لحسّان بن ثابت: «اهج قريشاً فواللّه

---

١. السيرة النبوية لابن هشام، نقلاً عن الشعر ونضال الوحدة في صدر الإسلام، د. عادل البياتي، مقال في مجلة *المستقبل العربي*، السنة الثالثة، العدد ١٧، يوليوا ١٩٨٠م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص٣٨.

٢. محمّد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٥٤.

٣. صلاح الدين الهادي، الادب في عصر النبوّة والراشدين، ص١٩١.

٤. عائشة عبدالرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، ص٧١.

لَهجاؤك عليهم أشدّ من وقع السهام في غلس الظلام؛ أهجهم ومعك جبريل روح القدس»، ومن البديهي إنَّ حساناً عندما اعتنق الإسلام كدين وترك الجاهلية فلابد أن يلبس العقيدة الجديدة، ويعتنقها بكلّ نواياها بذلك هو يصوّرها ويتمثل بها بقدر ماتتجسد في نفسه[١].

والدكتور شوقي ضيف هو احد الّذين يرون «أنّ تأثير الإسلام على الشعر يتمثل في تدهور وضعف ذلك الشعر، أو على الأقل تسبب في «كلاسيكية» وتجمده، فهو مثلاً يورد «كلاسيكية» حسّان بن ثابت في أشعاره الإسلامية وكذلك «كلاسيكية» كعب بن مالك، إلى أنّ المعاني الجاهلية القديمة كانت متمكّنةً من نفسيهما وقد وجّه الرسول ﷺ نفسه حسّاناً هذه الوجهة، إذ قال له: «إذهب إلى ابي بكر فليحدّثك حديث القوم وأيامهم واحسابهم، ثم اهجهم وجبريل معك»[٢] وقد أدّىٰ ذلك كما يرى الدكتور شوقي ضيف إلى أنّه «لم يحدث إنقلاب في هجاء المسلمين للمشركين بتأثير الإسلام، إلاّ في حدود ضعيفة ويتّضح ذلك بالمقارنة بين هجائهم ومثاليّة القرآن الكريم في الهجاء، فهو لايقذف في الاعراض ولايتوعّد بغارة تسبى فيها الأطفال والنساء وتسيل الدماء، وانما يتوعد بعذاب النار»[٣].

والمفهوم من الفكر الجديد جاء مصلحاً للمجتمع الجاهلي ومغيّراً لمفاهيمه البالية، مفعماً بالأخلاق العالية والمُثل القيّمة التي فيها إنقاذ للبشرية من الظلمات إلى النور، فلايمكن لمثل هذه القيم ان تجدّد محن الجاهلية وأيامها البالية وعنعناتها القبلية بل تمحو كلّ ذلك بفتح سجل جديد لهذا المجتمع ولغيره.

ويبدو من هذه الآراء ان الدكتور شوقي ضيف أميل في كثير من الأحيان إلى التقليل من أثر الإسلام في الشعر في هذه الفترة، فهو يلاحظ في استقرائه لفن الهجاء «إنَّ هجاء حسّان بن ثابت وشعراء الرسول لقريش وشعرائها ظلّ غالباً في حدود

---

١. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص١٣.
٢. المصدر السابق، ص١٥.
٣. المصدر السابق، ص١٦.

الصورة الجاهلية القديمة إلاّ خيوطاً إسلامية متناثرة ولكنّها لم تؤثّر في النسيج العام تاثيراً واسعاً»[١]، وهذا امـر يلاحظه الدكـتـور شـوقي ضيـف في فن المديح خـاصّة في بردة كعب بن زهير[٢] «وعلى الرغم من ان الإسلام عمل علىٰ ضعف الشعر، فإننا يمكن ان نستشف ذلك من بين السطور بطريقة غير مباشرة، وخاصّة عندما يؤكد على التهوين والتقليل من أثر الإسلام على الشعراء، وعندما يقسّمهم إلى شعراء لم يتاثروا بالإسلام كالحطيئة»[٣]، «وإلى شعراء بهم خيوط إسلامية كالشماخ بن ضرار الذبياني، ولبيدبن ربيعة والنابغة الجعدي، وسويدبن كاهل وعبـدة بن الطيب»[٤] وعلى كلّ حال فإنّ تصنيف آراء الدكتور شوقي ضيف ضمن آراء الفئة القائلة بانّ الإسلام عمل على إضعاف الشعر في الفترة المبكرة، هذا التصنيف ينطوي على مغامرة ينبغي التحرّز منها؛ ذلك لِانّ الدكتور شوقي ضيف يعود في مؤلف آخر فيثبت للإسلام اثراً قوياً على الشعر، ويجعله سبباً من أسباب إزدهاره إلىٰ درجة يقترب كثيراً من التناقض والتردد بين الموقفين، مثلما نلاحظ في تاكيده على: «انّ الشعر لم يتوقف ولم يتخلّف في صدر الإسلام»[٥]، «بل إنّه ظلّ مـزدهراً دون ان يعـتـرضـه ضـعـف او توقف»[٦]، بدليل انّه لايوجد في العصر حدث كبير إلاّ وكان الشعر يواكبه ويرافقه بدءاً من جهاد الرسول ﷺ لنشر الإسلام في الجزيرة العربية، وجهاد ابي بكر في محاربة أهل الردة إلى أحداث الفتوح الإسلامية وأحداث فتنة عثمان وماتلاها من حروب وفتن، والحروب التي حدثَتْ في خلافة عليّ اميـر المؤمنين عليه السلام كالجمل وصـفين والنهروان وغيرها من الأحداث، خلقت سوقاً جديداً للشعر في هذه المحن، لعلّ هذه الأحداث نجدها على حدّ تعبير الدكتور شوقي ضيف: «ماثلة على ألسنة الشعراء الذين إستضاءوا في

---

١. المصدر السابق، نفس الصفحة.

٢. المصدر السابق، ص١٧.

٣. المصدر السابق، ص١٨.

٤. المصدر السابق، ص١٩ ومابعدها.

٥. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص٤٢.

٦. المصدر السابق، ص٤٢ و٤٣.

تصويرها إلى حدّ كبير بالإسلام وهديه الكريم»[١]، ولم تقف حماسة الدكتور شوقي ضيف لفكرة إزدهار الشعر في صدر الإسلام عند هذا الحد، بل نراه يتجاوز ذلك إلى تنفيذ آراء القائلين بغير ذلك من المفكرين، على نحو مافعل مع إبن خلدون في مقدّمته التي نوّه فيها إلى «انصراف العرب عن الشعر وإنشغالهم عنه في أوّل الإسلام»[٢]، ولاشك أنّ مثل هذه الآراء لاتتفق ولاتتسق مع ماجاء في كتاب التطور والتجديد في الشعر الأموي، الذي أشرنا إليه آنفاً، وفي مقابل ذلك ظهرت بعض القبائل عند إعلان الإسلام انظمّوا اليه بدون أي ضغط او تكليف وذابوا في بودقة الفكر الاسلامي الجديد، ولعلّ القائلين بمثل هذه الآراء يستندون في آرائهم تلك إلى حقيقة نلمسها كثيراً في بحوث وكتابات دارسي الحضارة الإسلامية، ويؤدي هذه الحقيقة «إن انتقال العرب من الحياة الجاهلية بجميع مقاوماتها إلى حريات الإسلام بمقوماتها الجديدة لم يكن انتقالاً سهلاً حتى في عهد الرسول ﷺ نفسه»[٣]، «فها هي ذي قبيلة بكر مثلاً تطلب من الرسول ﷺ أنْ يمهلها حتىٰ تغير على قبيلة تميم ثم تعتنق الإسلام، وهذا يصوّر بوضوح تمسّك العرب في عاداتهم القديمة وإنّهم لم يتحوّلوا عنها إلى شعور إنساني عام إلاّ بعد جهاد طويل عنيف»[٤].

ب) الآراء التي تقول بانها لاأثر للإسلام علىٰ الشعر في عصر صدر الإسلام:

وهم الفريق الذي يقول بنفي هذا الأثر في ذلك العصر المبكّر للإسلام أو بإثبات أثر ضئيل لايكاد يذكر ولايتناسب مع ماقام به الإسلام من تحوّل جذري في مجتمع العرب، أمّا الأثر الرئيسي الذي لحق بالشعر بسبب الإسلام، فمعظم أصحاب هذا الفريق يؤجلونه إلى العصر الأموي أو العباسي، أو بالتحديد إلى الزمن الذي تطوّر

---

١. المصدر السابق.

٢. المصدر السابق، ص٤٣.

٣. شكري محمّد عياد، الحضارة العربية، رقم ١٧٢.

٤. خودابخش، الحضارة الإسلامية.

ونما فيه الإتجاه العذري في الغزل.

وقد تأخّر ظهور الأثر الإسلامي في الشعر بسبب عدّة عوامل يصوّرها بعض الباحثين «بأنّ التقاليد الشعرية الجاهلية كانت ذات قوّة وأثر جارف»[١]، أو «بأنّه من البديهي لن ينتهي عصر من العصور الأدبية في وقتٍ محدّد، ويبدأ عصر ثانٍ في وقت آخر معلوم على نحو ماتقوم الدولة في التاريخ السياسي بين يوم وليلة، ويحدث الإنقلاب في نظام الحكم بين لحظة وأخرى»[٢].

ولعلّ هؤلاء الباحثين يقيمون رأيهم على هذا التمايز النوعي ـ وليس الفصل التام ـ بين التاريخ الأدبي والتاريخ السياسي، وهم لاشك محقّون بذلك إذ إنّنا لانطمح أن نتوقّع من الشعر خاصّة والأدب عامة، أن يساير زمنياً المراحل التاريخية أو العصور السياسية، صحيح أنّ هناك ارتباطاً بين الأدب والتاريخ، بين الشعر والسياسة، بين الفن والواقع، ولكن هذا الإرتباط ليس آلياً أو مباشراً، وهذا يختلف مع الراي القائل أنّه للفن الذي يصوّر لنا كلّ حالات المجتمع فهو بهذا مساير لكلّ حركات المجتمع، رسماً لحروبهم ومناسباتهم؛ فهو في كلّ الأحوال آلة تلتقط صوراً للمجتمع تواكب أحداثه المتغيرة، فنلاحظ حادثتي الغدير وحجّة الوداع، ولقد سجّلها الشعراء بقصائد خلدها التاريخ.

وقد كتب الاستاذ يحيى الجبوري بحثاً كاملاً عن شعر المخضرمين واثر الإسلام فيه[٣] إنتهىٰ إلى أنّ «شعر المخضرمين بقي في غالبه محافظاً على سيرته الجاهلية وأسلوبه، متمسكاً بالمثالية التي كان يصدر عنها الشعر قبل الإسلام»[٤]، «والباحث لايكاد يجد أثراً للإسلام في شعر المخضرمين إلاّ في بعض القصائد والمقطوعات التي صدرت عن شعراء المنية بالذات؛ أما من حيث عموم الشعر، فالنهج الجاهلي هو

---

١. جوستاف جرونباوم، حضارة الإسلام.

٢. د. سعيد حسن منصور، حركة الحياة الادبية بين الجاهلية والإسلام، ص٦٦.

٣. يحيىٰ الجبوري.

٤. المصدر السابق، ص٣٤٨.

السائد في أساليب الشعراء في المديح والهجاء والفخر والرثاء»[١] وفي رأي الباحث فَإنَّ «شعر المشركين لم يعكس اي أثر للدين، فهم لم يحاولوا محاربة المسلمين بالتهوين من أمر دينهم، ولم يسفهوا آراءهم وكذلك الأمر بالنسبة لشعراء اليهود حيث لم يكن في شعرهم أثر للدين، أو رد على المسلمين، بينما كان من المتوقع ان يعكس شعر اليهود بعض المثل الدينية التي يثيرها أجيالهم»[٢].

ويرجع الباحث السبب في عدم تأثير شعر المخضرمين عامّة بالإسلام إلىٰ عدّة أسباب، منها: «أنَّ عصور الإنتقال عادة لاتسمح بإبراز ظواهر جديدة في الفن إلاّ بعد فترة تستقر فيها النفوس وتتفتح الأذهان علىٰ متطلبات العهد الجديد»[٣] وكذلك «فإنَّ الشعراء ماكان بوسعهم أنْ يتخلّصوا بسهولة من الطريقة التي الفوها في نظم الشعر وصياغة المعاني التقليدية في نفس الوقت الذي لم يكونوا فيه ليستوعبوا ويدركوا إدراكاً عميقاً واضحاً المبادئ والقيم الدينية، بحيث تؤثر في سلوكهم ونظرتهم للناس وللحياة وللشعر أيضاً»[٤]؛ «أمّا عن عدم تأثّر شعراء المشركين واليهود بالدين، فالباحث يرجع ذلك إلىٰ فقدان النصوص وطمسها من التاريخ الأدبي»[٥].

ويبدو انَّ شعر حسّان بن ثابت في الإسلام الذي داخله الضعف واللين في هذه الفترة، على النحو الذي يروى عن الأصمعي إذ يقول: «الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا «حسّان بن ثابت» فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره»[٦] فهذا كان الدليل القاطع عند هؤلاء الباحثين، القائلين بعدم تأثير عصر صدر الإسلام في الشعر، على مايقولون من آراء، فهذا باحث آخر هو الدكتور محمدحسين، يؤكّد «أنَّ شعر حسّان الإسلامي في جملته لايصوّر عاطفة

---

١. المصدر السابق، نفس الصفحة.

٢. المصدر السابق، ص٣٥٠ـ٣٥١.

٣ـ٥. المصدر السابق، ص٣٤٩.

٦. الشعر والشعراء، أحمد محمّد شاكر، ج١، ص٣١١؛ وانظر: المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص٦٣ـ ٦٥.

صادقة، ولايظهر فيه أثراً للحياة الإسلامية الجديدة، ولايبدو انَّ صاحبها قد تأثّر بها ادنىٰ تأثير». [١]

ويلجأ الدكتور محمدحسين إلى إثبات وجهة نظره عن طريق دراسة فنية لشعر حسان، حيث يرىٰ فيه كثيراً من الضرورات التي تعبّر عن شعر مرتجل قيل علىٰ عجل، ولم يعتن صانعه باحكامه، ولم يكلّف نفسه عناء مراجعته [٢].

ويقسم الدكتور محمّدحسين، شعر حسان إلى قسمين اثنين: «فهو في الاوّل يأخذ معاني القرآن فيديرها في رأسه ثم ينظمها نظماً فاتراً بعيداً كلّ البعد عن القلب والوجدان والإمتزاج بالنفس» [٣] ويحشّد الباحث أمثلة كثيرة على هذا النوع من شعر حسان الذي يسميه: «بالنظم الفاسد لآيات القرآن الكريم، والفاظه، ويؤكّد انَّ هذا النوع من الشعر لاتكاد تخلو منه قصيدة من قصائد حسّان الإسلامية الطوال» [٤] أمّا القسم الثاني من شعر حسان: «فهو شعر إسلامي جيد، ولكنه يخلو من كلّ إشارة للإسلام أو تأثّر بتعاليمه، فهو شعر انشاه حسّان على غرار الطريقة الجاهلية»، [٥] وبذلك فإنَّ الدكتور محمّدحسين يرىٰ عن طريق دراسته لحسّان، شاعر صدر الإسلام الاكبر، انّه لااثر للإسلام في شعره، وأنَّ شعره الجيد هو الشعر الذي لم يتأثّر بتعاليم الإسلام وقيمه، لو فرضنا إنَّ الإسلام هو رجع إلى الجاهلية، أي في الفترة التي أصبح الشعر بها قمّة من الجمال، لوجدنا لانشغال المجتمع الجاهلي بالدين الجديد ومفاهيمه القيّمة فيذوب الفرد الجاهلي وشاعرهم بذلك ويكون مايمكن ان ينسج من الشعر هو الذي نسجه حسّان لااكثر من ذلك، بذلك يكون من فحول شعراء العصر الجاهلي، هم لايتقدّمون علىٰ حسّان في مستواهم الشعري وهناك وجهة نظر قيّمها كبار المستشرقين وخاصّة «كارل بروكلمان» الذي كان يرىٰ: «انَّ اكثر شعر حسّان قريب الألفاظ إلىٰ حدّ الإبتذال، ولايصل إلى مستوىٰ حد رفيع وإنّما يرجع فضل انتشاره والتعلّق به في

---

١ و ٢. م. محمّد حسين، الهجاء والهجاءون ص٢١٣.

٣ـ ٥. المصدر السابق، ص٢١٤ ومابعدها.

الأزمنة المتأخرة إلىٰ غرضه العظيم الأهمية وهو مدح النبيّ ﷺ[١]. والمستشرقون في أغلب الأحيان يرون أنّ الإسلام جنىٰ على الشعر، من ثمّ فلابد أن يروا في شعر حسّان وغيره من الشعراء المسلمين الأوائل، شعراً غير ذي قيمة حتىٰ تتّسق آراؤهم، فهذا «بروكلمان» أيضاً يرىٰ: «أنّ الرسول ﷺ كان شديد الكراهية للشعر والشعراء»[٢]. وهاهو «جرونباوم» يتجاوز شعر صدر الإسلام الديني كلّه، لكي يرىٰ أنّ نهاية الطراز الجاهلي للقصيدة قد تأخرت إلىٰ عصر أبي ذؤيب الهذلي، ويستشهد ببيته الذي يعبّر عن الأمل ويقرن الماضي بالمستقبل:

يابيت خشاء الذي يتحبب ذهب الشباب وحبّها لايذهب[٣]

ونلاحظ الدكتور محمد مصطفىٰ هدارة بعد بحث مفصّل يؤكد: «إنّ طريقة التجديد في الشعر العربي قد بدأت تتبلور في العصر الأموي وتأخذ شكلاً جدياً قرب نهاية القرن الأوّل الهجري، وذلك بتأثير العوامل المختلفة في شكل حياة المجتمع الإسلامي تأثيراً خطيراً»[٤] والدكتور هدارة يرى: أنّ عصر صدر الإسلام كان خالياً من التجديد؛ لأنّه يرغب إلى الميل بأن يجعل ذلك التجديد والتطور في الشعر في العصر الأموي. ومن الواضح: لم تكن هذه إلاّ ثمرة لبذور الحياة الجديدة التي نبتتْ في القرن الأول الهجري، الذي كان عصر حضانة وإستعداد للتطور الشامل الهائل الذي حدث في حياة المجتمع الإسلامي وآدابه في القرن الثاني[٥].

ولا أريد هنا أن أستطرد في سرد شتى الآراء، ولم أقصد إلاّ إلى إيراد نماذج معبّرة عن الإتجاهات، ولم يكن الهدف حصر كلّ ماينطوي تحت هذه الإتّجاهات من آراء، فذلك الحصر بعيد عن موضوع دراستنا.

---

١. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الترجمة العربية، ج١، ص١٥٣.

٢. المصدر السابق، ص١٥٢.

٣. جرونباوم، حضارة الإسلام، ص٣٢٥.

٤. د. محمّد مصطفىٰ هدارة، الشعر العربي في القرن الثاني للهجري، ص٦٣.

٥. المصدر السابق، ص٩٩.

وإنّما أردت أن أعد لموضوع هذه الدراسة عن أبي الأسود الدؤلي، بالتساؤل عمّا إذا كان الإسلام قد أثّر في الشعر العربي، ونلمس مدىٰ هذا التأثير أنْ كان قد ثبت واستعرض آراء المؤيدين والمعارضين.

ولعلّ استعراضنا لآراء الفريقين السابقين، وهما الفريق القائل بأنَّ الإسلام أثّر في الشعر تأثيراً سلبياً عند فئة من هذا الفريق، وتأثيراً إيجابياً عند الفئة الأُخرىٰ، والفريق الثاني القائل: بنفي تأثير الإسلام في الشعر في عصر صدر الإسلام، لعلّ هذا الاستعراض أنْ يكون الغرض الذي أريد له جانب العلاقة بين التاريخ السياسي والتاريخ الأدبي.

بعد البحث والإطلاع في امّهات كتب الأدب، وجدنا آراء متباينة في قضية الصلة بين العصور والأحداث التاريخية، وهذه قضية أدلى الباحثون بآراء متباينة فيها، وأدّىٰ ذلك إلىٰ وجود عدّة خطوط لعصور الأدب العربي، إختلف فيها علماء الأدب، كلٌ علّق حسب موقفه من قضية الصلة بين العصور الأدبية والأحداث التاريخية، أي: بين الأدب والتاريخ والسياسة، فجرجي زيدان ـ مثلاً ـ يقسّم تاريخ الأدب حسب العصور السياسية، فكلّ عصر من العصور الأدبية ليس له إلاّ أن يساير العصر السياسي الذي يحاذيه من التاريخ العام، ونرى الاستاذ مصطفى الرافعي يعارض مثل هذا الربط بين الأدب والسياسة.

والدكتور طه حسين في كتابه الأدب الجاهلي يتابع الرافعي أيضاً في معارضة النظر إلى الأدب، باعتبار العصور السياسية التي ظهر فيها، والتي على أساسها، يتفرّع إلى أدب جاهلي وإسلامي وعباسي.[1]

اما عند المستشرقين فنجد أنَّ بلاشير يرفض ربط التاريخ الأدبي بالتاريخ السياسي[2]، فالعصر الأدبي للجاهلية عنده يمتدّ حتىٰ منتصف القرن الأوّل الهجري،

---

١. حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام، ص٧٥ ومابعدها.

٢. المصدر السابق، ص٩٠.

وهي الفترة التي تشمل الجاهليين والمخضرمين جميعاً[١] وذلك ما نجده أيضاً لدى بروكلمان[٢].

ونلاحظ أنَّ أكثر علماء الأدب يذهبون إلى عدم فصل العصور التاريخية بالسياسية، لأنّ العصر الأدبي هو لسان حال العصر السياسي في كلّ فترة زمنية، والحق: أنَّ قضية التاريخ الأدبي والتاريخ السياسي ومدىٰ صلتهما، يجب أن تؤخذ على أساس ان هذه الصلة التي تربطهما قد تكون مباشرة حيناً وغير مباشرة حيناً آخر، ومن ثَمَّ فإنَّ مظاهرها قد لا تتجلّى لأوّل وهلة، فهي غالباً ما، تحتاج إلىٰ زمنٍ تختمر فيه وتنضج وتتبلور، وإذا طبقنا على ذلك صلة الإسلام بالشعر والأدب، نجد انَّ تأثير الإسلام أخذ يقوى ويمتد في الأدب مع الزمن منذ إنتشار الدين وامتداد تيّار الفتوح، وقد كان عصر البعثة النبوية هو الذي شهد اوائل ذلك وأُصوله التي تنهض دليلاً يفصل مابين عصر البعثة النبوية والجاهلية من ناحية، ويبدأ به العصر الإسلامي من ناحية أخرى[٣].

العوامل المكانية والزمانية

ونحن إذا ماأخذنا في الاعتبار، طبيعة هاتين الصلتين ـ العصر التاريخي والعصر الأدبي ـ على أساس أنّها غير مباشرة، ومحكومة بعامل الزمن، واضفنا إلى ذلك الاعتبارات الجغرافية والمكانية والإجتماعية، ثمّ نظرنا إلىٰ تأثير عصر صدر الإسلام في الشعر، علىٰ ضوء هذه الاعتبارات جميعاً لاستقامت لنا نظرة أقرب إلى الموضوعية والشمولية، وبالتالي إلى الحقيقة، ولعلّ هذا ماكان يقصده الدكتور صلاح الدين الهادي في قوله: «لكي نحكم على هذا الشعر حكماً صائباً او قريباً من الصواب؛

---

١. المصدر السابق، ص٩٠.

٢. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١، ص٣٦ـ ٣٧.

٣. سعيد حسين منصور، حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام، ص١٠٨.

ينبغي أنْ ننظر إليه بمختلف البيئات المكانية والزمانية التي تفاوت فيها بين القوّة والضعف، نظراً للظروف التي احاطت في كلّ بيئة من هذه البيئات»[١].

ومثل هذه النظرة تجعلنا نفرّق بين شعر البادية، الذي كان ولايزال يعبّر عن حياتها، بكلّ مافيها من خير وشرّ، بعيداً عن اثر الإسلام[٢] وبين شعر الحواضر، مثل الحجاز ومكة والمدينة والطائف، وهو شعرٌ تأثر بعضه بالإسلام ووقف الرسول ﷺ إلىٰ جانب طائفة من شعرائه[٣].

ثم نفرّق بين هذين وبين شعر الفتوح، حيث نجد انَّ الفتوح الإسلامية كانت فاتحة خيرٍ على الشعر في هذه الفترة، فقد اذكتْ جذوة الشعر واطلقت الالسن من عقالها، بما وقعت امامهم من مواقف شبيهة بالمواقف التي الفوها والفها الشعر في الجاهلية، مع إختلاف دافعها اختلافاً كبيراً[٤].

وربما لاينسجم هذا الرأي في شعر الفتوح مع ماورد محمّدبن سلام الجمحي عن عمربن الخطاب من انَّ «الشعر كان علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهو عن الشعر وروايته»[٥]، ولكن النصوص الغزيرة التي وصلتنا من شعر الفتوح، تجعلنا نفهم عبارة عمربن الخطاب السابقة، على نحو لايجعل منها تقييماً لشعر الفتوح، فهي في الأغلب الأعمّ تقييم لألوان الشعر وفنونه الأخرىٰ التي كانت سائدة في الجاهلية، والتي تشاغلت عنها العرب في ظلّ الإسلام، ثم في ظلّ الفتوح فيما بعد، وهذه حقيقة يؤكدها مرّة أخرىٰ ابن خلدون في مقدّمته.[٦]

---

١. صلاح الدين الهادي، الادب في عصر النبوة والراشدين، ص١٨٦.
٢. المصدر السابق، ص٢٠٢ وانظر ايضاً: ص٢٠٦ ومابعدها.
٣. المصدر السابق، ص٢٠٣، وانظر ايضاً: ص ٢٢٠ ومابعدها.
٤. المصدر السابق، ص٢٨٢ ومابعدها.
٥. محمّد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص١٠.
٦. صلاح الدين الهادي، الادب في عصر النبوة والراشدين.

من الرجز

إنّا أتينا وقد طال السفر ... نَقودُ خيلاً ضُمّراً فيها ضَرر
نطعِمُها اللحمَ إذا عزَّ الشجر ... والخيلُ في إطعامِها اللّحمُ عَسر
ياقومِ إنّي رجلٌ عندي خبرْ ... اللّهُ من آياته هذا القَمر
والشمس والشّعرىٰ وآيات أُخر[1].

ويتّضح اثر الإسلام القوي في شعر النمربن تولب في مواضع أُخرىٰ من ديوانه ونسوق هنا هذا النموذج:

اعذني ربٌّ من حصر وعي ... ومن نفسٍ أعالجُها عِلاجا
ومن حاجاتِ نفسِي فاعصمني ... فانّ لِمُضْمَرات النفسِ حَاجا
وأنتَ وليها وبرات منها ... إليكَ وماقضيتَ فلاخلاجا
وأنتَ وهبتَها كوماً جلاداً ... أرجى النسلَ منها والنتاجَا
فلستُ بحارمِ الأضيافِ منها ... وجاعل دونَهم بابي رِتاجا[2]

ومن هؤلاء الشعراء أيضاً سحيم بن عبد بني الحسحاس الذي أدرك النبي ﷺ ويروي: انّ النبيّ تمثّل بشيء من شعره[3] وهو الشطر الثاني من ذلك البيت:

عميرة ودّع ان تجهزت غاديا ... كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

وقد قال إبن حبيب: انّ سحيماً أنشد رسول اللّه ﷺ قوله:

الحمدُ للّهِ حمداً لاانقطاعَ له ... فليسَ إحسانُه عنّا بمقطوعِ

فقال الرسول ﷺ: «احسن وصدَق، وإنّ اللّهَ يَشْكُرُ مثلَ هذا، ولئن سَدّدَ وقارَبَ، إنّهُ لَمِنْ اهل الجنّة»[4].

---

١. نوري حمودي القيسي، شعر النمربن تولب.
٢. المصدر السابق، ١١/٤٦ـ ٤٧.
٣. ديوان سحيم عبدبني الحسحاس، التحقيق عبدالعزيز الميمني، ص ٥.
٤. المصدر السابق، ص٦٨.

ولعلّ هذه النماذج وغيرها كثير في شعر صدر الإسلام تنهض دليلاً كافياً ومقنعاً على أثر الإسلام في الشعر، وهو الأثر الذي لاحظنا أنّ بواكيره بدأتْ مع بدايات البعثة النبوية، ثم أخذ يتغلغل ويزداد ويتّضح بمرور الوقت الكافي لثبوت الإسلام في نفوس العرب.

الخلاصة

أريد أنْ استخلص من كلّ ذلك: أنّ عصر صدر الإسلام قد شهد بداية التحوّل نحو شعر إسلامي جديد، صحيح أنّهُ شعر يستلهم البناء الفنّي للقصيدة الجاهلية من ناحية اللغة والإيقاع الذي يجري على نفس البحور القديمة، ولكنّه من ناحية أخرىٰ شعر يتحرك أحياناً كثيرة داخل مضامين إسلامية خالصة، وهي مضامين أضافت إلى لغة الشعر تعبيرات لغوية مستقاة من القرآن الكريم، أو مستندة إلى المبادئ الإسلامية في كثير من الأحيان، كما يبدو عند غالبية الشعراء المخضرمين وسنلاحظه بعد قليل، وعلىٰ ذلك فلا أرىٰ لسقوط عصر صدر الإسلام من حساب تاريخ الأدب العربي، على نحو ماأسقطه أبوالقاسم الشابي حين قسم تاريخ الأدب العربي إلى أربعة: الدور الجاهلي والدور الأموي والدور العباسي. والدور الأندلسي. وإذا كان هذا الفريق من المؤرخين والكتّاب يستند في إسقاطه لعصر صدر الإسلام إلى الدعوى القائلة بمهاجمة القرآن والرسول ﷺ للشّعر، فإنّني أريد أن أؤكّد على أنّ موقف القرآن الكريم من قوله تعالىٰ: ﴿وَالشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كُلِّ وادٍ يَهيمونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾[1] وموقف الرسول ﷺ في الغضّ من الشعر أحياناً كقوله: «لَئِنْ يَمْتَلِئ جَوفُ أحَدِكُمْ قيحاً فَيَرِيَهُ خَيرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَمْتَلِئ شِعْراً»[2] أقول: «إنّ موقف القرآن الكريم وموقف الرسول ﷺ إنّما يهدف إلىٰ تغيير الأخلاق وتبديل الطباع والإنسلاخ من عبث الشعراء

---

١. الشعراء (٢٦) الآية ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

٢. انظر: صحيح مسلم، ج٧، ص٥٠.

وتمزيقهم للأعراض وهتكهم للحرمات، لاإلىٰ نسيان الشعر والتَّجَهُّم عليه والنفور من الشعراء»[١] وبذلك يكون الدين قد وقف من الشعر موقفاً طبيعياً واضحاً «فالشعر من حيث أنّه فن رفيع يعدّ من مقوّمات الحياة لايحظره الإسلام»[٢]، يتأكّد لنا ذلك مما تواتر عن الرسول ﷺ، من أنّه «كان يستحسن الشعر ويستنشده من أهله ويثيب عليه قائله»[٣] ومن أنّه كان يقول: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً، وإِنَّ مِنَ الْبَيانِ لَسِحْراً».

وأريد انْ استخلص ثانياً أنَّ دراسة اثر الإسلام في الشعر ينبغي ألاّتسقط في شَرَكِ التعميم، فتقع بذلك في سطحية الحكم الواحد، الجامع والمانع، بل هي دراسة ينبغي لها أن تراعي التمايزات بين بيئات الشعر في صدر الإسلام، ـ وهو ماأشرت إليه منذُ قليل ـ، متعلّقاً بالاعتبارات المكانية والزمانية، ومما هو جدير بالذكر: انّ المستشرق نالينوكان ممّن ادركوا هذه الحقيقة، فنراه يضمُّ بين ألوان الشعر في صدر الإسلام ويقسّمه إلىٰ ثلاثة أقسام:

١. شعر مادحي الرسول ﷺ ممّن أسلموا او لم يسلموا، مثل كعب بن زهير والأعشىٰ ميمون بن قيس وحسّان بن ثابت وغيرهم، ومعظم هؤلاء مناهل المدن.

٢. شعر من رثُّوا الكفار وهَجَوا النبيّ ﷺ من الشعراء المكيّين مثل عبدالله بن الزّبعرىٰ وضرار بن الخطّاب النهري والحارث بن هشام بن المغيرة، وأبي سفيان بن حرب وكعب بن الأشرف وغيرهم.

٣. شعر من أسلموا ولم يهتمّوا في أبياتهم بأمور النبيّ ﷺ والدين، وهؤلاء معظمهم من أهل البادية، مثل متمم بن نويرة اليربوعي وأبي محجن الثقفي وجرول ابن أوس (الحطيئة) والشماخ بن ضرار الذبياني وعمرو بن معديكرب الزبيدي وأبي خراش خويلد بن مرّة وأبي ذؤيب الهذلي وغيرهم[٤].

---

١. عبدالحميد المسلوت، نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي، ص٨٥.

٢. د. احمد الشايب، تاريخ الشعر العربي إلىٰ منتصف القرن الثاني الهجري، ص١٠٢.

٣. الفاضل أبو العباس محمّد بن يزيد المبرد، تحقيق عبدالعزيز الميمني، ص١٥.

٤. نالينو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتىٰ عصر بني أمية، ص١٠٤ ومابعدها.

الباب الثاني

أثر الاسلام علىٰ الشعر

علىٰ أنَّ هناك فريقاً من الشعراء المخضرمين نستطيع أنْ نلمس في شعرهم لمحات من آثار الاسلام وبصماته، وسنكتفي بالإشارة إلىٰ أهم هؤلاء الشعراء ومنهم أبوزييد الطائي، الذي نجد في ديوانه قصيدتين في رثاء عثمان وعلي بن أبي طالب عليه السلام[1] «وعلىٰ الرغم من عُمْر أبي زبيدة الطائي الطويل، ـ الذي قضىٰ معظمه في الجاهلية، فلم تظهر علىٰ شعره الطريقة التقليدية التي سار علىٰ منوالها القدامىٰ من الشعراء، وتابعهم بعض المخضرمين، ـ فهو لم يقف علىٰ طَلَلٍ، كما وقف امرؤالقيس وعبيد وطرفه وزهير»[2]، ومن هؤلاء الشعراء ايضاً عمربن احمد الباهلي، الذي كان المديح أهمَّ موضوعات شعره، وهو يمزج فيه بين المعاني الجاهلية الموروثة والمعاني الإسلامية الجديدة، إذْ يصف ممدوحه بمضاء العزيمة وبالجود الفيّاض وبحماية الجار والمحافظة علىٰ

---

١. شعر ابي زبيد الطائي، جمعه وحققه: نوري حمودي القيسي:

٢. المصدر السابق، ص١٧.

الاعراض بعراقة الاصل، وكل هذه المعاني مما ارساها الجاهليون، وأكثروا من تردادها، ولكن إضافةً اليها معاني اسلامية جديدة في مديحه لبعض ولاة الأمصار الاسلامية، إذ يصفهم بالإخلاص في العمل ابتغاءَ مرضاة الله، وبقيادة الجيوش قيادة حكيمة، وبفصلهم بين الحق والباطل واتّباعهم للعدل[١].

ومن هؤلاء الشعراء خفاف بن ندبة السلمي، الذي مدح ابابكر لِأنّهُ قاوم المرتدين وأعادهم الىٰ جادة الاسلام[٢]، كما تردّدتْ بعض المعاني الإسلامية في قصيدة أُخرىٰ في رثاء أبي بكر[٣].

ومن هؤلاء الشعراء، النمربن تولب الذي قدم علىٰ الرسول ﷺ ومدحه مرتجزاً:

ويتّضح أثرُ الاسلام القوي في شعرالنمربن تولب في مواضع اخرىٰ من ديوانه ونسوق هنا هذا النموذج:

أعــــذني ربّ من حَصْرٍ وعَيٍ ... ومن نَفْسٍ اعــاجلهــا عــلاجــا
ومن حــاجــاتِ نفس فــاعـصـمْني ... فإنَّ لمضـمـرات النفسِ حــاجــا
وانتَ وليّهـــا وبرأت منهـــا ... إليكَ ومــا قـضـيتَ فـلاخِلاجــا
وأنتَ وهـبـتُهـا كـومـاً جـلاداً ... ارجىٰ النسل منهـا والنتـاجـا
فلسـتُ بحـارمِ الاضـيـافِ منهـا ... وجــاعـلَ دُونهـم بابِي رِتـاجـا[٤]

ومن هؤلاء الشعراءِ أيضاً سحيم بن عبد بني الحسحاس الذي أدرك النبي ﷺ. ويروىٰ أنَّ النبي تَمثّلَ بشيء من شعرهِ[٥] وهو الشطر الثاني من ذلك البيت:

عـمـيـرة ودّع إنْ تجـهـزت عـاديا ... كفىٰ الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وقد قال ابن حبيب: إنَّ سحيماً أنشد رسول الله ﷺ قوله:

---

١. شعر عمرو بن احمر الباهلي، جمعه وحققه حسين علوان.

٢. شعر خفاف بن ندبة السلمي، جمعه وحققه نوري حمودي القيسي.

٣. المصدر السابق، ج١٨، ص٩٩ ـ ١٠١.

٤. المصدر السابق، ج١١، ص٤٦ ـ ٤٧.

٥. ديوان سحيم بن عبد بني الحسحاس، التحقيق: عبدالعزيز الميمني، ص٥.

الحـمـد للّه حـمـداً لاانقطاع له　　　فليس إحـسـانه عنّا بمقطوع

فقال الرسول ﷺ: «احْسَنَ وَصَدَقَ، وَإنّ اللّهَ يَشْكُرُ مِثْلَ هذا ولئِن سَدَّدَ وقارَبَ، إنَّهُ لَمِنْ أهلِ الجنّة»[١].

ولعلّ هذه النماذج وغيرها كثير في شعر صدر الاسلام، وتنهض دليلاً كافياً ومقنعاً علىٰ اثر الاسلام في الشعر، وهو الأثر الذي لاحظنا انّ بواكيره بَدَأَتْ مع بدايات البعثة النبويّة، ثم أخذ يتغلغل ويزداد ويتّضح بمرور الوقت في نفوس العرب.

عصر ابي الاسود الدؤلي، والآثار السياسية والاجتماعية في نهاية عصر صدر الاسلام

رأينا فيما سبق، كيف انّ الاسلام في عصر النبوة والخلفاء الراشدين قد بدأ يؤثّرُ في الشعر العربي ويترك بصماته الواضحة عليه، ومهما يكن من امر الآراء المتباينة التي عرضنا لها في هذا الصدد، فانّ الحقيقة التي خرجنا بها من هذا العرض، هي انّ هناك قدراً من التاثير الاسلامي لايمكن إنكاره في بعض النماذج الشعرية التي تخلّفَتْ لنا من تلك الفترة، ولئن كان هذا التاثير يبدو متواضعاً بالقياس الىٰ مايمكن ان نتوقعه، فمرد ذلك الىٰ انّ هذا التاثير المتواضع نسبياً لم يكن مجرد إرهاص بالتاثير الفعلي والعميق، الذي سيؤتى أكله ناضجاً غير فجٍّ في الفترة اللاحقة، اي في الشعر الاموي، فإنّهُ ماكاد يمرُّ علىٰ وفاة الرسول ﷺ عشرون سنة، حتىٰ بدأت وثبة أدبية جديدة أدّتْ الىٰ اتّساع نطاق الشعر العربي ووغول إغواره[٢].

والحقيقة انّ هذه الوثيقة، او هذا التطور الذي لحق بالشعر في العصر الاموي، لم يَأتِ من فراغ، ولايمكن فصله عمّا جَدّ من ظروف وملابسات واوضاع جديدة، طرأتْ علىٰ الاسلام والمسلمين في أواخر عصرالخلفاء الراشدين، ثم في العصر الاموي، وهي ظروف إنعكَسَتْ بطبيعة الحال علىٰ الشعر، وعَبَّرَ عنها الشعر وتفاعل

---

١. المصدر السابق، ص٦٨.

٢. جوستاف جرونيباوم، دراسات في الادب العربي، ترجمة د. عباس احسان، أنيس فريحة، د. محمد يوسف نجم وكمال يازجي، ص١٤٣.

معها ، فلقد عَصَفَتْ بالمجتمع الاسلامي أحداث الفتنة الكبرىٰ التي انتهت باستيلاء معاوية بن أبي سفيان علىٰ الخلافة ، وماتلا ذلك من إنتقال حاضرة الدولة من المدينة الىٰ دمشق وإمتداد حدود البلاء الإسلامية نحو الشرق ونحو الغرب بعد حركة الفتوح الخاطفة ، الّتي إجتاحَتْ العراق وفارس والشام ومصر وإفريقية ، وتحوّلَ المجتمع العربي الىٰ مجتمع اسلامي تشارك العناصر الاجنبية في بنائه ، كما تشارك حضارات الام التي انضوت تحت لواء الاسلام في تطويره ، وهجرة بعض القبائل العربية من منازلها في الجزيرة العربية الىٰ أرجاء الدولة الاسلامية العريضة الممتدّة من سور الصين الىٰ بحر الظلمات ، لتستقرّ بها وتمارس حياتها الجديدة في ظروف طبيعية وحضارية مختلفة .

«لقد أخذ المجتمع الاسلامي في ظل هذه الظروف الجديدة يتطوَّر تطوّراً بعيدَ المدىٰ ، ومع هذا التطور السياسي والاجتماعي بدأ الشعر حركتَه نحو التطوّر والتجديد»[١] .

هذه هي الخطوة العامة العريضة التي اعتورت المجتمع الاسلامي في ذلك الحين وعملت علىٰ تغيير أوجُهِ الحياة فيه ، ذلك التغيير الذي سيعكس علىٰ الشعر مزيداً من التأثير ويدفعه نحو آفاق أبعد من الجِدَّةِ والتطوّر وسنحاول انْ نفصل هذه الخطوط العامة قليلاً حتىٰ نتعرَّفَ علىٰ عناصرها ، ومن ثَمَّ نستطيع انْ نَضَعَ ايدينا علىٰ عوامل ذلك التطوّر ومظاهره .

وبطبيعة الحال لن نخوض في الدقائق التاريخية والأحداث التفصيلية إلاّ بالقدر اليسير الذي يقتضيه موضوعنا ، حتىٰ لانخرج بالبحث عن حدوده الادبية الىٰ دائرة التاريخ من جهة ، ومن جهة أخرىٰ فانَّ الاحداث التي سنشير اليها ، هي أحداث معروفة وتناولتها الكثير من المصادر التاريخية القديمة بإسهاب ، فضلاً عن البحوث المعاصرة التي يكاد يخطئها العد .

---

١ . يوسف خليف ، حركات التجديد في الأدب العربي، ص٣٩ ـ ٤٠ .

ظهور الأحزاب والفرق الاسلامية

يختلف الباحثون في تحديد الموقف الذي نشأت منه الاحزاب والفرق الاسلامية وتاريخه؛! وإنْ كانوا يذهبون الىٰ مابعد وفاة الرسول ﷺ. ولكن بعضها تبلور في زمن الرسول كما هو ظاهر مذهب بعضهم الى انَّ التشيّعَ اقدمُ مذهبٍ ظهر في تاريخ الاسلام، وإنَّهُ نشأ في عهد رسول الله ﷺ، وإنَّ اربعةً من كبار الصحابة قد عُرفوا بالتشيُّع؛ هم: ابوذر، وسلمان، والمقداد، وعمار[1]. والاختلاف الذي حدث في موضع دفن النبي ﷺ حيث أراد أهل مكة ردَّهُ الىٰ مكة لأنها مولده ومبعثه وقبلته وبها قبر جَدِّهِ اسماعيل عليه السلام وأراد أهل المدينة دفنه بها لأنّها دار هجرته ودار أنصاره، وقال آخرون بنقله الىٰ أرض القدس ودفنه ببيت المقدس عند قبر جدِّه ابراهيم الخليل عليه السلام.[2]

وفيما يتّصل بِدَفن الرسول ﷺ روى لهم ماسمعه عنه، من: «انَّ الانبياء يدفنون حيث يقبضون»[3] ويذكر لنا البغدادي: «إنَّ ثالث خلاف بين المسلمين كان حول الامامة»[4] وبذلك نُصِبَتِ السقيفة لحلِّ نزاعٍ من المسلمين: مهاجرين وأنصار، وترك وصية رسول الله في خطبة الوداع والغدير، الذي حدد لهم مسار الحياة والخلافة، بقوله ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا عليٌّ مَوْلاهُ، اَللّهم والِ مَنْ والاهُ وعادِ مَنْ عاداهُ وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ... » الىٰ آخر الخطبة، وإن كان جماعة من الصحابة كانت ترىٰ انّ علياً افضل من ابي بكر وعمر وغيرهما، وان بين من كان يرىٰ هذا الراي عماراً وأباذر وسلمان الفارسي وجابربن عبدالله وابناء العباس وأبي بن كعب وحذيفة وكثيراً غيرهم[5].

---

١. احمد عارف الزين، مختصر تاريخ الشيعة، ص١٠ـ ١١؛ نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٩١.

٢. عبدالقاهربن طاهربن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٢ ومابعدها.

٣. المصدر السابق، ص٥٧٣.

٤: عبدالقاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٣.

٥. احمد امين، فجر الاسلام، ص٢٦٧؛ نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٩٢.

أمّا الأشعري فَإنّهُ يغضُّ النّظر عن هذين الخلافين الْأولين ويعتبر الامامة أول ماحدث بين المسلمين من إختلاف[١]؟ والحقيقة أنّ مشكلة الإمامة أوّلُ امتحان حقيقي عسير يواجهه المسلمون ويختلفون فيه شيعاً وأحزاباً، يواجه بعضها بعضاً طوال عدّة قرون، بدأ من وفاة الرسول ﷺ، مضحّين في سبيل ذلك بالوقت والجهد والمال والدم، خلال عشرات الحروب والمعارك التي شهدها التاريخ الاسلامي منذ فجره الباكر.

«وفي عهد الخلفاء الراشدين ظَلّتْ مشكلة الخلاف حول الامامة كامنة تحت السطح، دون أنْ تجد الفرصة للظهور، خاصةً حين كان المسلمون مشغولين بجهاد اعدائهم ومواصلة فتوحاتهم»[٢]، «وهذا هو ماحدث في خلافة الشيخين، ابي بكر وعمر (حتىٰ إذا صارت الخلافة الىٰ عثمان بن عفّان) حينئذ اصبحت الظروف مهيأة من جديد لظهور المشكلة، وكان ماكان مما هو معروف عن ثورة المسلمين على عثمان» وقتله سنة ٣٥هـ. ثم مبايعة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام[٣]. ومنذ اللحظة الاولىٰ التي دانت السلطة مجتمعة لمعاوية، بعد صلحه مع الامام الحسن عليه السلام، أعلن الخلافة وقيام الملك، فقد صلّىٰ بالنخيلة الجمعة ثم خطب الناس فقال: «إنّي واللهِ ماقاتلتكم لاتُصلُّوا ولِتَصوموا ولالِتَحُجُّوا ولالِتزكُّوا، إنّكُمْ لَتفْعلونَ ذلكَ، وانّما قاتَلْتُكم لِاتأمّرَ عَليكم، وقد أعطاني اللّهُ ذلكَ وأنتم كارهون» وهكذا أشار معاوية الىٰ الاساس الخلافي الجديد الذي سيحلُّ محل الرابطة الدينية القديمة «وهو طاعة الامة لرئيسها الدنيوي»[٤] ويذهب

---

١. ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري، مقالات الاسلاميين واختلاف المسلمين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الجزآن الاول والثاني، ص٣٩.

٢. احمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربي، ص١٠٥.

٣. د. احمد شبلي، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ج١، ص٣٢٤.

٤. نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص ٧١ ـ ٧٢، وقد حمد العقلاء من المسلمين صنيعه هذا، ولكن معاوية فسر هذا الموقف تفسيراً دنيوياً بحتاً فرآه دليلاً علىٰ الضعف، ومن ثم بدأ معاوية بخطة تستهدف إبادة أهل البيت والتنكيل بهم وتلويث سمعتهم الىٰ حد اتّهامهم بالكفر.

ولم يكن معاوية يلجأ الىٰ السيف وحده لتحقيق اغراضه وإنّما كان ينثر الذهب معه، وهو الذي اعطىٰ ٤٠٠ الف درهم لسمرة بن جندب ليروي انّ علياً هو المقصود بالآية القرآنية: «وَمنَ النّاس مَنْ يُعْجبُكَ قَوْلُهُ في ←

بعض المؤرخين الىٰ انّ المسلمين قد عَدُّوا انتصار بني امية وعلىٰ راسهم معاوية انتصاراً للارستقراطيةالوثنية التي ناصبت رسول الله ﷺ العداء.

«وان دل ذلك على شيء فإنما يَدلُّ علىٰ دُهائه في مداهنة الناس»[1] فقد كان يفهم نفسية الشعب، ويعتقد انَّ القوم لن يسلموا اليه امرهم عن حبّ ورضا، ولكنه مَلَكهم قهراً، فقد «قدم المدينة بعد عام الجماعة فدخل دار عثمان بن عفان، فصاحت عائشة بنت عثمان، وبكت ونادت اباها، فقال معاوية: يابنة أخي، انَّ الناس اعطونا طاعة واعطيناهم اماناً، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، ومع كل انسان سيفه، ويرىٰ موضع اصحابه، فإنْ نكثنا بهم نكثوا بنا، ولاندري أعلينا تكون أم لنا، ولان تكون إبنة عم اميرالمؤمنين خير من ان تكون امرأة من عرض الناس».[2]

«ولعل اهم واخطر ماترتَّبَ علىٰ إنتقال مقاليد الامور الىٰ الأمويين هو انّ السلطة تحوّلتْ في عهدهم من الخلافة الدينية الىٰ الملك السياسي»[3] فمنذ أن آلت الخلافة الىٰ معاوية، لم يصبح لها الطابع الذي كان ايام الخلفاء الراشدين، فقد صارت ملكية في مظهرها ونظامها، «ولا يميزها من ملكية الفُرس والروم الا انضواؤها تحت لواء الاسلام».[4]

«واصدق تعبير عن هؤلاء الأمويين، أنَّهم كانوا «ملوكاً» دنيويين اكثر منهم خلفاء

الحياةِ الدُّنْيَاوَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَىٰ مافي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصامِ» (البقرة(٢) الآية ٢٠٤) ودفع معاوية لمن يقول: إنّ قاتل أميرالمؤمنين علي هو المقصود بالآية: «وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْري نَفْسَهُ ابتغاءَ مَرضاةِ اللّه» (نفس السورة، الآية ٢٠٧) وهكذا وصل الامر الىٰ حد استخدام آيات القرآن لإتهام من تريده السياسة الاموية أو تبرئة من تريده... انظر في هذا: جريدة الاهرام، العدد ٣٤٨٧٤، السنة ١٠٨، في ٦/٦/ ١٩٨٢، احمد بهجت، تاريخ الآداب العربية، نالينو، ص٢٧١.

١. ابن الاثير، الكامل في التاريخ (ارجع علىٰ سبيل المثال الىٰ حكايته مع بُسربن ارطاة، ج٤ ص٥).

٢. ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، ج٣، ص١٢٦.

٣. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج٢، ص٢٢.

٤. احمد محمد الحوفي، ادب السياسة في العصر الاموي، ص ٢٠، وانظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، الجزء الثاني من المجلد الرابع عصر الايمان، ترجمة محمد بدران، ص٨١.

دينيين، فلم يكونوا يعنون كثيراً بامور الدين، ولم يعطوا أهمية خاصة لما كان عليه العمل في عهد الرسول واصحابه، كما انَّ وُلاتهم وحاشيتهم، كانوا علىٰ مثالهم في هذه الناحية، كانوا فيما يتعلق بامور التشريع يسيرون حسب «الظرف السائد» يحتكمون الىٰ فهمهم واجتهادهم وحده»[1].

يتبين مما سبق كيف إنَّ الصراع بين الامام علي عليه السلام ومعاوية انتهىٰ الىٰ تفجير مشكلة الامامة التي كانت قد اثيرت عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وشغلت مكاناً في الفكر الاسلامي منذ عهده الباكر وأدّتْ الىٰ ظهور الاحزاب علىٰ المسرح الاسلامي[2] بشكل واضح نتيجة إنقسام العالم الاسلامي الىٰ فرق وجماعات تختلف حسب وِجهة نظرها وانتماءاتها في الصراع الدائر علىٰ مستوىٰ الفكر والواقع.

الحياة السياسية وآثارها علىٰ الشعر

وحقاً عندما إنتهىٰ امر الخلافة الراشدة الىٰ معاوية «فظهر تاريخ جديد لرجل يسعىٰ وراء مصالحه الشخصية وجوهرها أنْ يتآمرَ علىٰ المسلمين وأنْ يحاربهم ليجعل الخلافة ملكاً كسروياً»[3] ومثلما كان نظام القبيلة في الجاهلية يحتاج الىٰ الشاعر ليؤيّده ويحميه، وكذلك إحتاجت الأمة الاسلامية في عصر النبوة الىٰ تعبئة وجدانية يتولاها الشعراء، «فقد إحتاج الوضع الجديد الىٰ الشعر يؤيّده ويناضل عنه ليتمكّنَ من نفوس الجماهير»[4] «وفي الوقت نفسه ظهرت مجموعة معارضة يمكن تسميتها باحزاب المعارضة السياسية»[5] ولم تتقبّل هذا الوضع الذي فرضه الأمويون، بل أصرّتْ علىٰ المقاومة بالكلمة احياناً وبالسيف حيناً آخر، وقد إحتاج هذا الجهاد الىٰ سلاح الشعر

---

١. د. علي حسن عبدالقادر، نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي، ص١٠٧ـ١٠٨.

٢. محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الاسلامية.

٣و ٤. د. نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٧١ـ٧٢؛ د. عائشة بنت عبدالرحمن، قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر.

٥. احمد شايب، تاريخ الشعر السياسي، ص٢٢٤.

ايضاً كما هو الحال لدىٰ الامويين ولدىٰ الاحزاب السياسية الأخرىٰ.

ونلاحظ كل الأحزاب المعارضة للنظام الجديد وجدت أنّ الحكومة إنحرفت عن النظام الاسلامي ممّا أدّى الىٰ توحيد صفوف المعارضة من أجل إسقاط الحكومة الفرديّة لمعاوية، علماً أنّ هذه الدعوات والأحزاب تختلف في الهدف ولكنْ لوجود العدوّ الواحد وهو القاسم المشترك بينهم، والهدف هو مقاومة الحكومة الأمويّة وإسقاطها.

ولعلّ أساس الخلاف بين هذه الاحزاب المعارضة للحكم الاموي يقوم حول الإمامة او كما يُسمّيها البعض« نظرية الخلافة»[1] واحاول الآن انْ ألقيَ بعض الضوء ـ بالقدر الذي يخدم بحثنا ـ حول أهمّ الأحزاب السياسية وماكان لها من تاثير علىٰ الشعر وأقصدُ بذلك حزب آل البيت أو حزب الشيعة، وتعود اهميته الىٰ انّه اولُ الاحزاب السياسية نشاة، والىٰ انّ الشعراء خَلّفوا لنا أكبر قدر من الشعر السياسي للاحزاب التي ظهرت في ذلك الوقت، هذا من جهة، ومن جهة اخرىٰ فإنّ هذا البحث مكرس لدراسة شاعر ينتهي الىٰ هذا الحزب، ممّا يدعونا إلىٰ بسط القول في شعر الشيعة علىٰ العموم.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

---

١. د. يوسف خليف، حركات التجديد في الشعر العربي (العصر الكلاسيكي)، ص٤٢.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني

اسمه وصفاته

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الاول

اسمه ونسبه وكنيته

بعد البحث في أمّهات كتب الرجال والأنساب، وجدنا الدؤلي قد ذكره أكثر علماء الرجال، فهو في كتب رجال الحديث وفي أعلام النحو، وفي رجال الأدب فقد ملأت بطون الكتب في القرن الاول الهجري ـ وكما هو معروف ـ ظهر بعض الإختلاف في اسم جدّه وأبيه والاكثر في جده الثاني، وأشهر الاسماء واقربها للواقع هو ماذكره صاحب الأغاني وافقه كثير من علماء الرجال، وهو «ظالم بن عمرو بن سفيان بن بكر بن عبدمناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار».[1]

وفيما يتعلّق بالاختلاف الذي حصل في اسم أبيه وجدّه الاول، وهنالك روايات مختلفة في اسمه فتجده «ظالم بن ظالم» مرةً و«ظالم بن سارق» في اخرىٰ، وهنالك مفصّل سوف نذكره في جدول.

---

١. ابوالفرج الاصفهاني، الاغاني، ج ١٢، ص ٢٩٧، البغدادي، خزانة الادب، ج١، ص٢٥٦؛ الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ١١٠؛ ابوالفرج الاصفهاني، الاغاني، ط ١١، ص١٣٨.

وشاهد أحد الاخوة مخطوطاً في مكتبة الاوقاف ببغداد، تحت رقم «٩٧٢» لمجدالدين الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨هـ. وبه اسم ابي الاسود الدّؤلي وهو «ظالم بن عمروبن سفيان بن يعمر». [١]

وبعض المصادر جاءت بهذه التسمية [٢]: «ظالم بن عمروبن سفيان بن عمرو بن حسل بن نفاثة بن عديّ بن الدئل بن بكربن كنانة».

وآخر يذكر اسمه مختصراً [٣] «ظالم بن عمروبن سفيان» و«ظالم بن ظالم» [٤]، وهنالك شواذ المصادر ذكرت له اسماء انفردت عن غيرها، وسوف نذكرها في الجدول المعد للاسم، ويبدو انَّ الاصحَّ الاتمّ من هذه الاسماء ماشتهر. افضل المصادر وهو الاول الذي ذكره صاحب الخزانة، والاغاني، والبيان والتبيين وغيرها من امّهات كتب التاريخ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

١. د. فتحي عبدالفتاح الجهني، ابوالاسود الدؤلي، ص٩٦.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبرىٰ، ج٧ ص٩٩؛ العسقلاني، تهذيب التهذيب، ص ١٢؛ القفطي، إنباه الرواة، ج١ ص١٣، الوزيرالبكري، سمط اللآلي، ص٦٦ و٢٤٨؛ السيرافي، اخبار النحويين البصريين، ص ١١، ومخطوط على شرح كتاب سيبويه، ج١، ص٣٠٧.

٣. ابن الجزري، طبقات القراء، ج١ ص٣٤٦؛ جمال الدين الاتابكي، النجوم الزاهرة، ج١، ص١٨٤؛ المزرباني، معجم الشعراء، ص٦٦؛ ابن السكيت، اصلاح المنطق، ص١٦٥.

٤. الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٢٢٤؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ص٩ و ص١٧١ و ج٢١، ص٢٦؛ الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج٤، ص٣٣٤؛ القمي، سفينة البحار، ج١ ص٦٦٩؛ النووي، تهذيب الاسماء واللغات، ج٢، ص١٧٥.

الروايات	الاسم	الاب	الجدّ	الجد الاول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع	الثامن	التاسع	العاشر	الحادي عشر	الثاني عشر	الثالث عشر	الرابع عشر
(١)	ظالم	عمرو	سفيان	جندل	يحمر	حلس	نفاثة	عدي	بكر	عبدمناة	كنانة	خزيمة	مدركة	الياس	نهى[١]	نزار[١]	
(٢)(٣)	ظالم	عمرو	سفيان	يعمر	حلس	نفاثة	عدي	الداثل	بكر	عبدمناة	كنانة	خزيمة	مدركة	الياس	نضر	نزار[٢]	
(٤)	ظالم	عمرو	سفيان	عمرو	حلس	نفاثة	عدي	الدئل	بكر	كنانة[٣]							
(٥)	ظالم	عمرو	سفيان	عمرو	حلس	نفاثة	عدي	الدئل	بكر	عبدمناة	كنانة[٤]						
(٦)	ظالم	عمرو	سفيان	جندل	عمرو	حلس	نفاثة	عدي	الدئل	بكر	عبدمناة	كنانة[٥]					
(٧)	ظالم	عمرو	سفيان	جندل	عمرو	عدي	الدئل	بكر	كنانة	كنانة[٦]							
(٨)	ظالم	عمرو	سفيان	جندل	عمرو	عدي	عدي	الدئل	بكر	كنانة[٧]							
(٩)	ظالم	عمرو	سفيان	جندل	عمرو	عدي	الدئل	بكر	عبدمناة	مدركة[٨]							

١ . البغدادي، خزانة الادب، ج١ ص٢٥٦؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ١٧٠ .

٢ . الجاحظ، البيان والتبيين، ج١ ص١١٠؛ الاصفهاني، الاغاني، ج١١، ص١٣٨ .

٣ . السيرافي، اخبار النحويين البصريين، ص١١، وانظر المخطوط على شرح كتاب سيبويه، ج١، ص٣٠٧ .

٤ . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٩٩ .

٥ . ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ص ٦٩؛ الزبيدي، طبقات النحويين (مخطوط)، ص٥ .

٦ . القفطي، إنباه الرواة، ج١، ص١٣ .

٧ . ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٢٣٣ .

٨ . آل ياسين، ديوان الدؤلي .

(١٠)	ظالم	عمرو	سفيان	بكر	الدئل	بكر	عبدمناة	كنابة	خزيمة[1]								
(١١)	ظالم	عمرو	سفيان	كنانة[2]													
(١٢)	ظالم	عمرو	سفيان	يعمر[3]													
(١٣)	ظالم	عمرو	سفيان	بكر	الدئل	بكر	عبدمناة	كنانة	خزيمة	مدركة[4]							
(١٤)	ظالم	ظالم[5]															
(١٥)	ظالم	سارق[6]															
(١٦)	ظالم	عمرو	حلس	نفاثة	عدي	الدئل	بكر	خزيمة	مدركة[7]								
(١٧)	سارق	ظالم[8]															

١. الوزير البكري، سمط اللآلي، ص٦٦؛ الكشي، معرفة الرجال، ج٢، ص ٤٧٠.

٢. ابن الجزري، الغاية والنهاية في طبقات القراء، ص ٣٤٦.

٣. الطوسي، رجال الطوسي، ص ٦٩؛ الكشي، اختيار معرفة الرجال، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ج ٢، ص ٤٧٤ـ ٤٧٦؛ الاتابكي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٨٤.

٤. القفطي، إنباه الرواة، ج١ ص١٥؛ الخونساري، روضات الجنات، ج١، ص٣٢١.

٥. الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص ٢٢٤؛ الكشي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٤٧٥؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٩، ص١٧١، ج٢١، ص ٢٦؛ الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج٤، ص٣٣٤؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج٢، ص١٧٥؛ القمي، سفينة البحار، ج١، ص٦٦٩.

٦. الكشي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص ٤٧٥؛ انظر لابن معصومة: انوار الربيع، ج٢، هامش ص ٨٥.

٧. الكشي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص ٤٧٥؛ انظر لابن معصومة: انوار الربيع، ج٢، هامش ص ٨٥.

٨. الكشي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص ٤٧٥.

وذكر الدكتور عبدالفتاح الدجني في موضع اختلاف اسم الدؤلي ، فذكر منها ظالم بن سراق ، والصحيح ان ابن سراق ليس من أسماء الدؤلي ، وذكر في معجم رجال الحديث[١] في حرف الضاد ، إنَّ ظالم إبن سراق هو آحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام .
اذن ظالم اسم مشترك لشخصين صحابيين من صحابة أمير المؤمنين عليه السلام .

قدّمنا فيما سبق المصادر والمراجع التي اختلفت في اسم الشاعر ، وأمّا من حيث كنيته فقد إتفق علماء التاريخ علىٰ هذه الكنية وهي «ابوالاسود» ولايوجد إختلاف فيها .

أمّا من حيث نسبه وهو الدؤلي او الدائل ، فهو اسم احد اجداد شاعرنا .

ومن الامور المتعلّقة بهذه الكلمة عند العرب «الدئل ، الدؤل والديل» ؛ الدئل من بني بكر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار[٢] ؛ «اسرة الصحابي ابي الأسود ، والدؤل من حنيفة ، والديل من بني شن من قبائل عبدالقيس» .[٣]

وهنالك ذكر ارباب اللغة بعض المعاني في مادة دال ، فقال ابن منظور : «الدال : يعني الختل ، وقال ابن الاعرابي : الدال : عدو متقارب ، وقال ابن برّي : الدال : دويبة ، والدئل : دويبة تشبه الثعلب» .[٤]

وقال الجوهري : قال الأخفش : دالي ، المسمّىٰ بهذا الاسم ، نسب ابي الأسود الدؤلي ؛ إلاّ أنّهُمْ فتحوا الهمزة على مذهبهم في النسبة إستثقالاً لتوالي الكسرتين مع ياء النسب كما ينسب الىٰ نمر نمري ، وهنالك راي يقول : «إنَّ الدؤلي قلبوا الهمزة اذا فتحت وكان قبلها ضمة ، فتخفيفها ان تقلبها واواً محضة ، كما قالوا في جؤن : جون» .[٥]

---

١ . الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج٩ ، ص١٧١ .
٢ . ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٢ ، ص٢٩٧ ؛ البغدادي ، خزانة الادب ، ج١ ، ص٢٥٦ .
٣ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص٢١٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص٢٣٤ .
٤ . ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ٢٣٢ـ ٢٣٣ ، محي الدين النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ، ج٢ ، ص١٧٥ ؛ ابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ج٢ ، ص١٠٧ ؛ الكشي ، اختيار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٤٧٥ .
٥ . فتحي عبدالفتاح الدجني ، نشأة النحو العربي ، ص١٠٠ .

وقال ابن الكلبي: هو أبو الاسود الديلي قلبت الهمزة ياء حين انكسرت، فاذا انقلبت ياء، كسرت الدال لتسليم الياء كما تقول: «قيل وبيع»، وقال ابن دريد «الدائل: دويبة تفحص التراب وتدبّر داره وتمكن فيها.[١]

وقال السيرافي: «فإنّ أهل البصرة يقولون الدؤلي، بضم الدال وفتح الهمزة، وهو من الدؤل بن بكر بن كنانة وفتحت الهمزة، وكما قالوا في النمر النمري، وكان ابن حبيب يقول: الديل بن كنانة، والديل مهموزة مضموم علىٰ فعل الديل: الديل بن ملحم بن غالب بن ينبع بن الهون بن جزيمة بن مدركة وجماعة من النحويين منهم الكسائي».[٢]

كنيته

إنّ مصادر الرجال ذكرت شاعرنا بهذه الكنية، وهي «ابو الاسود» فقد اوردها النجاشي والكشي في رجاليهما، وهو علم من اعلام القرن الاول الهجري[٣]، وعدّه السيد الخوئي من اصحاب الامام علي والحسن والحسين والسجاد ومن الثقات والأجلاء[٤]، واختار نعمان القاضي ابرز شعراء الشيعة لذلك القرن فجاء الىٰ «أبي الاسود الدؤلي»، وكنيته اصرح من اسمه.[٥]

فهذه الكنية اشتهرت عند اصحاب الرجال وعند المؤرخين وعند الشعراء وغيرهم، فاصبحت اشهر من الاسم.

---

١. ابن منظور، لسان العرب، مادة دئل، ج ١١، ص ٢٣٤؛ ابن دريد، الاشتقاق، ص١٧٤؛ الكشي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٤٧٦؛ الجوهري، الصحاح، ج ٤، ص١٦٩٤.

٢. السيرافي، شرحه علىٰ كتاب سيبويه، مخطوط (موجود في دار الكتاب المصري، ومؤلف من ستة كتب بخط واضح لفضيلة موفق الدين عبداللطيف البغدادي) ج١، ص٣٠٨.

٣. الكشي، اختيار معرفة رجال، ج٢، ص٤٧٠.

٤. الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٩، ص١٧١، ص٢١، ص٢٦، ابن معصومة، انوار الربيع، ج٢، هامش ص٨٥.

٥. د. نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي.

لم يكن ذا بشرة سوداء، وليس له ولد اسمه أسود، على هذا اتّفق العلماء، مع هذا نجد انّ ابا العلاء المعرّي[1] في رسالة الغفران تحدّث عن السود، ووجدنا لابن شعير ثلاثة ابيات، لها علاقة بهذه الكنية، ويقول فيها[2].

لوتلففتَ في كساءِ الكسائي ... وتفريت فروة الفراء
وتخللتَ بالخليلِ واضحىٰ ... لسيبويه لديكَ عبد سبا
وتلبستَ من سوداءِ ابي ... الاسودِ ثوباً يُكنىٰ ابا السوداء
لأبى الله ان يراكَ ذوو ... الالبابِ الاّ في صورة الاغنياء

يبدو من هذه الأبيات ومما قال المعرّي انّ لون بشرته سوداء، ولكن هذا غير ثابت عند باقي علماء العصر، وجاء به الآخرون؛ هو لضرورة معنوية في عملهم الفني، فقالوا بذلك، ولم يعنوا الحقيقة في ذلك.

نلاحظ انّ أبا الأسود الدؤلي نفسه شجّع هذه الكنية، اكثر من تشجيعه لاسمه، والسبب في ذلك لِانّ اسمه ثقيل علىٰ السمع وهو ظالم، مع انّه يتنافىٰ مع مكانته الاجتماعية، الّتي بها يرعىٰ المجتمع وبيده ميزان العدل، فالحاكم والقاضي يتّصف بالعدل، فالمظلوم لايرىٰ غير ذلك في القاضي، من ذلك ابعد ظالم اسمهُ عن نفسهِ، حتىٰ لايؤثّر في نفس المظلوم.

مولده

الثابت تاريخياً: انّ ابا الأسود الدؤلي ولد في الجاهلية[3] وهذا ماأثبتته الروايات التاريخية والظاهر انّه من اليمن، وذلك واضح من لقبه ويبدو عندما كان الإمام علي في اليمن ـ في عهد رسول الله ﷺ ـ فصحبه[4] وآزره بشعره، وكان ذلك في نعومة اظفاره

---

١. عائشة بنت الشاطئ، رسالة الغفران للمعري، ص١٣٧.
٢. القفطي، انباه الرواة، ج٢، ص٥٣.
٣. السيوطي، المزهر، ج٢، ص٨٦.
٤. د. نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٥٦.

ومعظم المؤرخين ذكروا سنة وفاته التي اقترنت بحدث هامّ وقع في البصرة، وهو الطاعون الجارف[١] الذي حلّ بها سنة ٦٩هـ، وكان عمره خمسة وثمانين عاماً، فتكون ولادته قبل الهجرة بستة عشر عاماً، ومع اختلاف سنة وفاته بين ٦٧و ٦٩و ٩٩هـ. والاظهر هو ٦٩ هـ. وثابت عندنا أنّهُ كان بعمره ٨٥ سنة، بذلك يثبت لدينا ولادته قبل ١٦ عاماً من الهجرة النبويّة.

وعندما نبحث عن منازل كنانة التي ينتسب اليها شاعرنا، وذكر القلقشندي[٢] إنّ هذه المنازل في ابطن من مضر القحطانية، وإنّ ديارهم بجهات مكة المشرفة، والحديث الذي يذكره ابوالاسود الدؤلي عن عمربن الخطاب يقول فيه: أتيت المدينة فوافيتها وقد وقع فيها مرض، فهم يموتون موتاً ذريعاً، فجلست الىٰ عمر بن الخطاب فمرّت به جنازة فاثنىٰ علىٰ صاحبها خيراً، فقال عمر: وجبت، ثم مرّ بأخرىٰ فذكر علىٰ صاحبها بشرٍ، فقال عمر: وجبت، فقال أبوالاسود: ماوجبت ياامير المؤمنين؟ فقال: قلت كما قال رسول الله ﷺ: «أيُّما مُسْلِم شَهِدَ لَهُ أربَعَةٌ بخَيرٍ أدْخَلَهُ اللّهُ الجنَّةَ، فَقُلْنا وثَلاثَةٌ، فَقالَ: وثَلاثَةٌ فَقُلْنا واثنانِ؟ فَقال: واثنانِ ولَمْ نَسألهُ عَن الواحِد».

وبعد الإمعان في هذا الحديث نجد انَّ أبا الأسود لم يكن في المدينة، وبالخصوص في اوّل كلامه يقول فيه: «اتيت المدينة» ومعنىٰ ذلك أنَّهُ لم يكن من اهل المدينة المنوَّرة، وهناك مصدر آخر نستدل به علىٰ انّ والده عمرو بن سفيان، قد مع من قدم لِمحاربَة الرسول في بدر، وهؤلاء قدموا من مكة وضواحيها ـ ممّا مرَّ في الحديث ـ، يظهر أنَّهُ تابعي[٣] لم يرَ الرسول، وهذا امر بديهيٌ لو أنَّهُ وُلِدَ في مكة او المدينة لَشاهَدَ الرسول ﷺ، الذي قضىٰ حياته متنقلاً بينهما.

---

١. ابن خلكان: وفيات الاعيان، ص٢١٨؛ القمي، سفينة البحار، ج١، ص٦٧٠؛ ابن معصومة، انوار الربيع، ج٢، هامش ص٨٥.

٢. القلقشندي، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، ج١، طبعة بغداد.

٣. ياقوت الحموي؛ معجم الادباء، ج ١٢، ص٣٤؛ ابن نباته المصري، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص١٥٨؛ ابن معصومة، انوار الربيع، ج٢، هامش ص٨٥؛ القمي، سفينة البحار، ج١، ص٦٦٩.

قبيلته بنو كنانة

كنانة بطن من أعرق البطون العربية وأرفعها شأناً، ويتشرّف هذا البطن باتّصاله بنسب الرسول الاكرم ﷺ[1] بها، والمراد هو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس[2].

وبعض الصفات والخصال السامية التي تحويها كنانة، ومن إصالتها وكرمها وشجاعتها انَّ بابَ هذا الْفَخْذ مفتوح لكل العرب للإنضمام اليها، وهذه صفة نادرة تخشاها كثير من القبائل، لما فيها من نتائج وخيمة، وفي ذات مرّة جاء البراض بن قيس الكناني رجل معروف بشراسته، خلعه قومه فقبلته الديل ولم تخشه، وخلعته لفسقه ومجونه وقال الشاعر فيه[3]:

والفتىٰ من تعرفهُ الليالي ... فهو فيها كالحيّةِ النضناضِ
كل يومٍ له بصرفِ الليالي ... فتكة مثل فتكةِ البراضِ

ولِعزّتهم وشموخ مكانتهم عند العرب يصفهم الشاعر بقوله:

والغرّ من تسلفن كنانة أنّهم ... صيدُ الرؤوسِ أعزةَ السلطانِ[4]

ولم تتعرّض المراجع في التفصيل عن والدته سوىٰ أنّها من قبيلة عبدالدار[5]، وهي إحدىٰ القبائل العربية، ولم يذكر التاريخ عن والده شيئاً، ونلاحظ شاعرنا يفتخر بقومه بقوله:

وإنّي لَمِنْ قومٍ إذا حاربوا العدىٰ ... أغار بفتيانٍ مغاوير كالشهبِ
فلا يوعدوني بالفجار فإنّني ... ساحميكُم منّي علىٰ مركبٍ صعبِ

---

١ . القلقشندي، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، ج١، ص٣٣.

٢ . د. نعمان محمد امين طه، ديوان جرير، ج٢، ص١٠١٤. بمصر.

٣ . ابن اسحاق سيرة النبي (ص)، تهذيب ابن هشام، ج٢، ص٥٢٥.

٤ . نقائض جرير والفرزدق، ص٨٨٨، نقائض جرير والاخطل، ص٢١٢؛ وانظر: ديوان جرير، ج٢، ص١٠١٤.

٥ . المبرد: الكامل، ج٢، ص١٧١، انظر لابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص١٢٥.

الباب الثاني

إسلامه

لم يختلف ارباب التاريخ في إسلامه، بل الذي بحثوه هو متىٰ دخل الاسلام واختلف المؤرخون في ذلك، وبعد التمحيص، وجدنا أنّه دخل الاسلام في حياة الرسول ﷺ؛ هنالك رواية شاذة تدل علىٰ «انّ ابا الاسود الدؤلي ادرك الاسلام وشهد بدراً مع المسلمين». [١]

واستبعد هذه الرواية لأنّها منفردة في بابها ولم ينصرها الرواة، بل إنّ ابا الفرج الاصفهاني نفسه ينفي هذه الرواية ومن جهة أخرىٰ لو إحتملنا أنّه شارك في بدر، لَكانَ شهد رسول اللّه ﷺ لأنّه قائد هذه المعركة ولم يكن قائداً عسكرياً فقط، بل كان كذلك قائداً روحياً، فلابد من معاشرته والاستفادة من رسالته السماوية. والمؤرخون الذين سجلوا احداث التاريخ [٢] وخصوصاً الأحداث الاسلامية والاخصّ من ذلك الأحداث التي شارك فيها رسول الانسانية، محمد ﷺ، فلم نجد إسماً لابي الأسود بين أسماء مجاهدي بدر؛ من هذا يتبيّن لنا أنّه لم يرَ الرسول ﷺ.

---

١ . ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج١٣، ص٣٠١.

٢ . ابن اسحاق، سيرة النبي ﷺ (تهذيب ابن هشام) ج٢، ص٥٠٠.

واغلب رجال التاريخ دوّنوا اسم شاعرنا من تابعي الصحابة ، وهذا دليل آخر علىٰ عدم رؤيته الرسول ﷺ .

وجمعاً بين الروايات وتحقيقها ، يظهر انَّ آبا الاسود الدؤلي اسلَمَ في أواخر حياة الرسول ﷺ .

والكلام إذا كان في حياته ، فماهو السبب في عدم الرؤية ، فهنا يبدو السبب هو البعد المكاني عن الرسول ﷺ ، أو لمرض سبّب عدم مغادرة محل ولادته الذي كان في ضواحي مكة المكرمة ، وكما نعلم أنَّ الرسول ﷺ سكن المدينة المنورة في أواخر أيامه ، وهذه الامور التي منعت وصول شاعرنا من التشرُّف برؤية خاتم الانبياء والمرسلين محمد ﷺ .

بعد بحثنا الموجز عن حياة شاعرنا الدؤلي وعن اسرته وقبيلته السامية (كنانة) شرعنا بمكان ولادته ومادار من الخلاف والإختلاف بين الرواة ، وليس من السَّهل اليسير معرفة سنة ولادته ، وفي أثناء هذه الجولة العلمية ، لـم أضَعْ يدي علىٰ اليقين القاطع في هذا الامر ، بل قَدَّمْتُ اقرب الاحتمالات الموافقة للعقل في هذا الميدان ؛ واللّه أعلم بأسرار الأمور .

والذي نحن بصدده ، السيرة الشخصية والمكانة العلمية لهذا الرجل في المجتمع الجديد؟ وماذا قدم لهذا المجتمع من خدمات؟

فالمراجع والمصادر تمجد بالشاعر ، لما له من آثار علمية وادبية في هذه الفترة . وصعد شاعرنا سلم المجد وبرز بين العلماء والشعراء في فترة الخلفاء الراشدين .

والامر الذي حمله إلىٰ ذلك هو عقيدته الراسخة بآل البيت ، «هو والشعراء الذين عاصروه الذين كانوا يشيدون بآل البيت عليهم السلام ويفخرون بحبهم ويقرّون حقّهم دون غيرهم»[١] ، وابرزهم علىٰ الاطلاق وبصورة ملحوظة ، ابو الاسود الدؤلي ، «وهو شخصية مرموقة في كثير من مناحيها ، ومعدودة في طبقات من الناس ؛ كلّها مقدمة ،

---

١ . د . نعمان القاضي ، الفرق الاسلامية في الشعر العربي ، ص٥٥٥ ـ ٥٥٧ .

مأثور عنها الفضل في جميعها، فهو تابعي، فقيه، شاعر ومحدّث وأمير ونحوي وزاهد، وهو أولاً وقبل كل شيء، من وجوه الشيعة». [1]

نستطيع انْ نُقسّم حياته الىٰ شطرين مهمين، الاول حياته في المدينة المنوّرة، حيث إنتهت هذه الفترة بهجرته الىٰ البصرة، فقد قضىٰ شطراً من حياته بين رجال السياسة من حكّام وخلفاء وغير ذلك، وله في هذه الفترة مناقب ومواقف اسلاميّة، سوف نبيّنها في محلها، والشطر الثاني من حياته سوف نبحث عن مسيرته السياسية والاجتماعية وأثرهما في المجتمع وعلاقاته، وآثاره العلمية والادبية.

معنى الشيعة

لم يكن للعرب، وحدة سياسية قبل الاسلام، فكلّ قبيلة تحكم نفسها وكل مدينة لها سلطان عليها، وبعد الاسلام اوجد النبي ﷺ سلطة عامة خضع لها جميع العرب، ومارس هو السلطة بمعانيها كافة، التشريعية، والتنفيذية، والقضائية. فكان يبيّن الاحكام من حلال وحرام، ويقود الجيش ويعقد المعاهدات ويقضي بين الناس، وقد ربط القرآن الكريم هذه السلطات بشخص الرسول ﷺ، وجاء في محكم كتابه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [2]، وفي موضع آخر: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [3] وفي سورة أُخرىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [4] وهناك مواضع أخرىٰ.

واتّفق المسلمون كافّة علىٰ انّ السلطة الزمنية والدينية التي كانت للرسول، تُعطىٰ

---

١. ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج ١١، ص١٠١؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٠٧؛ السيرافي، اخبار النحويين البصريين، ص ١٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص ٧٠؛ ابن الاثير، اسدالغابة، ج٣، ص ٦٩؛ ابن حجر العسقلاني، الاصابة، ج٣، ص ٣٠٤ـ البغدادي، خزانة الادب، ج١، ص١٣٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٤١.

٢. الاحزاب (٣٣) الآية ٦.

٣. الاحزاب (٣٣) الآية ٣٦.

٤. الحشر (٥٩) الآية ٧.

لخليفته ثم إختلفوا فيما بينهم ، هل يُعَيَّنُ الخليفة بالنصّ عليه من النبيّ ﷺ او يُترك الأمرُ الىٰ اختيار الامة؟

والظاهر انَّ الخليفة يتعيّن بالنص لا بالانتخاب ، إنَّ الله يامر النبي انْ يبلّغ المسلمين بأنّه قد اختار «فلاناً» خليفة بعده ، وانَّ عليهم انْ يسمعوا له ويُطيعوا وقد صدر هذا النصّ بالفعل من النبي ﷺ في علي بن ابي طالب عليه السلام ، وهذه البذرة الاولىٰ للتشيّع . وهكذا بدأت نشاته دون انْ يُضاف اليها أيُّ شيء آخر ، «وغلب هذا الاسم علىٰ من يتولّىٰ علياً واهل بيته عليهم السلام حتىٰ صار لهم اسماً خاصاً»[1] ويقول الشهرستاني : «إنَّ الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام علىٰ الخصوص بالامامة له وخلافته ؛ نصاً ووصية»[2] .

اما المغالاة في عليّ او صفاته او تكفير خصومه السياسيّين ، فلا يَمُتُّ الىٰ الشيعة بشيء والذي يدلّنا علىٰ انّ لفظ الشيعة علم يدل علىٰ من يؤمن بان علياً هو الخليفة بنص النبي ﷺ ، ويستدلّ به فقهاء الامامية في كتب التشريع من «انّه إذا أوصىٰ رجل بمال للشيعة او وقف عقاراً عليهم يعطىٰ لمن قدّم علياً في الإمامة علىٰ غيره بعد النبي ؛ ولا يعطى للمغالين»[3] .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إنَّ للتشيّع جوهرة تتلخص بهذه الكلمة ، وهي الإيمان بانّ الإمام المنصوص عليه يتولّىٰ الحكم ويحكم بارادة الله لا بارادة الناس .

ونلاحظ العلامة الامين يؤكد «انَّ البذور الاولىٰ لنشاة الشيعة تعود الىٰ زمن الرسالة»[4] المحمدية وسوف نذكر الادلة علىٰ ذلك ، غير انَّ بعض المتوهمين يرون من الخطا هذه المحاولة تحدث بين يدي الرسول ﷺ - شيعة وسنة - وقد أعلن القرآن : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ لا التشيّع والتسنن ، وانىٰ للكل ؛ يرفع الفوارق بين الناس ،

---

١ . الشيخ عبدالله السبيتي ، تحت رأية الحق ، ص١٢٩ ؛ عبدالقادر محمود ، الامام جعفر الصادق ، ص١٠ .

٢ . محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، الملل والنحل .

٣ . الشهيد الثاني ، المسالك ، باب الوقف ، ج١ .

٤ . د . نعمان القاضي ، الفرق الاسلامية ، ص٩١ ؛ الامين ؛ اعيان الشيعة ، ص١٤٨ ؛ الشيخ محمد كاشف الغطاء ، اصل الشيعة واصولها ، ص ٨٢ ؛ تاريخ الشيعة ، محمدحسين المظفر .

فلاهاشمي ولاقرشي ولاتيمي ولاغيرهم، «ولافَضْلَ لِعَربيٍ علىٰ اعجمي إلاّ بالتقوى»[١]. وازاد في توهّمه أنّه انكر علىٰ ابن النديم ماأقرّه من ظهور مصطلح الشيعة ايام علي عليه السلام وبالتحديد، قبيل موقعة الجمل، ليرجئ ظهوره الىٰ مابعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، والذي اريد أنْ اذكره أنّ الامانة العلمية تفرض علىٰ طالبها الإذعان للحق مبتعداً عن المكابرة والمغالطة، وجاء في الصحاح: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو الذي بعث عقيدة التشيّع واوجدها، ودعا الىٰ حبّ علي وولائه، وهو أوّلُ من أطلق لفظ الشيعة علىٰ اتباعه ومريديه، ولَوْلاهُ لم يكن للشيعة والتشيع عين ولااثر. إذَنْ، فالتشيّع هو الإسلام والإسلام يتمثل بالشيعة مثلما تمثَّلَ بشخص علي عليه السلام. والروايات الصحيحة المتواترة تثبت ذلك.

وقال العلامة الحلي في كتاب «نهج الحق»: ذكر الإمام احمدبن حنبل في مسنده والثعلبي في تفسيره: أنّهُ لَمّا نُزِلتْ الآية الكريمة: ﴿وَانْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْاَقرِبين﴾[٢].

جمع النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته ثلاثينَ، فاكلوا وشربوا، ثم قال لهم: مَنْ يَضْمَنُ عنّي ديني ومَواعيدي، ويكون خَليفتي ومَعي في الجنّة؟ قال علي عليه السلام: انا، فقال له: أنْتَ.

ونقل الشيخ محمدحسن المظفر: «إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعشيرته: قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربّي أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني علىٰ أمري هذا؟ قال عليٌ عليه السلام انا يانبيَّ الله، اكونُ وزيرَك عليه فاخذ النبي برقبته وقال: هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسْمَعُوا له واطيعوا؛ فقام القوم يضحكون ويقول احدهم لأبي طالب: وقد أمرك أن تسمع وتطيع لولدك علي»[٣]، ودليل آخر لصاحب كتاب محمد رسول الحرية، يقول: «ورأىٰ محمد صلى الله عليه وآله أنْ يجمعَ أُسرته من بني عبدالمطلب ويدعوهم إلىٰ

---

١. نفس المصدر، ص١٩ـ ٢٠.

٢. الشعراء (٢٦) الآية ٢١٤.

٣. محمد حسين هيكل، حياة محمد، الطبعة الاولىٰ، ثم حذفت في الطبعة الثانية لقاء ... جنيه، ودليلنا المقابلة بين الطبعتين؛ انظر الامين، اعيان الشيعة، ج١، ص١١٤، قسم١، الطبعة ١٩١٠، ودلائل الصدق، ج٢، ص٢٣٣؛ عن كنز العمال، ج٦، ص٣٩٧.

الإيمان بما جاء به، فدعا عشيرته واولم لهم في بيته، وبدأ يتكلم، وكلُّهم يسمَعون لمحمد ﷺ وهو يحثُّهم علىٰ ماجاء به، ولكن احداً لم يستجب إليه إلاّ عليّ بن ابي طالب، وهو وحده الذي انتفض يؤكد أنَّه سينصر محمداً بسيفه، وضحك من الاستخفاف بعض الكبار، فقد كان علي هذا أصغرَ الحاضرين وكان إذ ذاك مايزال فتىٰ صغير السنّ، يتقدَّم به سنّه الىٰ اولِ الشباب، ولكنّ محمداً ﷺ لم يستخف بحماسة علي، فقد قام إليه فعانقه وبكىٰ».[1]

«وبعد أنْ رجع النبي مِنْ حجّة الوداع ـ وهي الحجة التي لم يلبث بعدها إلاّ قليلاً ـ ووصل الىٰ غدير خم، جمع الناس وخطبهم وقال: إنَّ اللّهَ مولاي، وانا مولىٰ المؤمنين، وانا اولىٰ بهم مِنْ انفسهم، فمن كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه ـ قالها ثلاث مرات ـ ثم قال: اللهمَّ والِ مَنْ والاهُ وعادِ مَنْ عاداهُ واحِبَّ من احَبَّهُ، وابْغِضْ من بغَضَه، وانْصُرْ من نصره، واخذُلْ مَنْ خذله وادرِ الحقَّ مَعَه حيثُ دارَ فَلْيُبْلِغ الشاهدُ الغائبَ»[2]، وإليك هذه الإحصائيّة في عدد رواة هذا الحديث: ١٢٠ صحابياً، و ٨٤ تابعياً. وامّا طبقات رواته من أئمة الحديث واساتذته، فقد بلغوا ٣٦٠، وبلغ المؤلفون في حديث الغدير من السنّة والشيعة ٢٦ مؤلفاً[3].

وقد اعتبر علماء الشيعة حديث الغدير هذا، نصاً بخلافة علي ﷺ بعد النبي ﷺ ومن هنا اهتمّوا به هذا الإهتمام البالغ، وكذلك نشاهد أهل السنة يعترفون بصحة هذا الحديث ويقولون بصدوره عن النبي ﷺ، ولكنهم اوَّلوا الوِلاءَ بالحُبّ والإخلاص لابالحكم والسلطان، فحديث: «من كنتُ مَوْلاهُ فعليٌّ مَوْلاه» وغيره من الاحاديث الدّالة علىٰ مكانة أهل البيت وعلوّ شانهم، والحبّ وعلو الشان، شيء والنص على الخلفة شيء آخر، وجواب الشيعة علىٰ ذلك بان قول النبي ﷺ: «انا اولى بالمؤمنينَ مِنْ انفسِهِمْ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعليٌّ مَوْلاهُ» يدلّ بصراحة ووضوح على انَّ نفس ولاية

١ـ عبدالرحمن الشرقاوي، محمد رسول الحرية، ص٨٠.

٢و٣. الشيخ الاميني، الغدير، ج٢، ص٩.

النبي ﷺ الدينية والدنيوية هي بعينها قد جعلها النبي لعليّ بعده، إذ جعل علياً نظير نفسه في أنّه أولىٰ بهم من أنفسهم، ولاشيء سوىٰ ذلك، لوكان اللفظ يراد به المولىٰ فله الف معنىٰ ومعنىٰ». [١]

وقد قَلَبَ الزّمن ظَهْرَ المِجَنّ للشيعة بعد مقتل اميرالمؤمنين عليه السلام وانتقال الخلافة الى معاوية وتحوّلَ الحكم الى الدكتاتورية الفردية [٢] والإنحراف عن الخط الاخلاقي الإسلامي، المتمثل بأهل البيت، وبعدها قتل الإمام الحسن عليه السلام بالسمّ، وأعقبتها مصيبة كربلاء والتي انتهت بإستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، وأصحابه، فظهرت بعد هذه الحوادث فرق جديدة كالزيدية والكيسانية وغيرهما، فكل هذه المِحَن انعكست علىٰ الشعر فنهض الشعراء ينادون بحق علي عليه السلام وذريته في الخلافة، ويندّدون بحكم معاوية الكسروي وولاته، ويرثون الشهداء من آل البيت فنظموا الملاحم الشجية في مأساة كربلاء وتابعوا سائر أحداث العصر الهامة، مثل ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد [٣] و«ثورة المختاربن عبيدالله الثقفي للأخذ بثارات الحسين عليه السلام». [٤]

ويطول بنا البحث لو تَقَصّينا كل شعراء الشيعة في العصر الأموي كافةً، ذلك لكثرة عددهم؛ واكثرهم مجهولون، «ومع قلة إنتاجهم ولكن يتميّزون من خلال قصائدهم ونفسهم الشعري» [٥]، ومن فحول الشعراء المعروفين: الكميت والفرزدق وأبوالأسود الدؤلي، وكثير عزّة والجمحي وغيرهم.

---

١. محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، ص١٩؛ محمدحسين الزيني العاملي، الشيعة في التاريخ؛ محمد حسين كاشف الغطاء، ص٨٢.

٢. د. نعمان القاضي، الفرق الاسلامية، ص٦٧.

٣. التوابون: جماعة شيعية ظهرت في الكوفة بعد مقتل الحسين عليه السلام اعترفوا بضلالتهم بعد دعوة الحسين عليه السلام لهم، ثم انفضوا عنه، فكفّروا عن ذنوبهم بالاخذبثار الحسين فانتفضوا علىٰ الحكم الاموي، فسُمّوا بالتوابين.

٤. د. علي حسين خربوطلي، المختار الثقفي مرآة العصر الاموي، سلسلة اعلام العرب، ص١٦؛ نعمان القاضي، الفرق الاسلامية، ص٥٦٤؛ (المختاربن عبيدالله الثقفي: من الموالين لأهل البيت ومن الذين ثاروا للاخذ بثار الحسين بن علي عليه السلام، قتله مصعب بن الزبير، سنة ٦٧هـ وبعث براسه الىٰ محمدبن الحنفية.

٥. د. نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الأموي، ص٥٦٤.

«ويمتاز شعراء هذه الفترة بالنوع لا بالْكَمِّ، فقد استطاع الكثير منهم أنْ يحرزوا قطب السبق في فنهم، مما دفع غيرهم من الشعراء أن يقتدوا بهم ويتبعوهم ويستحسنوا آثارهم»[١]، وأبرز الموضوعات التي نظم فيها الشيعة للدفاع عن قضاياهم وآرائهم، والخط الحقيقي للرسالة المحمدية المتمثل بأهل البيت، فهم يظهرون فضائلهم ومنزلتهم ومكانتهم العلمية والصفات والخصال التي يحملونها واحقيّتهم في الخلافة، واولُ من رثىٰ الحسين عليه السلام عقبة بن عمرو السهمي من بني سهم بن عوف بن غالب، فقال:

مررتُ علىٰ قبرِ الحُسين بكربلا ... ففاضَ عليهِ من دموعِي غزيرها

ومازِلْتُ أبكيهِ وارثي لشجوهِ ... ويَسعُدُ عينِي دمعُها وزَفيرُها[٢]

وابدع ماكتب واقوىٰ ماقاله الشافعي في حقّهم:

إنْ كان رَفْضاً حبُّ آل محمدٍ ... فَلْيشْهَدِ الثقلان إنّي رافضي[٣]

والمعروف من خُلّص الشيعة أنّهم لم يكتموا حبّهم لعليّ عليه السلام حتىٰ عند معاوية الذي طلب من ولاته ان يلعنوا علياً عليه السلام علىٰ المنابر[٤]، فلم تُعَدّ التقية حائلاً دون المجاهرة بحبّ آل البيت.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تشيّع أبو الأسود الدؤلي

لاغبارَ في الدلالة على انّ أبا الأسود الدؤلي كان علويَّ المذهب. قال ضياء الدين في كتابه نسمة السحر في ذكر مَن تشيّع وشعر، في طي ترجمة أبي الأسود الدؤلي: وكان من كبار الشيعة، إلى أن قال: وقال الجاحظ: أبو الأسود معدود في طبقات الناس، وهو في كلّها مقدّمٌ مأثور عنه في جميعها، معدود في التابعين والفقهاء،

١. السيد حسن الصدر، الشيعة وفنون الاسلام، ص١٣٦.
٢. السيد محسن الامين، اعيان الشيعة، القسم الاول، ج٤، ص٣٧٠.
٣. محمد حسين الاعظمي، الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنىٰ عشرية، ص٢٠٢.
٤. د. بدير متولي حميد، ادب الحركات الاسلامية، ص٩٨؛ انظر لعبدالحسيب طه حميد، ادب الشيعة الىٰ نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

والمحدّثين والشعراء، والاشراف والفرسان، والأمراء والدُهاة والنُحاة والحاضري الجواب، والشيعة والبخلاء والصُلّع والاشراف والبُخْرُ. وحكاهُ ابوالفرج في الأغاني، والسيوطي في الطبقات، وابن حجر في الإصابة ايضاً.

وقال الراغب في المحاضرات: وكان من اكمل الرجال رأياً و عقلاً وكان شيعياً شاعراً، سريع الجواب، ثقة في الحديث، روىٰ عن ابي ذر الغفاري وابن عباس وعليّ عليه السلام وغيرهم، وقال الجاحظ العسقلاني في الاصابة: قال المرزباني: هاجر ابوالأسود إلى البصرة في خلافة عمربن الخطاب، وولاّهُ على البصرة خلافة لابن عباس، وكان عَلويّاً المذهب.

وقال ابوالفرج الأصفهاني: وكان من وجوه الشيعة، وقال اليافعي في مرآة الجنان: ظالم بن عمرو وابوالاسود البصري كان من سادات التابعين واعيانهم وصاحب اميرالمؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام، شهد معه حرب صفين، وكان من أكمل رجاله في الراي والعقل وهو أوّل من دوّن علم النحو؛ بإرشاده.

وقال الحافظ السيوطي في الطبقات: كان [ابو الاسود الدؤلي] من سادات التابعين ومن أكمل الرجال رأياً واشدّهم عقلاً، شيعياً شاعراً سريع الجواب ثقة في حديثه، إلى أن قال: ... وصحب عليَّ بن ابي طالب عليه السلام وشهدَ معهُ صفّين. . . إلى آخر الترجمة.

وقال ابن الأنباري في النزهة: وكان ابوالاسود ممّن صحب اميرالمؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام وكان من المشهورين بصحبته ومحبّته ومحبّة أهل بيته.

وقال ابوهلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري في كتابه: «فمثل ماأخبرني به ابوأحمد عن أبيه عن عسل، قال: قال الهيثم بن عدي: انبأني عطاء بن مصعب قال: كان ابوالأسود شيعة لعليّ بن ابي طالب عليه السلام، وكان جيرانه عثمانية فرموهُ يوماً، فقال: اترمونني؟ قالوا: بل الله يرميك! قال: كذبتم إنّكم تخطئون، وإنّ الله لو رماني لَمَا أخطأ».[1]

---

١. كتاب الصناعتين، ص ٨٢.

وحكى الزمخشري في ربيع الأبرار : انّ زياد بن أبيه سأل اباالاسود عن حبّ عليّ عليه السلام ، فقال : انّ حبّ عليّ عليه السلام يزداد في قلبي كما يزدادُ حبّ معاوية في قلبك ، وانّي أريد اللّه والدار الآخرة بحبّ عليّ ، وتريد الدنيا وزينتها بحبّكَ معاوية . وقال السيّد الشريف المرتضىٰ الموسوي في أماليه الغرر والدرر : روى محمّدبن يزيد الخوي : انّ اباالاسود كان شيعياً ، وكان ينزل البصرة في بني قشير ، وكانوا يرمونهُ بالليل فإذا أصبح شكا ذلك ، فشكاهم مرّةً فقالوا : مانحن نرميك ولكن اللّه يرميك ، فقال : كذبتم لوكان اللّه يرميني مااخطاني ، قال : ونازعوه الكلام فانشا يقول :

يقولُ الارذلونَ بَنُو قُشيرٍ ... طِوالَ الدهرِ لاتنسىٰ عليّاً
احبّ محمّداً حبّاً شديداً ... وعَباساً وحَمزةَ والوصيّا
احبّهم لحبِّ اللّهِ حتىٰ ... أجيءُ إذا بعثتُ على هويّا
فإن يكُ حبُّهُم رشداً اصبهُ ... ولستُ بمخطئٍ إن كان غيّاً

فقالوا : شككت ياابا الاسود ، فقال : الم تسمعوا اللّه تعالى يقول ﴿وانّا وإيّاكم لعلى هدى او في ضلالٍ مبين﴾ افترون اللّه يشك[1] .

وروى الزمخشري هذين البيتين لابي الاسود :

أمفنّدي في حُبّ آلِ محمّدٍ ... حَجَرٌ بفيكَ فدع ملامكَ او زدِ
منْ لم يكنْ بحبالِهم مُستمسكاً ... فليعترف لولاءِ مَن لم يرشدِ

ولمّا بلغه قتل امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام بكىٰ حتىٰ اختلفت أضلاعه ، وانشا :

الا ابلغْ معاويةَ بن حربٍ ... فلاقرّتْ عيونُ الشامتينا
افي شهرِ الصيامِ فجعتمونا ... بخيرِ الناسِ طرّاً أجمعينا
قتلتم خيرَ مَن ركِب المطايا ... وخيّسها ومَنْ ركِبَ السفينا

---

١ . امالي الشريف المرتضى ، ص ٢١٣ ؛ ابو الفتوح الرازي ، روض الجنان ، ابن الانباري ، نزهة الالباب ؛ الدميري ، حياة الحيوان .

ومَنْ لبسَ النعالَ ومَن حذاها ... ومَنْ قرأ المثاني والمئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسينٍ ... رأيت البدرَ راق الناظرينا
لقد علمت قريشٌ حيث كانت ... بأنّك خيرهم حسباً ودينا

وقد حكاها ابن الأثير في الكامل وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمّة وغيرهما .

وقال القاضي نور اللّه المرعشي في مجالس المؤمنين : بعثَ معاوية لأبي الأسود هدايا فيها حلوىٰ فنظرت إليها بنت أبي الأسود فقالت لأبيها : من أين هذه الهدية؟ فقال بعث بها معاوية يخدعنا عن ديننا ، فقالت البنت على البديهة :

أبا لشهدِ المزعفرِ يابنَ حربٍ ... نَبيعُ عليكَ احساباً ودينا
معاذَ اللّهِ كيفَ يكونُ هذا ... ومولانا اميرالمؤمنينا

قال ابن خلكان في الوفيات بعد ترجمته لأبي الأسود : وله ديوان شعر ومن شعره :

صَبَغتْ أميّةُ بالدماءِ اكُفَّها ... وطوتْ أميّةُ دُوننا دُنيانا

وأسندَ الشيخ منتجب الدين في كتاب الاربعين عن عليّ بن محمّد قال : رأت ابنةُ أبي الأسود الدؤلي بين يدي أبيها خبيص ، فقالت : ياابه اطعمني ، فقال : افتحي فاكِ ففتحت فوضع فيه مثل اللوزة ، ثم قال لها : عليك بالتمر فانّه أنفع وأشبع ، فقالت : هذا أنفع وأنجع ، فقال هذا طعامٌ بعثهُ إلينا معاوية يخدعنا عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقالت قبّحَهُ اللّه ، يخدعنا عن السيّد المطهّر بالشّهد المُزَعْفَر ، تبّاً لمرسله وآكله ، ثم عالجت نفسها وقاءت ماأكلتهُ منه ، وأنشأت تقول البيتين المتقدّم ذكرهما ، وإنّما ذكرنا هذا الطريق لأنّه من رواية الشيخ منتجب الدين بن بابويه .

حياته في المدينة المنورة

تذكر بعض الروايات : أنَّ شاعرنا ادرك حياة رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، وقد ورد عن بعض الرواة أنّه شَهِد بدراً مع المسلمين[١] ، بهذا استدلّوا أنّه ادرك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكما أشرنا في

---

١ . ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٢ ، ص٢٩٧ .

صفحات سابقة : أنَّ الرواية شاذة ومنفردة .

وبعد مواقفه الحادّة والثابتة في موضع الخلافة، وكما نعلم انّه كان يرىٰ ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ الخلافة ـ وبعد نصب السقيفة ودار مادار من أمرها ـ ففي خلافة عمربن الخطاب[1]؛ هاجر الدؤلي الىٰ البصرة، وكان ذلك عام الثامن عشر للهجرة، الذي أصاب المدينة المنورة بالمرض والجوع وسُمّيَ هذا العام عام الرمادة[2] عايَشَهُ شاعرنا في المدينة .

أما اسباب هجرته الىٰ البصرة، فلم تكن واضحة، ولكن الظروف السياسية الجديدة التي طرأتْ علىٰ العالم الاسلامي في هذه الفترة، فقد احتاج الوضع الىٰ جمع كل القوات العربية، ومن بينهم العلماء والفقهاء والشعراء والكُتّاب ودفعهم الىٰ البصرة؛ لأنّها مركز الفُرس، فأراد الخليفة عمر مواجهة القوة الفارسية[3]، فلم يدع[4] احداً من الصحابة الاّ وقد دفعه الىٰ البصرة، بذلك شمل القرار حتىٰ المناوئين له فهجّرهم بصيغة شرعية الىٰ هذه المنطقة الجديدة، وللظروف الجديدة في العراق، ولخصوبة ارضه وكثرة موارده، اشتاق الناس الىٰ الهجرة اليه، فقد شملت هذه الهجرة شاعرنا أباالأسود، والمعروف أنَّ العيش في العراق أفضل من الجزيرة؛ لغناه[5].

وهنالك بعض الآراء الواردة في هذا الموضوع، منها : ارسله عمربن الخطاب عاملاً علىٰ البصرة[6]، وخبر آخر يقول : أرسله ليعلّم أهل البصرة الاعراب.[7] والظاهر أنَّ بعض الروايات تحتاج الىٰ تحقيق في متنها وسندها حتىٰ يتّضح للقارئ صحّتها أو عدمها، امّا الخبر الأوّل : يبدو أنَّ لعمربن الخطاب عدة ولاة علىٰ البصرة كما ذكر

---

١ . الشيخ محمد حسن آل ياسين، ديوان ابي الاسود، ص٧ .

٢ . الطبري، تاريخ الطبري.

٣ . الطبري، تاريخ الام والملوك؛ انظر محمدحسين هيكل، الفاروق عمر، ص٢٠٠ .

٤ . ابن الاثير، الكامل، ج٢، ص٣١١ .

٥ . د. صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص٥٠ .

٦ . ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢٤١ ؛ البغدادي، خزانة الادب، ج١ ص٦٣٦ .

٧ . القفطي : إنباه الرواة، ج١، ص١٦ .

المؤرخون[١] وهم: عتبة بن غزوان، المغيرة بن شعبة، ابوموسىٰ الاشعري، وعبدالله بن عامر، ولم يوجد اسم لأبي الأسود من بين الولاة في هذه الفترة، بينما عيِّنَ ابوالأسود في عصر الإمام عليّ عليه السلام، والظاهر سنة ٣٨هـ. فهنالك فارقان: زمني وعهدي.

والخبر الآخر[٢] الذي يشير الىٰ انَّ عمربن الخطاب أرسله ليعلّم اهل البصرة النحو (الاعراب)، فهنالك شكٌ في صحة الخبر من الناحية الزمنية، فعِلمُ النحو ظَهَرَ متاخِّراً عن الخلافة الثانية، بذلك ينتفي اثبات هذين القولين.

وبعد مااستقر شاعرنا في البصرة، بنىٰ مسجداً له سمّاه باسمه[٣]، واستمر بنشاطه الاجتماعي والعلمي فيها.

صلته برجال عصره

أبو الاسود الدؤلي في عصر الخليفة عمربن الخطاب والخليفة عثمان بن عفان:

ليس هنالك ايُّ تصريح يدلُّ علىٰ وجود علاقة لأبي الأسود في عهد الخليفة عمربن الخطاب، وكان بودِّنا انْ يتّضح لنا العمل الحقيقي لشاعرنا بهذه الفترة، مع العلم كان نشطاً في امر العقيدة عالماً في امور دينه موالياً لعلي بن ابي طالب، مقتفياً خطاه، وهنالك رواية منفردة في ارساله من قبل عمر لتعليم الاعراب في البصرة او عاملاً عليها، وبعد التحقيق لم نجد لها صحة، ولو تفحّصْنا بطون التاريخ لم نجد للدؤلي مكانة في دواوين الدولة الاسلامية، وليس له علاقة مع الخليفة عثمان بن عفان، فلاأدري لماذا لم يكن للصحابي مكانة في دواوينهم الأ رواية انفرد بها صاحب الاصابة[٤] تقول: «كان عثمان قد استعمل الدؤلي عاملاً على البصرة». وكُتُب التاريخ تُبيِّن لنا أنَّ الولاة

---

١. ٦. ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢٤١؛ البغدادي، خزانة الادب، ج١، ص٦٣٦.

٢. القفطي، إنباه الرواة، ج١، ص١٦.

٣. د. صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، في القرن الاول الهجري، ص٥٠.

٤. ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج١١، ص٢٣٢.

لعثمان على البصرة هما: «ابوموسى الاشعري، وعبدالله بن عامر»[١].

اما العلاقات التي بناها ابوالاسود مع اصدقائه متينة، وبنفس الوقت ظهر له اعداء في هذا المجتمع الخليط، ومن اصدقائه واحبّائه: عامل الخليفة عثمان بن عفان على البصرة عبدالله بن عامر، فكان الدؤلي عنده مكرّماً، محترماً وسرعان ماحدث الجفاء بينهما.[٢]

فقال شاعرنا عندما اصابته الجفوة مع صديقه ابن عامر:

ألم تر بيني وبين ابن عامر ... من الودّ قد بالتْ عليه الثعالب
واصبح باقي الودّ بيني وبينه ... كأن لم يكُن والدّهر فيه العجائب
إذا المرء لم يحببك إلاّ تكرّها ... بدا لك من أخلاقه مايغالب
فَلَلناي خير من دنوٍّ على الأذى ... ولاخير فيما يستقلّ المعاتب[٣]
فإنّ عتابي كلَ يوم لواة ... وإنّي لمتروكٌ اذاً لاأعاتب
فدعه وصرم المرء أهون هالك ... وفي الارضِ للمرء الجليد مذاهب[٤]

ومن خيرة أصدقائه ابن عباس الذي عُيّنَ عاملاً بعد عبدالله بن عامر، وقد مدحه شاعرنا بأبيات منها[٥]:

ذكرتُ ابن عباسَ بباب ابنِ عامر ... ومامرّ من عيشٍ ذكرتُ ومافضل
أميرانِ كانا صاحبيّ كلاهما ... فكلاً جزاه الله عنّي بما عَمل
فان كان خيراً كان خيراً جزاؤه ... وإن كان شراً كان شراً كما فعل

ومن علاقات الدؤلي شاهدنا: هذه الصلة مع كاتب عبدالله بن عامر، بحاجة له كانت عند عبدالله بن عامر، فضمّها له، فلم يصنع بها الكاتب شيئاً، فقال

---

١. ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تميز الصحابة، ج٢، ص٢٤١.
٢. د. صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة.
٣. ديوان ابي الاسود الدؤلي، ص١٠١.
٤. ابوالفرج، الاغاني، وردت الابيات الاربعة الاولى، ج١٣، ٣٢٦.
٥. ديوان ابي الاسود الدؤلي، ص٧٨.

أبوالاسود في ذلك[١]:

لعمري لقد أوصيت أمسِ بحاجتي ... فتىً غيرَ ذي قصد عليٍّ ولارؤف
ولاعارفاً ماكانَ بيني وبينهُ ... ومن خيرِ ماأدليٰ به المرء ماعرف
وماكانَ مارجّيت منهُ ففاتني ... بأولِ خيرٍ من أخيٰ ثقة صرف

وكان مهران موليٰ عبدالله بن عامر اشتريٰ منه الدؤلي بغلة فجعل يعاسره في النقد، فقال أبوالاسود فيه[٢]:

يدافعُني مهران في نقدِ درهم ... كأنّك في شيء كبير تدافع
فكيفَ وقد زوجت خوداً كأنّها ... إذا مامَشت في الدارِ أدماء ظالع
تطيفُ بها كأنّما انت آزم ... بفروةِ كَبشٍ قدّ منهُ الاكارع

ومن نشاطات شاعرنا في هذه الفترة ذهابه اليٰ بلاد فارس. (هذا مااستطعنا مشاهدته في بطون الكتب لشاعرنا في حكم الخليفة عثمان).

وكانت عداوته لزياد قديمة منذ أنْ كان أبوالاسود عليٰ ولاية البصرة وزياداً عليٰ ديوانها وخراجها، فقد اخذ زياد يقع فيه ويبغي عليه لدى عليّ، وقد انبريٰ أبوالاسود يلومه في اكثر من موضع في شعره، في مثل قوله:

نُبِّئتُ أن زياداً ظلَ يَشتُمني ... والقولُ يكتبُ عندَ اللّه والعمل
حتىٰ مَ تسرقُني في كلِ مجمعة ... عرضُ وانتَ إذا ماشئتَ متتقل
كلُ امريءٍ صائر يوماً لشيمته ... في كلِ منزلة يُبليٰ بها الرجل[٣]

وبقي زياد يجفو ابا الاسود بعد ذلك وخاصة بعد أن إدّعاه معاوية لابيه وولاّه العراق، فكان أبوالاسود يأتيه فيسأله حوائجه، فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في عليّ، وماكان بينهما في تلك الايام التي كانا فيها عاملين له، فكان أبوالاسود يترجاه مااستطاع ويقول في ذلك:

---

١. الاغاني، ج١٢، ص٣٣٣.
٢. ديوان ابي الاسود الدؤلي، ص ٨٨.
٣. الاغاني، ج١١، ص١٠٨.

رأيتُ زياداً صدّ عنّي بوجهه ولم يكُ مردوداً عن الخيرِ سائله
يَنفذُ حاجاتِ الرجالِ وحاجتي كداءِ الجوىٰ في جوفهِ لايزايله[1]

وندد ابو الاسود بعبيدالله بن زياد كما ندد بابيه، وانتهز فرصة صلبه لمسلم بن عقيل، ولهاني بن عروة، فقال في ذلك:

أقولُ وذاكَ من جزعٍ ووجدٍ أزالَ اللّه ملكَ بني زيادِ
وابعدهُم كما غدروا وخانُوا كما بعُدت ثمود وقوم عادِ
ولارجَعت ركائبَهم اليهم الىٰ يومِ القيامةِ والتنادِ
هُم جَدعوا الانوف وكُنَّ شما بقتلهِم الكريمَ اخا مرادِ
قتيلُ السوقِ يالكَ من قتيلٍ به نضح من احمَد كالجسادِ
واهلُ مكارمٍ بعدوا وكانُوا ذوِي كرمٍ رؤوساً في البلادِ[2]

مكانة الدؤلي في عهد الامام علي عليه السلام

بدات براعم الحياة تدبُّ في عروق الدؤلي من جديد بعد انْ مَرّتْ بِسُبات طويل اندثرت فيه جُلّ اعماله، ولم نجد له قبل هذه الفترة في بطون مصادر التاريخ الشيء الشافي؛ ماهي إلاّ متفرقات قليلة واحاديه لاآثر لها ولايمكن ان نبني عليها الاثر، ومما نعتمد عليه من أمر هو ترحيله من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله - في عهد عمربن الخطاب - الىٰ البصرة، وهناك شق طريقه في المجتمع الجديد ومايحمله من عادات وتقاليد غريبة عن مجتمع المدينة. وفي عهد الامام علي عليه السلام نشطت براعم الدؤلي في البصرة واستورقت واثمرت بتقليده اسمىٰ مراتب الدول الاسلامية، ومن المناصب التي حازها قاضياً[3]، فمدير دائرة الصدقات والجند[4]، فوالياً علىٰ البصرة بعد ابن عباس.

---

١. د. نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٦١.
٢. الديوان، ص٢٤١، انظر: نعمان القاضي، الفرق الاسلامية، ص٥٦١.
٣. الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٢٧.
٤. المبرد، الكامل، ص٣٩٨.

ومن معالمه في هذه الفترة ـ بخصوص ميدان الحرب ـ إنّه قام وسيطاً في معركة الجمل بين الإمام عليّ عليه السلام وعائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذكر ابن ابي الحديد: قال ابومخنف: وحدثني الكلبي عن ابي صالح بن عباس: انّ الزبير وطلحة اخذا السير بعائشة حتىٰ إنتهوا الىٰ حفر ابي موسىٰ الاشعري، ثم وصلوا الىٰ مكان قريب من البصرة وكتبا الىٰ عثمان بن حنيف الانصاري عامل علي عليه السلام علىٰ البصرة: «اخل لنا دار الامارة»؛ فلما وصل كتابهما اليه، بعث الىٰ الاحنف بن قيس وقال له: إن هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله والناس اليها سراع؛ كما ترىٰ، فقال الاحنف: إنّهم جاؤوك بها للطلب بدم عثمان، وهم ألّبوا علىٰ عثمان وسفكوا دماءنا، واظنهم ـ والله ـ سيركبون منك ـ خاصة ـ مالاقبل لك وبه، انْ لم تتأهّبْ لهم بالنهوض اليهم فيمن معك من أهل البصرة، فإنك اليوم الوالي عليهم وانت فيهم مطاعٌ، فسر اليهم بالناس وبادرهم قبل أنْ يكونوا معك في دارٍ واحدة فيكون الناس لهم اطوع منهم لك[1].

فقال عثمان: الراي مارأيت، لكني اكره الشر، وأنْ أبدأهم به وارجو العافية والسلامة الىٰ أنْ ياتيني كتابُ أمير المؤمنين ورأيه، فأعمل به، ثم اتاه بعد الاحنف حكيم بن جبلة فاقرأه كتاب طلحة والزبير، فقال له مثل قول الاحنف، وأجابه عثمان بمثل جوابه للأحنف، ولمّا وصل كتاب علي عليه السلام الىٰ عثمان، ارسل الىٰ ابي الاسود الدؤلي، وعمران بن حصين الخزاعي، فأمرهما ان يسيرا حتىٰ يأتياه بعلم القوم ومالذي اقدمهم؛ فانطلقا حتىٰ أتيا حفر ابي موسىٰ، فدخلا علىٰ عائشة[2] فناشداها الله، فقالت لهما:

القيا طلحة والزبير، فقاما من عندها ولقيا الزبير، فكلّماه، فقال لهما: انّا جئنا للطلب بدم عثمان، وندعو الناس الىٰ أنْ يردّوا أمر الخلافة للشورى ليختار الناس لانفسهم،

---

١. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٩٧.

٢. محمد ابوالفضل، ايام العرب في الاسلام، ص٣٤١ـ٣٤٢؛ تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٦٣.

فقالا له: إنَّ عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، وأنت مدرك من قتل عثمان وأين هم، وامّا اعادة امر الشورىٰ فكيف، قد بايعتم علياً غير مكرهين، ـ وخصوصاً انت يا ابا عبدالله ـ العهد قريب في بيعتك لهذا الرجل يوم مات رسول الله ﷺ وانت آخذ قائم سيفك تقول: ماأحد أحقّ بالخلافة منه ولا اولىٰ بها عنه، وامتنعت في بيعة ابي بكر فأين ذلك الفعل من هذا القول؟ فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة، فقاما الىٰ طلحة فوجداه خشن الملمس، شديد العريكة، قوي العزيمة في إثارة الفتنة واضرام نار الحرب، فانصرفا الىٰ عثمان بن حنيف وأخبراه وقال أبوالاسود[1]:

يابنَ حُنيفٍ قـد اتيتَ فـانفـرْ وطاعـن القـومَ وجـالدْ واصـبرِ
وابرز لهـا مُسـتلئمـاً وشَمِّرِ

فـقـال ابن حنيف: «إي والحرمينِ لافعلنّ وامر مناديه، فنادىٰ في الناس... السلاح... السلاح فاجتمعوا اليه» وقال ابوالاسود: موضّحاً موقف الزبير وطلحة:

أتينَا الزبيـر فـدانىٰ الكلام وطلحـةَ كـالنجمِ او ابعـدُ
وأحسَنُ قـوليْهـمـا فـادحٌ يضيـق به الخطب مستنكدُ
وقـدْ اوعـدونا بجهـدِ الوعـيد فـأهونُ علينا بما اوعـدُوا

وقال أبوالاسود؛ مهدداً طلحة والزبير:

وان عـليـاً لكـم مُصْحِرٌ يماثلـهُ الاسـد الاسـودُ
امـا إنّه اول العـابدينَ بمكةَ والـلّهُ لايُعـبـدُ[2]

امّا مشاركة ابي الاسود في صفين، فقد اتفقت معظم الروايات[3] أن اباالاسود الدؤلي إشترك في معركة صفين؛ غير الطبري[4]، الذي انفرد في نفي ذهاب

---

١. الاميني، الغدير، ج٩، ص١٠٦ ـ ١٠٧.
٢. الاميني، الغدير، ج٣، ٢٣٢؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٥٩.
٣. ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١٤، ص٢٤، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٤؛ وجدي، دائرة المعارف الاسلامية، ج١، ص٢٧؛ الكشي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٤٧٥.
٤. نصربن مزاحم، وقعة صفين، ص٢٢.

ابي الاسود الىٰ المعركة وقال في ذلك: «ان اباالاسود لم يذهب الىٰ صفين بل كُلِّف بادارة البصرة خلفاً لابن عباس» وارىٰ انَّه قول شاذ، لان اباالاسود الدؤلي له مكانة ايجابية في صفين، حيث ارشد الامام علياً الأيقبل اباموسىٰ الاشعري حكَماً.

وجاء في امالي المرتضى[1] ـ ماجرىٰ بين الإمام علي وابي الاسود الدؤلي في هذا الشأن ـ: «أن اباالاسود قال: ياأمير المؤمنين لا تَرْضَى بابي موسىٰ، فإنّي عجمت الرجل وبلوته، فحليت اشطره، فوجدته قريب العقر، وماأدري مايبلغ نصحه؟ فابعثني، فانه لايحل عقدة الا عقدت أشد منها».

وقيل: انه لاصحبة لي، فاجعلني ثاني اثنين، فليس صاحبهم الا من تغرّب وكان في الخلاف عليهم كالنجم، فابىٰ عليه السلام، وهذا فيه نظر.

ولكن صاحب العقد الفريد يروي: انَّ الامام قبل اباالاسود الدؤلي ان يكون حَكماً، ولكن قوم الإمام هم الذين رفضوا ابا الاسود[2].

وكما وقع انَّ الامام علي عليه السلام كان يفهم اباالاسود وتفانيه من اجل العقيدة، ولكن الظاهر وقع خلاف ذلك بقبول القوم لابي موسىٰ الأشعري هو المنتخب في التحكيم، وانتهت صفين بخلع الامام علي عليه السلام في التحكيم، ومنها ظهرت طائفة الخوارج.

وبعد هذا الانكسار المعنوي جهّز الامام علي عليه السلام جيشاً لمحاربة الخوارج، وكان كما نقل: انَّ اباالاسود الدؤلي كان قائد هذا الجيش[3]، ولم اعثر علىٰ نتائج هذه المعارك التي دارت بين جيش الامام والخوارج بشكل مفصل، وبعد ذلك رجع ابوالاسود الىٰ البصرة، وتلقىٰ خبر استشهاد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، ففي ذلك صعد المنبر وخطب الناس ونعىٰ اليهم أمير المؤمنين وبكاه، ثم دعاهم الىٰ بيعة ابنه الحسن فبايعت الشيعة كلها وتوقَّفَ بعض الناس ممن يرىٰ رأيَ العثمانية، ولم يظهروا انفسهم بذلك، وهربوا الىٰ معاوية مع رسولٍ كان قد دَسَّه معاوية لعلمه أنَّ الحسن قد ارسله في الصلح ويدعوه الىٰ اخذ

---

١. الشريف المرتضىٰ، الامالي، ص٢٩٢.

٢. وجدي، دائرة المعارف الاسلامية، ص٣٠٧.

٣. ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج١١، ص١١٦؛ ابن الاثير، اسدالغابة، ج٣، ص٦٩.

البيعة له في البصرة، وقد حمل الاسود وعود معاوية وامانيه ولكن اباالاسود لم يستجب لهذه الدعوة، بل واتّهم معاوية علىٰ التحريض لقتل علي عليه السلام[1].

وقال في خطبته[2]: «ان رجلاً في اعداء اللّه المارقة عن دينه اغتال أمير المؤمنين علياً عليه السلام، في مسجده وهو خارج للصلاة، ليلةً يرجي فيها مصادفة ليلة القدر فقتله، فباللّه هو قتيل وأكرِمْ بِه وبمقتله، وروحه من روح عرجت الىٰ اللّه تعالىٰ بالبرّ والتُّقىٰ، والايمان والاحسان، لقد اطفا منه نور اللّه في أرض لادين بعده أبداً، وهدم ركناً من اركان اللّه تعالىٰ، لايشاد مثله، فإنّا للّه وإنّا اليه راجعون وعند اللّه نحتسب مصيبتنا؛ السلام عليك ياأمير المؤمنين يوم ولدت ويوم قتلت ويوم تبعث حياً». ثم بكىٰ حتىٰ اختلت اضلاعه.

وقال: «وقد أُوصي بعده الىٰ ابن بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإنّي لأرجو انْ يُجْبِرَ اللّهُ عزّ وجلّ به ماوهن، ويسُدَّ به ماانثلم ويجمع به الشَّملَ، ويطفىء به نيران الفتنة؛ فبايعوه، ترشدوا»، فكتب اليه معاوية، وارسل اليه رسولاً يعلمه ان الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح، ويدعوه الىٰ اخذ البيعة له بالبصرة ويعده ويمنّيه.

الاابْلغْ معاويةَ بن حربٍ ... فلاقرَّتْ عيونُ الشامتينا
أفي شهرِ الصيامِ فَجَعْتُمونا ... بِخَيرِ الناسِ طُرّاً أجْمَعِينا
قَتَلْتُم خَيرَ من ركِبَ المطايا ... وخيّسها ومن ركبَ السَفينا
ومن لبسَ النعالَ ومن حذاها ... ومن قرا المَثاني والمئينا
إذا استَقبلتَ وجهَ ابي حُسينٍ ... رأيتَ البدرَ راقَ الناظرينا
لقدْعلمتْ قُريشٌ حيثُ كانت ... بِأنَّك خَيرهُم حَسَباً ودِيناً[3]

---

١. نعمان القاضي، الفرق الاسلامية، ص٥٥٨؛ مقدمة الديوان، ص٢٨.

٢. ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج١١، ص١١٦ ـ ١١٧.

٣. ديوان ابي الاسود الدؤلي، ص١٧٧، وردت هذه الأبيات الستة في رسالة الدكتور الدجني، ص١١٨؛ ابن جني، ص ٧١ ـ ٧٢، الاغاني، ج ١٢، ص٣٢٩؛ إنباه الرواة؛ ج١، ص١٩؛ تاريخ الطبري، ج٥، ←

ونلاحظ شاعرنا يعاتب بني هذيل الذين عادوه لولائه لِاميرِ المؤمنين، فقال فيهم:

شَتَموا علياً ثم لم ازجرهم عنهُ فقلت مقالةَ المُتردّدِ
اللّهُ يعلمُ انّ حُبّي صادقٌ لبني النبيِّ وللامامِ المُهتدِي[1]

ونرىٰ شاعرنا أباالاسود ثابت العقيدة والاخلاص للامام، ومن شيعته والمتحققين بمحبته ومحبة ولده[2]، بل كان من وجوه شيعته[3].

وقد بذل كل مهجته في الدفاع عن عقيدته؛ دفاع المؤمن الشجاع، ولايحتاج شاعرنا لإثبات والأدلّة علىٰ تشيّعه وقلّما تجد كتاباً لايذكر ذلك.

وقد قضىٰ طوراً من الزمن نازلاً عند بني قشير[4] وهم اصهاره وكانوا معه بنقاش حاد ويخالفونه في آرائه، ويصل به الأمر الىٰ أنْ يرجموه بالليل لمحبته لعلي وولده، فاذا اصبح الصباح، وذكر رجمهم قالوا: اللّه يرجمك فيقول لهم: [إنّكم] تكذبون، لورَجَمَني اللّه لأصابني وأنتم ترجمون فلامصيب.

وقال في ذلك:

يقول الارذلون بنو قشير طوال الدهر لاتنسىٰ عليّاً
أحبُّ محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيّا
فقلت لهم: وكيف يكون تركي من الاعمال مايقضي عليّا

→

ص١٥٠؛ نور القبس، ص٨ـ كما وردت الابيات المرقم ١ـ ٤ و٦، وبيت آخر في تذكرة الخواص، ص١٨٩، وردت هذه الابيات الستة من جملة ١٤ بيتاً في الاستيعاب؛ ج٣، ص٦٦، ومن جملة ١٣ بيتاً في مناقب ابن شهرآشوب، ج٢، ص٨٣، ومن جملة عشرة في كفاية الطالب، ص٣١٧، كما ورد ثلاثة منها في الكامل، ج٢، ص١٥٢.

١. د. نعمان القاضي: الفرق الاسلامية، ص٥٥٩ ـ محمدحسن آل ياسين: الديوان، ص٢٤٠.

٢. السيرافي، اخبار النحويين البصريين، ص١١ ـ وانظر إنباه الرواة للقفطي، ج١ ص١٤.

٣. البغدادي، خزانة الادب، ص٢٥٦، ابو عبيد البكري، سمط اللآلي، ص٦٦؛ ابن نباته المصري، سرح العيون ص٢٧٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرىٰ، ج٧، ص٩٩؛ الاغاني، ج١١، ص١٧١.

٤. اخبار النحويين البصريين، ص١١؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج٧، ص١٣، وانظر: امالي المرتضىٰ، ص٤٩٣؛ عبدالله نعمة، الادب في ظل التشيع، ص١٥٩.

وجعفر ، إنَّ جعفر خير سبط ... شهيداً في الجنانِ مهاجريّا
ومـا انسىٰ الذي لاقىٰ حسين ... ولاحسن باهونهم عليّا
بنو عم النبيِّ وأقربوه[١] ... احبُّ الناسِ كُلّهم اليّا
فان يكُ حُبّهم رشداً أصبه ... وفيهم اسوةٌ إن كان غيّا[٢]
فكمْ رُشداً اصبتُ وحزتُ مجداً ... تقاصرَ دونهُ هامُ الثُريّا
هم أهلُ النَصيحة من لدُنّي[٣] ... وأهل مَوَدّتي مادُمتُ حَيّا
هو أعطيته لمّا استدارتْ ... رَحىٰ الاسلام لم يعدلِ سويّا
احِبّهُم لحبِ اللّه، حتىٰ ... أجيءُ إذا بعثتُ علىٰ هويّا
رايتُ اللّهَ خالقَ كلِّ شيءٍ ... هداهُم واجتبىٰ منهم نَبيّاً
ولم يخصص بها احدٌ سِواهم ... هنيئاً ما اصطفاهُ لهمْ مريّا
هُمُ واسوا رسولَ اللّهِ حتىٰ ... تَربّع امرُهُ امراً قويّا

ولابي الاسود شعر في خروج خالد السدوسي الخارجي علىٰ عبيدالله بن زياد لعهد يريد لابي الاسود في الهجوم علىٰ بني امية والتنديد بهم وبحكمهم وسفكهم لدماء الشيعة ظلماً وبغياً من مثل قوله :

صبغتَ اميةُ بالدماءِ اكُفّها ... وطَوتْ اميةُ دُوننا دنيانا[٤]

وقد هجم في شعره علىٰ بني زياد في قصيدة يتمنىٰ فيها زوال جبروتهم وسلطانهم الجائر في مثل قوله :

اقولُ وزادَني غَضباً وغيظاً ... أزال اللّهُ مُلكَ بَني زيادْ[٥]

ويحسبه بعضهم من الفضلاء والفصحاء من الطبقة الاولىٰ من شعراء الاسلام[٦]،

---

١ . في الاغاني بني عم ... واقربه.

٢ . في الاغاني: ولست بمخطئ ان كان.

٣ . في الاغاني : النصيحة غير شك.

٤ . ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٤١ .

٥ . ابو الاسود، الديوان، ص٢٤١ ؛ نعمان القاضي، الفرق الاسلامية، ص٥٦.

٦ . الصدر، تاسيس الشيعة ص١٨٦.

لولاء الشاعر لأهل البيت وصموده اتّجاهَ محنهم ومعايشاً لاحداثهم، وله رثاء لعلي وللحسين ولمن قُتل يوم كربلاء، له في ذلك شعر كثير من مثل قوله:

يا ناعي الدين الذي يَنعىٰ التُقىٰ قُمْ فانعهُ والبيتَ ذا الأستارِ
أبَني علىٰ آل بيت محمدٍ بالطَّفِّ تقتلهمْ جُفاةُ نزارِ
سبحانَ ذي العرشِ العلي مكانه أنىٰ يكابره ذوو الاوزارِ[1]

وهكذا رفع الدؤلي سيفه امام اعداء آل البيت وبارزهم براز الابطال حتىٰ لم يدع صغيرة ولاكبيرة الأ وقد صاغها بشعره وقالها بكل قوة وصُمُود، ولم يتزحزح في كلّ الظروف والاحوال عن خط آل البيت، بل كان يفديهم بمهجته ولاسيّما ايام المحن والمضايقات عليهم، وهكذا قضىٰ حياته منذ نعومة اظفاره الىٰ ان وافاه الاجل المحتوم في البصرة عام الطاعون الذي اجتاحها سنة ٦٩ هـ، بعمر ناهز ٨٥ سنة.

حياة ابي الاسود وعائلته

فشاعرنا احد الشعراء الذي اكثروا من النساء وخاض معركة الجنس اللطيف في المجتمع، ففي مواضع ربح او فاز وفي مواضع خسر هذه المعركة؛ فله من النساء اربع، كلهنّ بعد هجرته الىٰ البصرة - اي هاجر عازباً اليها - من غير المحاولات العديدة التي باءت بالإخفاق، وعند وصوله البصرة نزل عند قبيلة قشير وقد تزوج منها زوجته الاولىٰ، المكنّاة أم عوف قال ابو الفرج الاصفهاني: «كان أبو الاسود الدؤلي نازلاً في بني قشير - وهم فخذ عثماني النزعة - وامرأته ام عوف منهم، وكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغضبوه» وأشار أبو الاسود لهذه المعاملة في قصيدة مطلعها[2]:

يقولُ الأرذلونَ بنو قُشير طوالَ الدهرِ لاتنسىٰ عليّاً

---

١. أبو الاسود، الديوان، ص١٨٢.

٢. الاغاني، ج١٢، ص٣٢٦؛ سمط اللآلي، ج٢، ص٦٤٣.

والظاهر الجفاء المذهبي الذي حال بين الدؤلي وبني قشير لم يؤثّر بين الزوجين، اذ بقي أبوالاسود مخلصاً لزوجته، وقدانجبت منها اولاده عطاء واباحرب، ونلاحظ الدؤلي يميل لها اكثر من بنت عبدالقيس، فهي صابرة محتسبة ويقول فيها[1]:

أبىٰ القلبُ إلاّ أمّ عوف وحبّها عَجوزاً ومن يحبب عجوزاً يفنّد
كسحقِ اليمانيّ قدْ تقادَم عهده ورقعته ماشئتَ في العينِ واليدِ

فهذه سلكت سلوك الزوجة الحقيقيّة التي تعايش زوجها مع كل الظروف، ونرىٰ الثانية وهي فاطمة بنت عبد قيس، فكانت اجملهما فالتوَت عليه لما اسنَّ وتنكرت له وساءت عشرتها معه.

والتبست بعض الروايات بين الزوجة الاولىٰ والثانية[2] وقيل انّها من عبدالقيس، وقال آخرون: لا، بل هيَ القشيرية والحقيقة أنّها من عبدالقيس، لان معظم الروايات تظهر ذلك.

ونلاحظ وفاء شاعرنا لزوجته واخلاصه لها، يصوّره هذا المقطع باسلوب ادبي جميل:

تعاتِبَني عرسي علىٰ انْ اطيعها لقد كذّبتْها نفسها ماتمنّت
وظنَّتْ بأنّي كلُّ مارضيتُ به رضيتُ به ياجهلها كيف ظنّتْ

ونرىٰ في موضع آخر من اشعاره طبع بطابع الشكوىٰ، فنلاحظ زوجته تشكو الىٰ جاراتها وتشكو عليه كثيراً، ونشاهد تصوير هذا المشهد بقوله:

تشكي الىٰ جاراتها وبَناتها إذا لمْ نجدْ ذنباً عَلينا تَجنبا

اما من حيث اللقب فـ«ام سكن» لم يذكر المؤرخون انَّ لها بنتاً بهذا الاسم، ولالشاعرنا بنت بهذا الاسم، وكان لابي الاسود بنات لم يذكر المؤرخون اسمائهن.

وقال ابو الفرج في اغانيه[3]: «كان ابوالاسود يجلس الىٰ فناء امرأة بالبصرة

---

١. الاغاني، ج١٢، ص٣٢٦؛ الديوان، ص٥٣.
٢. الديوان، ص٣١ـ٣٣.
٣. الاغاني، ج١١، ص٢١٠؛ ديوان الدؤلي، ص١٢٢.

فيتحدَّثْ اليها، وكانت جميلة، فقالت له: ياابا الاسود هل لك في أن اتزوَّجك فإنّي صنّاعُ الكف حسنةُ التدبير، قانعةُ الميسور؟ قال: نعم؛ فجمَعَتْ اهلَها فتزوجته، فوجد عندها خلاف ماقدره، واسرعَتْ في ماله، ومَدَّتْ يدها الىٰ خيانته، وأفْشَتْ سِرَّهُ فغدا علىٰ من كان حضر تزويجه ايّاها، فسالهم انْ يجتمعوا عنده، ففعلوا فقال لهم:

أريت امـــرءاً كنت لم ابله — أتاني فقالَ: اتخذني خَليلا
فَخالَلتهُ ثم اكرمتهُ — فلمْ أستفدْ من لدنه فَتيلا
والفيتهُ حينَ جربّتُه — كذوبَ الحديثِ سروقاً بَخيلا

فقالوا: بلىٰ والله ياابا الاسود، قال: «تلك صاحبتكنَّ وقد طَلَّقْتُها لكم وانا أُحبُّ انْ أستر ماانكرته من امرها، فانصرفت معهم».

وهذه الزوجة الثالثة التي تزوجها في البصرة وله زوجة رابعة شاميّة، لم يوضح لنا التاريخ تفاصيل عنها، حتىٰ نعرف اسمها سوىٰ المحاورة التي دارت بينها وبين الدؤلي، فكان يبغضها بغضاً شديداً، والخلاف الذي حدث بينهم علىٰ المولود، وعرضت المسالة علىٰ معاوية فحكم بأن الحَقَّ لها وأخذت ابنها وانصرفت بعد الطلاق، ولم يَتَعَرَّضْ لهذه الحادثة في ديوانه، ويبدو انَّ ماقاله فيها قد ضاع في بطون الكتب مع ماضاع.

علاقاته النسوية

وإذا تفحصنا ديوان الدؤلي نجده يذكر بعض النساء اللاتي تَقَدَّمَ عليهن بالخطبة ولكنه خاب في التزويج منهن.

ومن المحاولات انه خطب امراة من عبدالقيس[1] ولكن ابن عمّها منعها بعد قصة دارت. موجزها: لابي الاسود صديق من الازد يقال له الهيثم بن زياد الأزدي فاسرّه

---

١. البغدادي، خزانة الادب، ج١، ص١٣٧؛ الاغاني، ج١٢، ص٣١٦؛ الديوان، ص١٣٥.

بأمر اسماء بنت زياد بن غنيم، فقام الازدي وحدّث ابن عم لها كان يخطبها وكانت تملك مالاً عند أهلها فخشىٰ ابن عمّها الخاطب لها الىٰ أهلها، مالها عندهم، فاخبرهم خبر ابي الاسود وسالهم أنْ يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذي في أيديهم، ففعلوا ذلك وضارّوها حتىٰ تزوّجتْ ابن عمّها، فعزّ الموقف في نفس الدؤلي فقال:

لعمري فقدْ افشيت يوماً فخانني | الىٰ بعضٍ منْ لم اخشَ سراً مُمنعا
فمزقه مَزق العَمىٰ وهو غافل | ونادىٰ بما اخفَيتُ منه فاسمعا
ولست بجازيكَ الملامةَ إنّني | ارىٰ العفو أدنىٰ للرشادِ وأوسعا

وهنالك محاولة اخرىٰ لابي الاسود في خطبة امرأة من بني حنيفة[١]، وبعد أن عرف ابن عمّها بذلك منعها عنه، وكان اسمها سلمىٰ وكان ابوالاسود ـ علىٰ مايبدو من قصيدته ـ مولعاً بحبّها وقال:

ذروا آل سلمىٰ ظّنتي وتَعتّبي | ومازلَ مني ان مافاتَ فائت
ولاتهلكوني بالملامةِ إنّما | نُطقتُ قليلاً ثم انّي لساكتِ
ساسكت حتىٰ تحسبُوني كأنني | من الجهدِ في مرضاتِكم متماوت
الم يكفكم أن قد منعتم بيوتكم | كما منع الغِيل الأسود النواهت

وهنالك رقم من الجواري، نشير الىٰ مامذكور في بطون المصادر فقد اشترىٰ الدؤلي جارية للخدمة في المنزل، وكانت لطيفة فعرضت نفسها للنكاح، وتطيّبت وتشمّلت بثوبها، فدعاها ابوالاسود، فقال لها: انّما اشتريتك للعمل ولم اشترك لغير ذلك، ثم اشار بقوله[٢]:

اصلاحُ اني لااريدُكِ للصبَا | فَدَعي التشمُّل حولنا وتَبذّلي
أني اريدُكِ للعجينِ وللرّحىٰ | ولحملِ قِربَتنا وطبخِ المِرجلِ
وإذا تَروحَ ضيفُ أهلكِ أو غدا | فخذي لآخر نحو أهلكِ مقبل

---

١. الاغاني، ج١٢، ص٣١٥؛ الديوان، ص١١٥.

٢. الاغاني ج١٢، ص٣٠٦؛ الديوان، ص١١٥.

ومن جواريه تلك الجارية[١] الحولاء التي أعجبته فعابه أهله علىٰ ذلك، ولكنّه لم يتاثّر لعيبهم، وقال فيها متغزّلاً:

يعيبونها عندي ولاعيب عندها ... سوىٰ انَّ في العينين بعض التاخّر
فإنْ يك في العينين سوء فانها ... مهفهفة الأعلىٰ رداح المؤخّر

ذرّية ابي الاسود

بعد الاشارة الىٰ عائلة الدؤلي، لزم علينا انْ نبحث هل تركت هذه العائلة ذرية ام لا؟ فالظاهر ان لابي الاسود ولدين ومجموعة بنات لم يذكر المؤرخون أسمائهن، اما الاولاد فهما ابوحرب وعطاء، والمعروف[٢] والمشهور بين الناس هو ابوحرب، لعلمه وسعة عقله، وقد تتلمذ علىٰ يد والده الدؤلي، فهو ذو ثقافة عالية وله احاديث، كما نراه يصل الىٰ مركز هامٍّ في عهد الامويين، ونقل صاحب انباه الرواة: «واما ابوحرب ابن ابي الاسود فكان شجاعاً عاقلاً ولاه الحجاج جوخاً»[٣]، وهي كورة واسعة في سواد بغداد بالجانب الشرقي.

وذكر ذلك صاحب معجم البلدان حيث قال: «لم يكن ببغداد مثل كورة جوخا وكان خراجها ثمانين الف درهم، وهذا مايدلّ علىٰ مكانته عند الحجاج وغيره من رجال السياسة آنذاك.

ونلاحظ في متون المصادر انَّ أباحرب بن ابي الاسود الدؤلي[٤] قد عزم علىٰ عدم الخروج من البيت ـ اي معتصماً فيه ـ وكان ذلك في منزل والده في البصرة،

---

١. الاغاني، ج١٢، ص٣٠٦؛ الديوان، ص٥٢.

٢. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١٢، ص٢١٨؛ الوزير البكري، سمط اللآلي، ج٢ ص٦٤٣.

٣. القفطي، إنباه الرواة، ج١، ص٢١، الحموي، معجم البلدان، ج١٨، ص٤٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبرىٰ، ج٧، ص٣٦.

٤. البغدادي، خزانة الادب، ج١، ص١٣٨؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج٧ ص١١٥؛ الاغاني، ج١٢، ص٣٢٩.

لايرضىٰ في طلب الرزق من تجارة او غيرها، فعاتبه ابوه على مقولة له، وهي: ان كان لي رزق فسيأتيني، فأشار الدؤلي لولده بأبيات من الشعر رسم له منهاج الحياة الهادف الذي صمّمه اللّه عزّ وجلّ لعباده حتىٰ لايزل في هذه الحياة، وبأسلوب مقنع ومرضيّ فقال له:

وماطلب المعيشة بالتمنّي — ولكن ألقِ دلوكَ في الدلاءِ
تجيءُ بملئها يوماً ويوماً — تُجيءُ بحمأةٍ وقليلِ ماءِ
ولاتقعدْ علىٰ كسلِ التمنّي — تحيلُ علىٰ المقادرِ والقضاءِ
فإنّ مقادرَ الرّحمن تجْرِي — بأرزاق الرجال من السماءِ
مُقدّرةً بقبض او ببسط — وأعجز المرءِ اسباب البلاءِ

اما ولده الثاني عطاء لم يذكر المؤرخون له شيئاً، وتفحّصنا الديوان فلم يذكره. والظاهر إنّه كان صغيراً عند وفاة والده، وكذلك هو اصغر من اخيه ابي حرب، ونراه بعد فترة يحاول انْ يتمّم ماكتب والده في علم النحو[1]، واكثر من ذلك لم اعثر عن اولاد الدؤلي.

اما من حيث البنات ـ كما ذكرت ـ لم نعرف عنهن ابسط الامور، وحتىٰ اسمائهن والذي عثرنا عليه هو قصة بنته التي الحنت وقالت: ابت ماأجْمَلَ السماءُ، ولاندري هل هي التي قرضت الشعر أم غيرها، وقد غضبت كاللبوة عندما بعث معاوية الهدايا لوالدها، ورفضتها وارتجلت هذه الابيات:

أبا لشهدِ المزعفرِ يابنَ حَربٍ — نَبيعُ عَليكَ احسَاباً ودينا
معاذَ اللّه كيفَ يكونُ هذا — ومَوْلانا اميرالمؤمنينا[2]

ونلاحظ ارباب التاريخ يشيرون بأنّ ابا الاسود كان يهديها ويرشدها الىٰ الطريق الرشيد، ويقول لها: «جمال المرأة اخلاقها وزينتها» ويُفَصِّلُ لها: «إيّاك والغيرة فانها

---

١. الخوانساري، روضات الجنات، ج١، ص٣٣٤.
٢. الصدر، تاسيس الشيعة، ص٤٦.

مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة؛ وازين الزينة الكحل، وعليك بالطيب، واطيب الطيب إسباغ الوضوء، وكوني كما قلت لأمّك في بعض الاحايين»:

خُذِي العَفوَ مني تَستديمي مودَّتِي ... ولاتَنْطقي في سورتي حينَ اغضب

فان وجدت الحبَّ في الصدرِ والأذىٰ ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثالث

ذكاء الدؤلي

«ابو الاسود الدؤلي» شخصية مرموقة في كثير من مناحيها، ومعدودة في طبقات من الناس هي كلّها مقدمة، ماثور عنها الفضل في جميعها، فهو تابعيٌ فقيه، شاعر محدّث وأمير ونحوي وزاهد، وهو اولاً وقبل كل شيء من وجوه الشيعة[1]. فالرجل الذي يحمل هذه الصفات ذكيٌ وسريع البديهية واجادة النكتة وكثيراً مااشارت الكتب[2] الىٰ هذا الذكاء، ومن الروايات التي وردت في هذا المضمار مما اثبتت له سمو ذكائه وسرعة تصرفه في المواقف الحرجة وغيرها.

وذكر صاحب روضات الجنات إنّ الدؤلي قال لأولاده[3]: «احسنتُ إليكم كباراً

١. ابن سعد، الطبقات، ج٧، ق١، ص٧٠؛ ابن الاثير، اسدالغابة، ج٣، ص٦٩؛ العسقلاني، الاصابة، ج٣، ص٣٠٤؛ البغدادي، خزانة الادب، ج١، ص٣٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٤١؛ الخوانساري، روضات الجنات، ص٤٣١؛ السيرافي، اخبار النحويين البصريين، ص١٣؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٠٧؛ المرزباني معجم الشعراء، ص٦٧.

٢. وفيات الاعيان، ج٢، ص٢١٦؛ طبقات ابن سعد، ج٧، ص٩٩؛ الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص١٠٤؛ ابن الأثير، اسد الغابة ج٣ ص١١٥.

٣. روضات الجنات، ص٣٤٣؛ الدجيلي، الديوان، ص٧٤.

وصغاراً وقبل انْ تكونوا! فقالوا: أحسنت إلينا كباراً وصغاراً فكيف أحسنت إلينا قبل ان نكون؟ فقال: لَمْ اَضَعْكُمْ موضعاً تستحون منه».

وقيل له[١]: انت والله ظرف لفظ وظرف علم ووعاء حلم، غير انّك بخيل. فقال: وماخيرٌ في ظرف لايُمسِكُ مافيه.

ومن ظرائفه المروية عنه: نظر المنذر بن الجارود الىٰ ابي الاسود الدؤلي[٢] وعليه قميص مرقوع فقال له: ماأجبرك علىٰ هذا القميص؟ فقال له: رب مملوك لايستطاع فراقه. فبعث اليه بعض الثياب؛ فقال أبو الاسود:

كَساني ولم أستكْسِه فحمدته ... أخٌ لكَ يُعطيكَ الجزيلَ وناصرِ

وإنّ احقَّ الناس إنْ كنت شاكراً ... بحمدكَ من اعطاكَ والوجه وافرِ

وذكر صاحب الانباء[٣]: «بلغني انّ اباالاسود قال لرجل هنَّأهُ بتزويج، باليُمن والبركة وشدة الحركة، والظفر عند المعركة».

ومن دقة تصرّفاته وحسنها قال الدؤلي عن نفسه: «ماغلبني رجل[٤] قط الاّ رجل اخذت منه ثوباً بعشرين، ومررت بجماعة سالوني عنه، فقلت: اخذته بأربعين، فلمّا وفّيت الرجل، قال: ماآخذ الاّ أربعين وهؤلاء الشهود عليك».

وقال عن العمامة[٥]: «جُنّة في الحرب ومكنة في الحر ومدفاة في البرد، ووقار في الندىٰ، وواقية من الأحداث، وزيادة في القامة، وهي بعدُ: عادة من عادات العرب».

وقيل[٦]: اشترىٰ ابوالاسود حصاناً بتسعة دنانير، واجتاز به علىٰ رجل اعور فقال: بكم اشتريته؟ قال: قيِّمه، فقال: قيمته أربعة دنانير ونصف فقال: معذور انت، لأنّك نظرت بعين واحدة فقيَّمتَه نصف قيمته.

---

١. امالي المرتضىٰ، ص٢٩٤.

٢. وجدي، العقد الفريد، ج١، ص٢٣٣؛ الدؤلي، الديوان، ص٨٥.

٣. القفطي، إنباه الرواة ج١، ص٢٣؛ ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج٣، ص٦٨.

٤. إنباه الرواة، ج١، ص٢٠؛ الاغاني، ج٢، ص٣١٨.

٥. الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص١٠٠.

٦. الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٣٩٥.

ونظرنا في بعض الأخبار فعثرنا بمقولة له على ابن قُشير[١]: مافي العرب احبُّ الى طول بقاء منكم، قالوا: ولم ذاك؟ قال: لِأنَّكُمْ إذا ركبتم امراً علمت انّه غيٌّ، فاجتنبه، وإذا اجتنبتم امراً علمت انّه رشد، فاتبعه.

إنّ الأعور قال لأبي الأسود: ماالشيء ونصف الشيء ولاشيء[٢]؟ ...

قال: امّا الشيء فكالبعير انا ... واما لاشيء فالاعمى. واما نصف الشيء فأنت الاعور.

ومما ذكر عنه ان للدؤلي دكاناً الى صدر الجبل، يجلس فيه وحده ويضع بين يديه مائدة ويدعو اليها كلّ من يمرّ به، وليس لأحد ان يجلس فينصرف عنه، فمرّ به صبيٌّ من الأنصار فقال له ابوالأسود: هلّم الى الغذاء يافتى! فاتى إليه، فلم يَرَ موضعاً يجلس فيه، فتناول المائدة فوضعها في الأرض، ثم قال: ياأبا الأسود إن كان لك في الغذاء حاجة فانزل، واقبل الفتى ياكل، حتى اتى الى جميع مافي المائدة، وسقطت ـ آخر الطعام ـ من يده لقمة على الأرض فاخذها، وقال لاادعها للشياطين، فقال ابوالأسود: واللّه ماتدعها للملائكة المقرّبين، فكيف تدعها للشياطين ثم قال له: ماأسمك؟ قال: لقمان. فقال أبوالأسود: أهلك كانوا اعلم زمانهم إذ سمّوك بهذا الاسم. ولم يعد الى ماكان يصنع[٣]!

شجاعة الدؤلي

أبوالأسود الدؤلي من وجوه الشيعة[٤] الذي صحبوا علياً وشهدوا معه الجمل

---

١. العسقلاني، الاصابة، ج٢، ص٢٣٣.

٢. تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج٢، ص١٢٢.

٣. محمد احمد جاد المولى البجاوي، محمد ابو الفضل ابراهيم، قصص العرب، ج٤، ص٤١٤.

٤. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٠٧، اخبار النحويين البصريين، ص١٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٧٠، العسقلاني، الاصابة، ج٣، ص٣٠٤؛ المزرباني، معجم الشعراء، ص٦٧؛ نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٥٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٤١.

وصفين، وقاد المعارك وحارب معه فيهما، كما أرسل علىٰ رأس قوّة ضد الخوارج[1] وهو من شعراء الشيعة المقدّمين، ويعدُّه بعضهم من الفضلاء والفصحاء من الطبقة الأولىٰ، من شعراء الاسلام[2]. وقد رافق شعره كلّ الأحداث المهمّة في عصره، ومرّ بنا شعره في الجمل وصفين معاتباً عائشة وطلحة والزبير وفي هجاء بني اميّة[3]، ونراه يفتخر في شجاعته بكل بسالة بقوله:

أُجيبُ إذا الداعي دعاني واحتمي — بابيض مصقول ضريبته عضب

وإنّي لَمِن قوم إذا حاربوا العِدىٰ — اغاروا بفتيان مغاوير كالشهب

وله قصائد طوال في الهجوم علىٰ بني اميّة والتنديد بهم وبحكمهم وسفكهم لدماء الشيعة ظلماً وبغياً، فانهال عليهم بكل بسالة بقوله:

صَبغتْ أُميّةُ بالدماءِ اكفَّها — وطَوتْ اميّة دونَنا دُنيانا[4]

وفي قصيدة أخرىٰ سجل شعره هجوماً علىٰ بني زياد ويتمنّىٰ فيه زوال جبروتهم وسلطانهم الجائر المتسلط علىٰ رقاب المسلمين واشار بقول:

اقولُ وزادني غَضَباً وغيظاً — ازالَ اللّهُ مُلكَ بني زِياد[5]

فكان لايهاب كيان الطغاة الظلمة من بني اميّة وغدرهم، بل ولايخشىٰ جبروتهم وصرّحَ عن جرائمهم واعمالهم الشريرة بقصائد طوال. واستمر علىٰ شجاعته وثبات رأيه حتىٰ بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام فلم يركع لبني امية وحاولوا استمالته فلم يستطيعوا «وقد ظلّ أبوالأسود حاملاً لواء التشيّع حتىٰ آخر انفاسه الىٰ أن توفي سنة ٦٩هـ.»[6].

---

١. وجدي، دائرة المعارف الاسلامية، ج١، ص٣٠٧(مادة نحو ولحن).

٢. الصدر، تاسيس الشيعة، ص١٨٦.

٣. القاضي، الفرق الاسلامية، ص٥٥٧، ٥٥٩.

٤. وفيات الاعيان، ج١، ص٢٤١.

٥. الدؤلي، ديوان، ص٢٤١؛ الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٦٠.

٦. الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٦٣.

أبو الأسود العالِم

بعد مطالعتي عن علمه في بطون الكتب وجدت الجاحظ يصفه بقوله: «كان جمع شدّة العقل وصواب الرأي وجودة اللسان»[١] وقال الصدر: انه من شعراء الشيعة المقدّمين ومن الفضلاء والفصحاء من الطبقة الاولىٰ من شعراء الاسلام[٢]، وهو من أكمل الرجال رأياً[٣] وأسدّهم عقلاً، فهو تابعي فقيه، شاعر ومحدّث، وأمير ونحوي، وزاهد، وهو أولاً وقبل كل شيء من وجوه الشيعة[٤] وان رجال التاريخ قد ذكروا حياة الدؤلي ولكن اندثر الكثير من علمه في صدر الاسلام، كما اندثرت له عشرات القصائد في تلك الفترة.

كان أبو الأسود الدؤلي عالماً جليلاً وفقيهاً نحريراً، يعرف قيمة العلم والمعرفة بالنسبة الىٰ مجتمعه البسيط، وواضح عنده انّ العالِم له المكانة السامية عند الملوك والامراء ويقول صاحب عيون الأخبار: «الملوك حكّام الناس والعلماء حكّام الملوك»[٥].

وله في ديوانه بعض المقاطع في مكانة العلم والعالِم ومقارنته بالأمور المادية فيذهب قائلاً:

ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لاتعدلنّ به دُرّاً ولاذهبا

ونلاحظ علميته من خلال مناصبه التي تولّاها كقاضياً للبصرة ثم عاملاً عليها

---

١. الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٢٥٨.

٢. الصدر، تاسيس الشيعة، ص١٨٦؛ الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٥٩.

٣. وفيات الاعيان، ج٢، ص٢١٦.

٤. الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٠٧؛ المرزباني، معجم الشعراء ص٦٧، اخبار النحويين البصريين، ص١٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج١، ق١، ص٧٠؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج٢، ص٦٩؛ العسقلاني، الاصابة، ج٣، ص٣٠٤؛ البغدادي، الخزانة، ج١، ص١٣٦؛ الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٥٧؛ وفيات الاعيان، ج١، ص٢٤١.

٥. عيون الاخبار، ج٢، ص١٢١؛ العقد الفريد، ج٢، ص٢١٤.

وهذان المنصبان يحتاجان الىٰ تفقّه ومعرفة بأمور الدّين علىٰ الاقل، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ نلاحظ إبداعه الجديد في علم النحو الذي رسمه له الإمام علي عليه السلام، ومن جانب آخر نلاحظ فصاحة لسانه وملكته الشعرية التي رسم بها كل اغراض الشعر العربي الاسلامي، وله عمل كبير جداً وهو تشكيل القرآن الكريم، ويعتبر من أدقّ الأعمال واجهدها ونبغ بها الدؤلي وهو يدلّ علىٰ براعته العلمية، وسوف نعقد له فصلاً عن علمه في ذلك.

شيوخه وتلامذته

من ابرز اساتذته هو الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام فهو فضلاً عن تشيعه، المخلص له ومؤازرته بيده وبلسانه، تلميذه في القضاء والفقه والعلم[١].

وهو مؤسس النحو بعد علي بن ابي طالب عليه السلام والإمام استاذه في ذلك.

اما مشايخه في القراءة والحديث فمعروفون، فقد عاصر الدؤلي بعض الصحابة وكثيراً من التابعين، ومن أبرز العلماء المعاصرين له، هو الأشعري ابوموسىٰ[٢]، وموصوف بصوته الجميل في قراءة القرآن، كما عاصر العالم الجليل والصحابي المحدث عبدالله بن عباس الذي دعا له النبي صلى الله عليه وآله ليزيده في الفقه ويعلّمه من التاويل[٣].

أما تلامذته، فقد اختلفت كتب التاريخ والرجال في تقديم وتاخير بعضهم علىٰ الآخر، فقد جاء عن السيوطي[٤] والخليل وأبي الطيب اللغوي[٥] أسماء تلاميذ الدؤلي، مع الاختلاف في تقديمهم. والظاهر انَّ صاحب روضات الجنات[٦] حددهم بخمسة تلاميذ، وهم بقوله: «قيل: إنَّ اباالاسود، خَلَّفَ خمسة من التلاميذ، هم:

---

١. الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٥٧.
٢. طه حسين، الفتنة الكبرىٰ، ج١، ص٢١٤.
٣. احمد أمين، فجر الاسلام، ص١٤٧.
٤. ابن النديم، الفهرست، ص٦٨.
٥. ابوالطيب الحلبي، مراتب النحويين، ص ١٢.
٦. روضات الجنات، ص٣٤٤.

عطاء، وأبوحرب، وهما، ابناه وعنبسه وميمون، ويحيىٰ بن النعمان العدواني، ويقال[1]: سعد الرابية من تلاميذه». من الروايات التي نظمت فيها اسماؤهم، وهم: يحيىٰ بن يعمر، عنبسة الفيل، ميمون الاقرن، نصر بن عاصم، عطاء الدؤلي، وابوحرب الدؤلي، وسعدبن شداد الملقب بسعد الرابية، وهنالك اختلاف حدث بين الرواة في تقديم عنبسة الفيل علىٰ ميمون، وهنالك روايات لم تذكر اولاده. والحقيقة لقد حملوا لواء العلم والمعرفة الىٰ الاجيال.

واشهر من تخرَّجَ علىٰ يديهم، هو عبدالله بن ابي اسحاق النحوي المشهور.

ابوالاسود بين التبذير والتقتير

المعروف من سيرة العلماء والبلغاء والفصحاء، بل كل العقلاء، مسيرتهم ظاهرة بدقائقها ونيّاتها ومرسومة في بطون كتب التاريخ ولاسيما النجوم القريبة من الشمس تكون اوضح من البعيدة، فالذين عاشوا اقرب اهل البيت لاتخفىٰ علىٰ اللبيب سيرتهم خصوصاً الذين والوا اهل البيت وذابوا[2] في بودقتهم، فهم يحذون حذو اهل البيت ويسيرون طبق منهجهم ويطبقون رواياتهم في مضمار الاخلاق والكرم والإيثار وغير ذلك من خصال حميدة؛ فهم اول من سار علىٰ خطىٰ القرآن الكريم وطبق الحديث النبوي الشريف.

ففي كل زمان ومكان نجد الحسّاد والحقّاد وجيش الشيطان يجلس في جانب آخر في ذلك المجتمع فيتربص للمخلص هفواته وزلاّته وغير ذلك حتىٰ يقذفه ويشهّر به بين افراد المجتمع وغير هذا من اعمال الجبن والنفاق حتىٰ يقللوا من اهميّته الاجتماعية وعسىٰ أن يقوىٰ هذا الامر فيكون جرحاً في ذلك الشخص، او عاهة اخلاقية تساير ذلك الفرد مدىٰ التاريخ.

---

١. بغية الوعاة، ص ٢٧٤.

٢. ذاب فيه: اي اخذ كل صفاته وعمل بها وطبق الصغيرة والكبيرة من حركاته وسكناته فلايميز عن الاصل شيئاً، اي كالاصل او كمرآت عاكسة للشمس.

فقد رموا الدؤلي بالبخل واشاعوا هذه الخصلة بين الناس وتناسوا أنّه من قرّاء القرآن ومشكّله، ويقول سبحانه وتعالىٰ في محكم كتاب: ﴿إنَّ المُبَذِّرِينَ كانُوا إخوانَ الشَّياطِين﴾ واشار في آية اخرىٰ ﴿لاتجعَلْ يَدَكَ مَغْلُولةً إلىٰ عُنُقِكَ ولاتَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلوماً مَحسوراً﴾ فمن هاتين الآيتين يظهر خط الوسط في التعامل مع المجتمع، وهو الأقرب الىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، ولكن الذين اتّهمُوهُ لَمْ يلتفتوا انّ خَطَّ الحياة الواضح عند الدؤلي المستنبط من حكم الله، فنلاحظ التُّهَمَ ضعيفةً ومنها ماتميل للفكاهة لاإلىٰ الحقيقة، ومن ذلك مارواه الدميري[1]: «ان أباالاسود سمع رجلاً يقول: من يُعشّي الجائع؟ فقال أبوالاسود عَلَيَّ به، فاتاه بعشاء كثير، وقال له: كُل حتىٰ تشبع، فلما أكل ذهب ليخرج، قال: الىٰ اين تريد؟ قال: اريد أهلي، قال: لاادعك تؤذي المسلمين الليلة بسؤالك، اطرحوه في الادهم، فبات عنده مكبّلاً حتىٰ أصبح»[2].

لو وضعنا هذه الرواية في ميدان التحقيق، لَوَجَدْناها مجموعة متنافيات، إذا كان الدؤلي بخيلاً من باب اولىٰ، لايدعوه، فيغلق النهر من أصله، ومثل الدؤلي عالم وقاضي يقول للفقير لاادعك تؤذي المسلمين، أليس هو منهم، وبِأيِّ حق يؤذي مسلماً وفقيراً، وهل ورد في دواوين العرب من يطعم فقيراً أو ضعيفاً وبعد الاطعام يجازيه بمثل هذا الجزاء، ومن جانب آخر بِأيِّ قرار وقانون شرعي كبِّل هذا المسلم ووضعه في الادهم الىٰ الصباح، هل إنَّ السوقي يقوم بهذا العمل حتىٰ يقوم به قاضٍ من قضاة الدولة الاسلامية.

ويقول ابن قتيبة: وكان الدؤلي يقول لأولاده: «لاتجاودوا الله فإنّه أجود وأمجد ولو شاء الله أنْ يوسّع علىٰ الناس كلهم، حتىٰ لايكون محتاج لفعل»[3] هذه حكمة

---

١. الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٣٩٥.

٢. الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٣٥٩؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص١٨٥؛ ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج٢، ص٣١.

٣. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢، ص١١٨؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٢٩؛ الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٣٩٥.

بالغة يريد تبيان قوة الله سبحانه وتعالىٰ والحقيقة هذه، وليس من العقل انّه كلما تحرك الرجل في الارشاد والتبليغ نرميه بالبخل.

وذكر صاحب الأغاني: «سأل رجل اباالاسود شيئاً فمنعه، فقال له: ياأباالاسود! ماأصبحت حاتمياً! قال: بلىٰ اصبحت حاتمياً من حيث لاتدري؛ أليس حاتم الذي يقول:

أماوي اما مانع فمبين ... واما عطاء لاينهنهه زجر»[1]

ففيها شيءٌ من الفكاهة الظريفة وليس لها علاقة بصفة البخل، والنكتة ليس لها علاقة بحقيقة خصال الرجل.

نحن لانريد أن نكون من جانب الشاعر ولامن جانب من رماه بتهمة البخل، فكل القصص التي جاءت تحت هذا العنوان (البخل) لوادخلتها ميدان التحقيق، لوجدت منها المنتحل وفيها الملفق وفيها اراد الحكمة والارشاد والنكتة والفكاهة، ولكن المتربص يريد منه البخل فيتّهمه بذلك.

والحقيقة هو رجل لامسرفٌ ولامبذّر، بل هنالك طريقالقوام الذي ينتخبه ذلك الشاعر.

حِرف الدؤلي

لم نشاهد في متون الكتب التاريخية انه اشتهر بحرفة في المدينة المنورة، والمذكور عندما هاجر الىٰ البصرة في عهد الخليفة عمربن الخطاب واستقر بها، ولإزدهار الحياة الاقتصادية هناك، لنزول المهاجرين الىٰ البصرة، ومن جهة اخرىٰ اتصالها مع البلاد المفتوحة.

ومن خلال بحثنا في شعر الدؤلي، ظهر انَّهُ عمل في التجارة، ومن اصنافها بيع وشراء وتربية النياق والعيس، وعرج المؤرخون الىٰ هذا العمل لاستفادة الدؤلي ماديا،

---

١. الأغاني، ج١١، ص١٠٣.

فاصبح موسراً[١] ذا عبيد واماء، ونشاهد صاحب الاعيان ينقل لنا قصة ـ نستفيد منها هذا المطلب ـ: «كان لأبي الأسود مولىً[٢] يختلف الى الاهواز بضاعة له وكان الغلام يصيب من الشراب فوجد عليه ابوالاسود في بضاعة كان استبضعه إياها، وقد غضب ابوالاسود من هذا الرجل وقال فيه:

وإنّي امرؤ قَدْ قالَ في الحقِ خطه ... لملتمسٍ تصديقها ببيانها
دعِ الخمرَ تشربُها الغواةُ فأنّني ... وجدتُ أخاها مُجزياً لمكانها
فإن لايكُنْها او تكنهُ فانّه ... أخٌ ارضعته امُّه بلبانها[٣]

ومما ملك الدؤلي[٤] لَغَماً يقال لها «الطيفاء» ـ يظهر اعزّ ماملك ـ فأتاه فيها رجل من سدوس يقال له أوس بن عامر السدوس، فجعل يماكر اباالاسود عنها ويعيبها، فوافق اباالاسود بصيراً بها، منافساً عليها، فنزل له بها ثمناً ما، فأبىٰ ابوالاسود فقال ابوالأسود في ذلك:

أتاني في الطيفاء اوسُ بن عامرٍ ... ليخدعَني عنها بحُسْنِ ضِراسها
فنامَ قليلاً يائساً غيرَ ناجزٍ ... واحضرَ نَفساً واثقاً بمكاسها
فأقسمتَ لواعطيتَ ماسمعت مثله ... وأنت حريصٌ ماغدوتَ براسها

وإذا تفحّصت اشعار الدؤلي تجد في كثير من مواضعها اشارات ومصطلحات تجاريه، وهناك دليل آخر، يظهر ذلك حدث مع رجل من رجال[٥] خزاعة يقال له: «وثاق بن جابر» وكان رجلاً يحب البداوة ويتخذ اللقاح ويضعها، فأتىٰ اباالاسود، وعنده لقحة مريء ـ أي ولاولد لها ـ يقال لها: الصفوق؛ فقال وثاق: مابلقحتك بأس لولا عيب كذا وكذا ولكن هل لكِ أنْ تبيعينها؟ فقال ابوالأسود: علىٰ مايذكر فيها من

---

١. روضات الجنات، ص٣٤٣.
٢. الاغاني، ج١٢، ص٣١٤؛ لاحظ: ديوان الدؤلي، ص١٨٢.
٣. استشهد بهذا البيت سيبويه في كتابه، ج١، ص٣٠٧.
٤. الاغاني، ج١٢، ص٣١٦؛ ديوان الدؤلي، ص٢٨.
٥. الاغاني، ج١٢، ص٣١٥.

العيب؟ قال وثاق: اني اغتفر ذلك لحاجتي الىٰ البداوة، فقال ابوالأسود: بئست الخصلتان الحرص والخداع؛ أنا بعيب مالي اشد اغتفاراً؛ فقال أبوالأسود في ذلك:

يُرِيدُ وَثاق ناقتي ويُعِيبهَا   يُخادعُني عَنها وَثاقُ بن جابر

فَقلتُ: تَعلمْ ياوثاقِ بأنَّها   عليك حُمر أخرىٰ الليالي الغَوابر

ومن الادوار التي مرَّ بها الدؤلي، هو دور قاضي البصره، ولو درسنا هذا المنصب، لوَجدناه من المناصب الجديدة في عصر صدر الاسلام، ففي فترة الخليفة الأوّل اسند القضاء علىٰ عمر، فظلَّ سنتين[١] لاياتيه متخاصمان، ويبدو ان عمر هو الذي انشأ القضاء، هو اوّل من عيَّنَ القُضاة في الولايات الاسلامية، ويعود تعيينهم الىٰ الخليفة، ومن المواصفات المطلوبة في القاضي، تقواه وزهده وغزارة علمه وعدله وذكائه وورعه، فكان له مكانته في المجتمع الاسلامي الجديد ومحترم الجانب ويعتمد في حكمه علىٰ الكتاب المجيد والسنَّةِ النبوية الشريفة، ومن هنا اصبح الاجتهاد طريقاً يعتمد عليه في الاحكام القضائية.

ففي بداية الطريق، كان القاضي يحكم في بيته ولم يحتج الىٰ كاتب له، من ثم توسَّعَ فخرج الىٰ المسجد وجعل له كاتب في العصر الاموي، وكذلك كان راتبه قليلاً، ونقل انّ شريحاً قاضي البصرة كان راتبه مائة درهم، واعمال القاضي في الفترة الاولىٰ هي عقود الزواج والطلاق والميراث ومتعلقاته وامور اليتامىٰ والارامل[٢]، وبعد عبور فترة الخلافة الثالثة وجدنا كثيراً من الروايات تدل علىٰ تعيّن الدؤلي قاضياً علىٰ البصرة، وهناك خلاف بين الروايات ولكن في عصر امير المؤمنين عليه السلام عيّن الدؤلي قاضياً علىٰ البصرة حينما كان عاملها عبدالله بن عباس.

ونلاحظ بعض المحاكمات التي جرت في عصر علي بن ابي طالب عليه السلام في البصرة عندما كان الدؤلي قاضياً عليها، اختصم لأبي الاسود رجلان، فكان احدهما

---

١. د. ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ص٥٢٣؛ عبدالصاحب العاملي، الاخلاق عند الرسول واصحابه، ص٢٠٣.

٢. د. صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص٩٢.

نحيف الجسم وكان رجلاً فَهِماً والآخر جهيراً قدماً فاستعلاه النحيف ولكن اباالأسود له موقف خاص في الناس واحوالهم؛ إنّه لايهتمّ بالمناظر لأنّ مكانة الانسان وقدره ترتفع بخُلقه وعمله، لابشكله ويصوّر ابوالاسود الدؤلي رايه ويقول بعد انْ قضىٰ بينهما بالعدل:

تریٰ الرجلَ النحيفَ فتزدريهِ — وفي أثوابهِ رجلٌ مسرير

وماعِظم الرجال لهم بزين — ولكن مجدها زين وخير

ومّما نظمه شعراً في القضاء بعد حكم له:

إذا كنتَ مظلوماً فلاتلف راضياً — عن القوم حتىٰ تاخذالنصف واغضبِ

وإن كُنتَ انت الغالبَ القوم فاطرحِ — مقاتلهُم واشغِب بِهم كُل مَشغبِ

والظاهر من كتب التاريخ أنّه بقيَ الدؤلي في القضاء حتىٰ العام الثامن والثلاثين للهجرة، حيث أضيف له منصب الوالي[١] وشغل هذين المنصبين حتىٰ استشهاد اميرالمؤمنين علي عليه السلام في سنة ٤٠هـ.

ونلاحظ الدؤلي في هذه الفترة جمع بين منصب الوالي والقاضي، وذلك في السنتين الاخيرتين لحكم اميرالمؤمنين والظاهر من سنة ٣٨ ـ ٤٠هـ ويبدو من النصوص أنّ الدؤلي مرّ في مرحلتين، في منصب الوالي المؤقّت وذلك في زمن ابن عباس، عندما كان يذهب الىٰ سفر او اجازة عند غيابه عن البصرة[٢] والمرحلة الثانية هي الوالي الثابت، وتمّ ذلك بعد حادثة بيت المال التي حدثَتْ من ابن عباس، في فترة ولايته على البصرة من قِبَل علي بن ابي طالب عليه السلام.

واختلف المؤرخون في المبلغ المسروق من بيت المال بين ستة آلاف درهم[٣]، وقول ضعيف بستة آلاف[٤] الف درهم.

---

١. وجدي، دائرة المعارف، ص٣٠٧.

٢. الدجيلي ديوان الدؤلي، ص٣٠.

٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص١٨٠.

٤. العقد الفريد، ج ٤، ص٣٥٦.

فلمّا علم ابوالأسود بهذه الحادثة حاول في الواقع أنْ يمنعه ويعيده الىٰ صوابه، إلاّ أنّ ابن عباس ابىٰ ذلك وامتنع وقال لابي الأسود غاضباً[١]: «لوكنت من البهائم لكنت جملاً ولو كنت راعياً مابلغت المرعىٰ».

وعن صاحب الاغاني في رواية معنعنة يقول[٢] فيها: «لما خرج ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ الى المدينة من البصرة، تبعه ابوالاسود في قوله ليردّه، فاعتصم عبدالله بأخواله من بني هلال، فمنعوه، وكادت تكون بينهم ملحمة، فقال لهم بنوهلال: ننشدكم الله، ألاتسفكوا بيننا دماء تبقىٰ معها العداوة الىٰ الابد. وأمير المؤمنين اولىٰ بابن عمّه، فلاتجعلوا انفسكم بينهما ورجعت كنانة عنه، وكتب ابوالأسود الىٰ علي عليه السلام فاخبره بما جرىٰ فولاه البصرة.

يبدو من هذه الرواية أنّ الدؤلي سعىٰ جاهداً في أنْ يعيد ابن عباس الىٰ رشده ويرجع الأموال الىٰ بيت المال ويغلق المسألة، ولكنه لم ينجح بذلك، وحفظاً لدماء المسلمين فقد اضطرّ الدؤلي الىٰ انْ يخبر الامام ويبعث له هذه الرسالة: «اما بعد[٣] فان الله جلّ وعلا جعلك والياً مؤمناً، وراعياً مستولياً، وقد بلوناك ووجدناك عظيم الأمانة ناصح للرعية، توفّر لهم فيئهم، وتظلف نفسك عن دنياهم، ولاتاكل اموالهم، ولاترتشي في احكامهم، وإنّ ابن عمّك قد اكل ماتحت يده بغير علمك، فلم يسعني كتمان ذلك فانظر ـ رحمك الله ـ فيما هناك واكتب اليّ برأيك فيما احببت إن شاء الله والسلام»[٤].

وقد اهتم الإمام عليه السلام بهذه الرسالة واجاب عليها، هذا الجواب ونصّه: «امّا بعد، فمثلك نصح الإمام والأمّة وادّىٰ الأمانة ودلّ علىٰ الحقّ وقد كتب اليّ صاحبك، فيما

---

١. العقدالفريد، ج٤، ص٣٥٤.

٢. الاغاني، ج١٢، ص٣٠١.

٣. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص٧، وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، ج٧، ص٣٠٧ ابن عبدربّه الاندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص١٥٤.

٤. العقد الفريد، ج٤، ص٣٥٥، طه حسين، عليّ وبنوه، ص١٣٤.

كتبت اليّ فيه من أمره ولم اعلمه بكتابك اليّ فيه، فلاتدع اعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح، فإنك بذلك محقوق، وهو عليك واجب والسلام».

ولم يترك الإمام امير المؤمنين عليه السلام هذا الأمر، بل بعث الىٰ ابن عباس هذه الرسالة ونصها[١]: «امّا بعدُ، فقدْ بلغني عنكَ امرٌ إنْ كنتَ فعلتَهُ فقدْ اسْخطْتَ ربَّكَ، وأخْربْتَ امانتَكَ، وعَصيْتَ إمامَكَ وَخنْتَ الْمُسْلمينَ، وبَلغني انَّكَ جرَّدْتَ الارْضَ وأكلْتَ ماتحْتَ يَدَيْكَ، فارْفَعْ إلي حِسابكَ واعْلَمْ إنَّ حسابَ اللهِ اشَدٌّ مِنْ حِسابِ النّاسِ».

ويبدو أنَّ ابن عباس لم يستمع الىٰ رسالة الإمام عليه السلام ثم بعث الإمام له رسالة ثانية، ذكره فيها: إنَّ الدّنيا فانية واشار بها الىٰ عذاب الآخرة، ومن هنا اتّسع الخلاف بين الإمام وابن عباس ممّا ادّىٰ الى عزله وتعيين ابي الاسود خلفاً له، ومن هذه اللحظة حمل الدؤلي مسؤولية القضاء ومسؤولية الولاية بكل حزم ونشاط حتىٰ سنة اربعين، وذلك عام استشهاد الإمام علي عليه السلام في محراب مسجد الكوفة.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

آثار الدؤلي العلمية

يعتبر المؤرخون انَّ الدّؤلي من اسياد التابعين[٢] وابرز المتقدمين في العلم والمعرفة، وأكمل الرجال رأياً[٣]. كان الدؤلي عالماً يحب العلم والمعرفة ويعتقد أنّ العالم مشعل المجتمع، ونوره البازغ. واشار المتنبي في اهمية العلم فقال: «وخير جليس في الزمان كتاب» ومن حكم العلماء في سموّ منزلتهم قال: «الملوك حكام الناس والعلماء حكام الملوك»[٤].

ابو الأسود الدؤلي مفخرة من مفاخر الفصاحة العربية وبلاغتها، فهو اول من

---

١. طه حسين، علي وبنوه، ص١٣٥.

٢. القمي، سفينة البحار، ج١، ص٦٦٩؛ الفرق الاسلامية، ص٥٥٧؛ ابن معصومة، انوار الربيع، ج٢، هامش ص٨٥؛ الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٢٨٥.

٣. وفيات الاعيان، ج٢، ص٢١٦.

٤. العقد الفريد، ج٢، ص٢١٤.

وضع النحو العربي وهنالك من وقف امام هذا الرأي[١] والحقيقة كالشمس في رابعة النهار لايحجبها الغبار، ونلاحظ القدماء منهم ابن سلام الجمحي المتوفى ٢٣٢هـ: وكان لأهل البصرة في العربية قدمٌ وبالنحو ولغات العرب والغريب عنايةٌ، وكان اوّلَ من اسَّس العربية وفتح بابها وانهج سبيلها ووضع قياسها ابوالأسود الدؤلي، حين اضطرب كلام العرب». [٢]

وجاء ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ. بهذا الخبر: «اول من وضع علم النحو ابوالأسود الدؤلي». [٣]

وهذا ابوالطيب اللغوي المتوفى سنة ٣٥١هـ يقول: «وضع ابوالأسود الدؤلي النحو بنفسه عندما سمع اللحن في قراءة القرآن». [٤]

ويروي الجزري عند ذكر ابي الأسود (اول من وضع مسائل النحو باشارة الإمام عليّ عليه السلام فلما عرضها علىٰ عليّ عليه السلام قال: فاحسن هذا النحو الذي نحوت! فمن ثم سُمّيَ النحو نحواً). ونلاحظ قول التبريزي[٥] عند ذكر الدؤلي: «وهو الأصل في بناء النحو وعقد اصوله براي من علي بن ابي طالب عليه السلام، والعمل الجبار الثاني الذي قام به الدؤلي، هو: تنقيط وتشكيل القرآن الكريم» فيقول المبرّد في هذا الصدد: (اول من وضع القربية ونقّط المصاحف ابوالأسود الدؤلي[٦]، انه اعرب مصحفاً واحداً

---

١. الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص٢٩١؛ راجع: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص٢٧؛ وجلدي دائرة المعارف الاسلامية، ج١، ص٣٠٨.

٢. ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ١٢، ص٣٤؛ ابن سلام، طبقات الشعراء، ص٥؛ الاصفهاني، الاغاني، ج١٢، ص٢٩٩؛ انباه الرواة، ج١، ص١٦.

٣. ابن نباته، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص٢٧٩٦، ابو عبيد البكري الادبني، سمط اللآلي، ج١، ص٦٦، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٢٩، السيوطي، المزهر، ج٢، ص٣٤٥؛ مراتب النحويين، ص٨.

٤. مراتب النحويين واللغويين، ص٨ ومابعدها.

٥. الدينوري، الشعر والشعراء، ص٢٨٠؛ ابن الجزري، طبقات القراء، ص٣٤٥؛ انظر: ابن فلاح الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج ١، ص٧٦.

٦. ابن حجر، الاصابة، ج٢، ص٢٤١؛ الزبيدي، طبقات الزبيدي، ص١٤.

في خلافة معاوية»[1].

وهنالك مصحف شكّله الدؤلي، فقد ذكر الأميني: إنّي شاهدتُ بعيني هذا العمل وهو تشكيل المصحف بلونين من الحبر الأخضر والأحمر: «رأينا في خزانة الكتب الشريفة الرضوية في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ هجرية، عند تشرّفنا بزيارة مشهد الرضا عليه السلام، مكتوب على جلد رقيق ـ الذي لايختلف عن الكاغذ ـ بخط كوفي غير منقّط وعليه دوائر باللون الأحمر هي علامات الشكل، وجلده مذهب، موضوع في صندوق مذهّب، كلاهما في غاية الاتقان، مكتوب على جلده وقف الشاه عباس سنة ١٠٠٨هـ. وعدد أوراقه ٦٨ وسطور كل صفحة ١٥ سطراً وطوله ٢٤سم وعرضه ٢٣سم، قطره ٣سم.

وبعد بحث وعناء في الكشف عن هذه المخطوطة، فتشرّفت بزيارة الإمام الرضا عليه السلام ثم انصرفت الى زيارة المتحف المركزي للقرآن الكريم وذلك في ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٤٠٦هـ. ففيه عدد كبير من المخطوطات القرآنية وعند دخولك المتحف على يمينك في الخزانة الاولى وفيها ثلاثة مصاحف مشرفة، احدها كان بخط الإمام علي عليه السلام وبتشكيل أبي الأسود الدّؤلي، والمصحف المخطوط بلون اسود ومشكّل بلون احمر على هيئة دوائر.

عدد صفحات المصحف ٦٨ ورقة، ١٥ سطراً في كل صفحة، وخطه قريب من الكوفي وبخط واضح، وفتحت الصفحة على سورة الكهف، ويوجد على جانب الصفحة من الجهة اليسرى ختم للعلامة البهائي مصدّق على النسخة، وقد وقف الشاه عباس الصفوي هذا المصحف وغيره من المصاحف، وبجانب هذا المصحف، مصحف بخط الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وبخط علي بن الحسين عليه السلام.

والعمل الثالث الذي خدم به المجتمع: فقد وجدنا في بطون الكتب والمصادر، مجموعة من القصائد والمقطوعات الشعرية العالية، وقام الاستاذان الشيخ محمدحسن آل ياسين وعبدالكريم الدجيلي بجمعه وتنسيقه، وطبع وبيع في الاسواق، بعنوان ديوان

---

١. الصدر، تأسيس الشيعة، ص٣١٨.

ابي الاسود الدؤلي، وقد ضاع من الشعر الكثير، فلم نعثر الآ علىٰ اليسير من تراثنا الادبي والذي دوّن وسمّي باسم«ديوان الدؤلي» وهنالك بعض المقاطع المشتبهة في النسبة اليه، منها تشبه انفاسه الشعرية والاخرىٰ لاتشبهها.

وله في النثر الفنّي باع وذراع، فهو صاحب النكتة والظريفة، وقد كتب من النصح والارشاد وكذلك المراسلات مع الامام علي عليه السلام ولاننسىٰ انه عُيّنَ لفترة زمنيّة قصيرة علىٰ قضاء البصرة، فرسم من الحلول لقضاء حوائج المؤمنين.

والجهد الرابع الذي قام به الدؤلي، هو: مشاركة علماءعصره في الرواية، فروي عن جمع غفير من الصحابة ومنهم الإمام علي عليه السلام وعمربن الخطاب، وحذيفة بن اسعد الغفاري. وابن مسعود والزبير بن العوام وابوموسىٰ الاشعري، وعبدالله بن عباس، وانس بن مالك وغيرهم من الاصحاب، وروىٰ له ابن حنبل والبخاري ومسلم، والذي نشاهده من الدؤلي في هذا الجانب إنّه قليل الرواية ومن الروايات التي رويت عنه، قال: اخبرنا هشيم عن داودبن ابي هند عن ابي حرب بن ابي الاسود بن فضالة الليثي قال: اتيت النبي صلى الله عليه وآله فاسلمت وعلّمني، حتىٰ علّمني الصلوات الخمس في مواقيتهن، فقلت: هذه ساعات أشغل فيها، فمرّ بي وقال: فلاتُشغِلَنَّ عن العصرين، قال: قلت: وما العصران؟ قال: صلاة الغداة وصلاة العصر.

وروىٰ ابو الاسود الدؤلي، قال: خطب عمربن الخطاب يوم الجمعة، فقال: إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لاتزال طائفة من أُمتي علىٰ الحق منصورة حتىٰ ياتيَ امر الله عزّ وجل[1].

وتتمة جهود الدؤلي الجبارة هو: اهتمامه بتلاوة القرآن الكريم وشارك علماء عصره في القراءة والرواية والمشهور أنَّ اباالاسود أخذ القراءة من الإمام علي عليه السلام ويروي الانباري في نزهة الالباب[2]: «اخذ ابوالاسود الدؤلي القراءة عن الإمام علي عليه السلام

١ـ الاصفهاني، الاغاني، ج١١، ص٢٠١.

٢ـ الانباري، نزهة الالباب، ص٢٨.

والاشتباه في الرواية الأخرىٰ لابن الجزري الذي قال: [١] «اخذ القراءة عرضاً عن عثمان بن عفّان وعلي عليه السلام».

وهذه الرواية خلاف السيرة التي رسمناها لأبي الأسود وحياته المنطمسة في زمن عثمان، ولتوتّر العلاقات بين الدؤلي وعثمان مما ادّىٰ الىٰ ضعف هذه الرواية وأمثالها.

والذي يجول في ذهني انّ الدؤلي كان من حفّاظ القرآن البارزين وقدم علىٰ تنقيطه وتشكيله وكذلك من اسياد القرّاء، فليس من السهل انْ ياتيَ تابعي بسيط ويتقدم بانجاز اعظم عاصم للّسان من الزلل والخطأ والانحراف اللغوي، فهو تابعي متقدم ولغوي نحرير، ومن فرسان البلاغة فهو بهذه الملكة العالية وارشاده من قبل استاذه الإمام عليٍّ عليه السلام ومرشده الاول، فإليه يعود الفضل في تهيئة الجو الملائم للدؤلي في العمل، ولو كان العمل في زمن آخر لمّا استطاع ايّ انسان أن يحرّك ساكناً في كتاب اللّه سبحانه وتعالىٰ، ولكن بوجود وصيّ رسول اللّه عليّ بن ابي طالب عليه السلام استطاع الدؤلي انْ ينجز هذا العمل.

---

١ . السيد الامين، اعيان الشيعة، ج١، ص٢٧٤؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ص١٧٣.

الفصل الثالث

المدرسة النحوية لأبي الأسود الدؤلي

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الاول

المدرسة النحوية لأبي الاسود الدؤلي

عند دراستنا للنحو العربي وقواعده، من الواجب علينا ان نتوقف عن مجموعة من النقاط المهمة، التي يجب ان نحيط بها ونشبعها بحثاً ومناقشةً للوصول الىٰ مانصبوا اليه، من خلال الحقائق التاريخية وماكتبه النحاة وارباب الادب حول هذا الموضوع، لأهمّيته ومايدور حوله من شُبهات واعتراضات وأقاويل متشعّبة متضاربة في كثير من الاحيان بين الاقدمين والمحدّثين.

فقد ذهب أغلب الأقدمين الىٰ انّ النحو العربي بجميع قواعده واصوله عربيُّ الاصل والفرع، ولم يتاثر بالقواعد السريانية او اليونانية من قريب اوبعيد، وذهب المحدّثون وخصوصاً منهم المتاثّرون بمدرسة الإشراق (المستشرقين)، المبنيّة علىٰ ان العقل الشرقيّ ليس له القابلية الإبداعية علىٰ تكوين قواعد او اصول مرتبطة بالمنطق العقلي، وإنْ وجدتْ مثل هذه القواعد والأصول، فسرعان مايعلقونها بخيوط يونانية او سريانية، امتدّتْ الىٰ البلاد الاسلامية عن طريق التراجم او التأثّر الحاصل من خلال الاتصال المباشر اوغير المباشر، الذي حدث إبّان الفتح الاسلامي وتوسّعَتْ رُقعة الدول الاسلامية لتشمل فارس الىٰ الشرق وبعض المستعمرات البيزنطينية الىٰ الغرب والشمال.

وهذا الخط الذي تمثّله هذه المجموع - إذا استثنينا بعض الاقاويل القديمة - التي نَحَتْ هذا المنحىٰ بدافع طائفي او تعصّبٍ عنصري، هي التي اثارت هذه الشكوك والغيوم السوداء حول كثير من المسلّمات التاريخية التي يكاد يجمع عليها المؤرّخون وارباب الادب، وخير مثال علىٰ ذلك في عصرنا الراهن، ماذهب اليه الدكتور طه حسين من إثارة الشكوك حول اصالة الأدب الجاهلي وبالخصوص الشعر منه، فاثار ضجةً مفتعلة كان الهدف الظاهري من ورائها إثارة الباحثين والأدباء حول دراسة الادب الجاهليّ دراسةً موضوعية واقعية واشباعه بحثاً علمياً دقيقاً، ولكن الهدف الحقيقي الذي يكمن خلفها هو تشكيك المسلم العربي بِتُراثه وعقيدته، بُغية الىٰ جعل الشرق بكل قومياته واصوله العرقية يشعر بالنقص مقابل العقل الغربي، الذي يصورونه علىٰ أنّه النبع الثرّ والمعين الصافي لكل ماهو مبنيٌّ علىٰ أُصول المنطق العقلي.

وبهذا تتحقق التبعيّة بكل ابعادها الاستعمارية الصليبية ولخلق عبودية جديدة يختلف بصورتها عن اشكال العبودية المباشرة واستغلال الانسان وجهده، فهي تستهدف استعباد العقل الشرقي - وخصوصاً المسلم منه - من خلال تفوق العقل الغربي المستند علىٰ منطق ارسطو ومن تبعهم من اساطين الفلسفة الغربية، فقاموا بتصوير العقل الشرقي من خلال ماكتبه الشرقيون من اساطير وخرافات وخيال ممتزج بعاطفة لاترتبط بالعقل الا بمقدار ماتُمليه عليه عقيدته المرتبطة بالسماء، اكثر من ارتباطها بالأرض، فالشرقيُّ دائم النظر والتَّمعُّن الىٰ السماء امّا الغربي فينظر الىٰ الأرض.

وعلىٰ هذا علينا ان نزيح الغبار الذي فرضه الغرب من خلال ماصوّره وكتبه عن الثقافة الشرقية علىٰ العقل المسلم وارجاع المسلمين الىٰ النبع الأول، الذي جادت به السماء علىٰ الأرض من خلال القرآن الكريم بأبعاده الانسانية اللامتناهية والتي يوصلنا بدورها الىٰ سابق مجدنا وعزّنا وكرامتنا.

أصل النحو ومنشاه

هناك سؤال تتردد اصداؤه بين المحققين من علماء اللغات، ويثير جدلاً حاداً بين

المؤرّخين والمهتمين بشؤون النحو هو:

هل اخذ النحو العربي من السريانية ام اليونانية ام هو عربيٌّ الأصل والمنشا؟

اختلف العلماء وارباب النحو حول هذا الموضوع فمنهم الحائر المتردد الشاك الحذِر، ومر آخرون عليه مرّ الكرام وآخرون وقفوا عليه مدافعين عن أصالته رادّين الشبهات والشكوك بادلّة عقلية ونقلية.

ولم تكن هذه الخلافات مقتصرة ومحصورة علىٰ علماء الشرق فحسب، بل تعدّتهم الىٰ علماء الغرب وخاصةً المستشرقين منهم، وهذا مانقله احمد امين عن المستشرق بروكلمان: «إختلف العلماء الاوربيون في اصل هذا العلم [النحو العربي] منهم من قال إنّه نقل من اليونان الىٰ بلاد العرب وقال آخرون: ليس كذلك، وإنّما كما نبتت الشجرة في ارضها نبت علم النحو عند العرب»[1] ونحاول ان نقسّم الآراء في هذا الشان الىٰ ثلاثة آراء متباينة:

الراي الاول: الاثر السرياني؛

الراي الثاني: الاثر اليوناني؛

الراي الثالث: النحو العربي، عربي المنشا والاصل.

---

١. احمد امين، ضحىٰ الاسلام، ج٢، ص٢٩٢؛ كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ج٢، ص١٢٣.

الباب الثاني

الرأي الاول: الاثر السرياني

ويذهب اصحاب هذاالراي الىٰ ان النحو العربي أخذ عن السريانية بحكم الاتصال الجغرافي القريب بين العرب والسريان «والذين كانوا يقطنون في حوض دجلة الاعلىٰ وفي الحيرة وحولها وكانت دياناتهم المسيحية، وقد تأثر عرب الحيرة وعرف كثير منهم اللسان السرياني»[١].

وكانت اللغة السريانية منتشرة في المدن الاسلامية وانها سهلةُ الحفظ والتعلّم وهذا مانجده من حديث الرسول ﷺ علىٰ تعلّم السريانية في حديث عن زيد بن ثابت عن النبي محمّد ﷺ، قال: قال لي النبي ﷺ: «إنّي أكتُبُ الىٰ قَوْمٍ فَأخافُ أنْ يَزيدوا عَليَّ أوْ يَنْقُصُوا فَتَعَلَّمْ السِّريانيّة» فتعلّمها في سبعة عشر يوماً[٢].

وعلىٰ هذا فان السريانية انتشرت في الدولة الاسلامية في حدود ضيّقة وخاصةً في العراق وماجاورها من المدن القريبة منها، اما اللغة السريانية وقواعدها فقد ذكر

١. اسرائيل لفنشون، تاريخ اللغات السامية، ص١٤٥؛ شوقي ضيف، التطور والتجديد ص٤٠.
٢. احمد امين، فجر الاسلام، ص١٤٢.

الباحثون في هذا الصدد: «كان السريان يجيدون هذه اللغة ويحكمونها تكلّماً وكتابةً بحكم الفطرة والعادة»[١].

فلايحتاجون الىٰ ضوابط تهديهم الىٰ الفصيح وقواعد تعصمهم من الخطأ، وبقوا علىٰ هذه الحالة فترةً من الزمن حتىٰ تمّ الاتصال الوثيق باليونان، وبعد هذا الاتصال اقتبسوا من هذه اللغة اصول النحو. يقال: «إنّهم اسّسوا علم النحو في لغتهم علىٰ غرار النحو اليوناني»[٢].

ويمكن أن نجد ثلاث اتجاهات مختلفة بخصوص الاقتباس عن السريانية:

الاتّجاه الاول: وذهب اصحابه الىٰ أن العربية قامت علىٰ النمط السرياني ولم يقف اصحابه وقفة الدارس المحقق المنصف ويمثله جرجي زيدان واحمد امين.

الاتّجاه الثاني: ويذهب اصحابه الىٰ اقتباس النحو العربي من السريانية، وحصروا الاقتباس في ناحيتين: الأولىٰ، تقسيم الكلام في النحو، والثانية، تنقيط الحروف العربية، وكانت وقفته لاباس بها في هذا الجانب، ويُمَثّل هذا الاتجاه، الأب اسحاق ساكا وماوراه عن مخطوطات.

الاتّجاه الثالث: ويرىٰ اصحابه انّ العرب اقتبسوا عن النحو السرياني نقاطه فقط، ويُمَثّل هذا الاتجاه الاستاذان: احمدحسن الزيات وحسن عون[٣].

وعند مناقشتنا للآراء الثلاثة المتقدّمة نجد في الاتجاه الاول: انّ الاستاذ جُرجي زيدان لم يتعرّضْ لهذا الموضوع تعرض الباحث المحقق وانّما مرَّ علىٰ ذكرِه مرآ سريعاً، لايتناسب واهميتهُ، فلم يذكره إلاّ بصورة مقتضبة؛ أمّا احمد أمين المصري فتتسم بحوثه وآراؤه وخصوصاً حول الشخصيات الشيعية بالتعصب الاعمىٰ البعيد عن الواقعية وماتتطلبهُ الامانة العلمية، بالاضافة الىٰ اتّسامها بالاضطراب والتناقض والسطحية في كثير من الأحيان، فقد ذهب في كتابه فجر الاسلام الىٰ: «انَّ الأدب السرياني كان في

---

١. اغنيا طيوس فرايم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية؛ ص٣١.

٢. مراد كامل، تاريخ الادب السرياني؛ ص٥١.

٣. عبد الجهني، ابو الاسود الدؤلي؛ ص٦٤.

العراق قبل الإسلام وكان لهُ قواعدهُ النحوية، فكان من السهل ان توضع قواعد عربية علىٰ نمط القواعد السريانية، خصوصاً واللغتان من اصلٍ ساميٍ واحد ...»[١].

وفي الجزء الثاني من ضحىٰ الاسلام غيّر رأيهُ وقال: «وتاريخ النحو منشأهُ غامض كل الغموض»[٢] ثم تراهُ اعتمد علىٰ راي المستشرق ليتمان ويقول: «ونحنُ نذهب في هذه المسالة وسطاً، ونقول كما انتبه في هذهِ السنة عالماً اسمه ليتمان، وهو انه أبدع العرب علمَ النحو في الابتداء، وانّهُ لا يوجد في كتاب سيبويه الاّ ماالخترعهُ هو والذين تقدّموه»[٣].

واخيراً نجد احمد أمين يعترف بأصالة النحو العربي.

تفصيل الاتّجاه الثاني: وذهب اليه الأب اسحاق ساكا وقد بنىٰ نظريته علىٰ أمرين:

الأول: يرىٰ انّ النحو العربي سرياني الاصل بدليل التقسيم المنطقي الموجود في النحو العربي، حيث ينقسم الكلام الىٰ اسم وفعل وحرف، وهو نفس التقسيم الموجود في السريانيّة كما يزعم.

والردُّ عليه، هو: انّ معظم اللغات العالمية لها نفس التقسيم الكلامي الموجود في اللغة العربية فالإمام علي عليه السلام القىٰ لابي الاسود الدؤلي صحيفةً فيها «بسم الله الرحمن الرحيم والكلام اسمٌ وفعل وحرفٌ ...» الىٰ آخر الرواية[٤].

ولكن الرواة لم يذكروا ان هذا التقسيم اخذه الامام علي عليه السلام عن السريانية أو اليونانية، بل هو عربي من اختراع الإمام نفسه، وعند ملاحظة آراء الأب اسحاق ودراستها، دراسة دقيقة، نجدها لاتقوم علىٰ اساسٍ قويم، وسِمتها الأساسية الاضطراب والاعتماد علىٰ روايات تاريخية كاذبة، فلهذا نلقي بها جانباً.

تفصيل الاتّجاه الثالث: وهو الذي يذهب الىٰ انّ النحو العربي اخذ نقاطه عن

---

١. احمد امين، فجر الاسلام، ج١، ص١٨٣.

٢. أحمد امين، فجر الاسلام، ج٢، ص٢٨٥.

٣. احمد امين، ضحىٰ الاسلام، ج٢، ص٢٩٣.

٤. الاغاني، ج١٢، ص٢٦٦؛ الانباري نزهة الالباب، ص١٣؛ إنباه الرواة، ج١، ص٤.

السريانية، وهذا ماذهب اليه الاستاذ حسن عون واحمد حسن الزيات، فنجد آراء الاستاذ حسن عون التي تستند على الظنّ والتخمين وينقصها السند التاريخي، فلم تحدثنا كتب التاريخ ان اباالاسود الدؤلي كان يعرف السريانية، كما لم يذكر الرواة الذين تحدّثوا عن حياته وسيرته وذكروا كل جوانب حياته وثقافته وعلمهِ ومعرفتهِ، اذ لم يتركوا صفة من صفاته إلاّ وذكروها. انه تعلم السريانية!

كما نجد الدؤلي الكثير الفخر بكل شيء يخصّه، لم يذكر انه تعلم السريانية.

الرأي الثاني : الأثر اليوناني

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

يرىٰ اصحاب هذا الرأي انّ النحو العربي اقتبس اصوله عن النحو اليوناني ثم توسّعوا في فروعه .

وعند ملاحظتنا لما كتبه المحدثون من الكتّاب عن اللغة اليونانية ونحوها وحركاتها، فترىٰ هل هناك تشابه بين اللغتين العربية واليونانية وخاصة في النحو؟ وهل اتّصل العرب باليونان أم لا؟

يقول احد المحدثين واصفاً اللغة اليونانية : «تمتاز اللغة اليونانية بموسيقاها العذبة ونغمها الجميل وسهولة نطقها وتعدد حركاتها وهي غنية بمفرداتها ، مَرِنةٌ في قواعدها تتميز كثرة النهايات في اعراب الأسماء وتصريف الأفعال وتعدد صيغها وازمنتها ومصادرها»[1] .

وقال آخر : «وكان لها نحوٌ ، وصل الىٰ غاية الكمال»[2] وقال آخر «وكانوا يسمّون

---

١ . محمد صقر خفاجة ، تاريخ الادب اليوناني ، ص١٣ .

٢ . حسن عون ، اللغة والنحو ، ص٢٤ .

علم الالفاظ والعناية بالبحث نحواً»[1] «كما انّ نظام تقسيم الكلام إلىٰ اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ في العربية، هو نفس تقسيم الكلام في اللغة اليونانية»[2].

ولكن كيف اقتبس العرب نحو اليونان ومانوع الاقتباس؟

فهم ينقسمون في آرائهم الىٰ قسمين متباينين:

الاول: وذهب هؤلاء إلىٰ أن الاقتباس تمَّ مباشرةً من اليونان إلىٰ العرب، يقول الاستاذ ابراهيم مصطفىٰ: «قالوا وقد اتخذ ذلك [قواعد النحو] ابوالاسود الدؤلي عن اليونانية وكان قد قرأها»[3]، ويقول الاستاذ محمد السعران: «إنّ النحو العربي ـ في مرحلته ـ تأثّر شيئاً من التأثر بمنطق ارسطو»[4].

القسم الثاني: ويذهب الذي يقولون بهذا الراي الىٰ انَّ الاقتباس تَمَّ بواسطة السريانية ومن ثَمَّ الىٰ العربية، فقد ذهبت دائرة المعارف الاسلامية «لقد أخذت المفاهيم النحوية الاصلية للنحويين العرب من المنطق الارسطي الذي جاء عن طريق العلماء والسريان الىٰ العرب»[5].

وقال الأب اسحاق ساكا: «إنَّ تقسيم الكلمة إلىٰ اسم وفعل وحرف، يونانيُّ الوضع والمنشأ، غير انَّ العرب اخذوا ذلك عن السريان الذين اخذوه عن اليونان»!

ويذهب بعض الباحثين الىٰ انَّ الاتصال الثقافي بين العرب واليونان تمَّ عن طريق السريان بحكم انتشارهم في العراق والشام والاسكندرية وانتشار مدارسهم في هذه المناطق، وبعد سيطرة المسلمين عليها، اطّلعوا وتأثّروا بهذه الثقافة.

وبعد هذا العرض المبسّط نجد انفسنا امام اتّجاهين مختلفي المورد:

الاول: يذهب إلىٰ ان الاقتباس والتأثر تمَّ مباشرة عن طريق اليونان.

---

١. ابن منظور لسان العرب (مادة نحا) ج١٥، ص٣٠٩؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٣٦٠.

٢. ساكا، مجلة العربي، عدد١٠٦، ١٩٦٧.

٣. ابراهيم مصطفىٰ، مجلّة كلية الاداب، جامعة القاهرة، المجلد العاشر، الجزء الثاني ـ ص٤ـ ٥.

٤. محمد السعران، علم اللغة، ص٣٦.

٥. دائرة المعارف الاسلامية، ج٣، ص٣٨٦.

الثاني: يذهب الىٰ انَّ الاقتباس تمَّ عن طريق السريان.

وعند مناقشة هذا الراي القائل بيونانية النحو، وتأثّره به، فلايقوم علىٰ ساق وغير ثابت إطلاقاً، وذلك لأسباب:

أولاً: وذلك ان العرب لم يتّصلوا باليونان من قريب أو بعيد، بل كان اتّصالهم عن طريق السريان، وعندما نظرنا إلىٰ تعريف ابن منظور في لسان العرب، من أنّهم كانوا يطلقون علىٰ علم الالفاظ والمعاني نحواً، والعرب يطلقون على الحركات وموقع الكلمة من حيث الحركات نحواً، نجد انَّ هناك فرقاً بين المفهومين، فعِلْمُ الالفاظ والمعاني في العربية لايرتبط بعلم النحو الذي يميّز الكلمات ومعانيها بواسطة حركاتها.

ثانياً: أغلب لغات العالم يوجد فيها تقسيماً للكلام إلىٰ اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ، وهذا ماهو موجود بالفعل في اللغة العربية، كما هو موجود في اللغة اليونانية وغيرها وقد ثبت ذلك من خلال مارواه المؤرخون، من: إن علياً عليه السلام اعطىٰ اباالاسود الدؤلي اصول النحو العربي وقال لهُ: الكلام لايخرج عن اسم وفعل وحرف وهذا لايعني بالضرورة انَّ العرب أخذت هذا التقسيم عن اليونانية، فالإمام عليّ لم ينقل هذا التقسيم عن اليونانية ولم يتصل العرب باليونان، إلاّ عن طريق السريان، والذي لايوجد في نحوهم مثل هذا التقسيم. وإذا نظرنا إلىٰ الكتب اليونانية المترجمة الىٰ العربيّة لانجد منها مايُمتُّ إلىٰ النحو بصلةٍ، فاهمّ الكتب التي ترجمت إلىٰ العربية من اليونانية فجمعها في كتب تراجم وتفاسير لكتب التوراة والانجيل وكتب ومؤلفات في تاريخ الكنيسة السريانية بالاضافة الىٰ كتب الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والفلك.

الرأي الثالث: عربي المنشأ والأصل

وهذا ماذهب اليه المؤرخون القدماء واتفقوا عليه، وإنَّ الدافع وراء ظهوره عربي اصيل لايَمتُّ بايٍّ صلة إلىٰ غيره ولم يتأثر باليونانية ولاالسريانية ولاغيرها من اللغات المجاورة، ويجب ان نشير إلىٰ بعض النصوص بايجاز، مع ذكر الاصول، لتكون واضحة ومستندة يعتمد عليها.

١ـ محمدبن سلاّم المتوفّى في السنة الثانية والثلاثين بعد المائة الثانية للهجرة (٢٣٢هـ.) يقول في عروبة النحو: «أول من أسّس العربية وفتح بابها وانهج سبيلها ووضع قياسها ابوالاسود الدؤلي»[١].

٢ـ ابوالطيب اللغوي المتوفّى في السنة الحادية والخمسين بعد المئة الثالثة للهجرة (٣٥١هـ.) يقول:

«أول في رسم النحو، ابوالاسود الدؤلي الذي اخذهُ عن أمير المؤمنين

---

١. ابن سلام، طبقات الشعراء، ص١٥ وكذلك: لابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٧.

علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

٣ـ والزبيدي المتوفّىٰ السنة التاسعة والسبعين بعد المائة الثالثة للهجرة (٣٧٩هـ.) يقول: «إنّ اباالاسود الدؤلي هو اول مَنْ اسّس العربية»[2].

٤ـ وأشار السيرافي المتوفّى في السنة السادسة والثمانين بعد المائة الثالثة للهجرة (٣٨٦هـ.) عن تاريخ النحو: «جاء ابوالاسود الدؤلي الىٰ زيادبن ابيه يستاذنه لانْ يصنع العربية»[3].

٥ـ وتحدث ابن النديم المتوفى في المائة الرابعة بعد الهجرة (٤٠٠هـ.) عن منشا النحو: زعمَ أكثر العلماء انّ النحو أخِذَ عن ابي الاسود الدؤلي وانّ اباالاسود اخذه من اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[4].

٦ـ ويذهبُ بن الانباري: إلىٰ «انّ اول من وضع علم العربية وأسّس قواعدهُ وحدّ حدوده اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واخذ عنه اباالاسود الدؤلي»[5].

٧ـ وتحدث جلال الدين القفطي المتوفّى في السنة التاسعة والاربعين بعد المائة السادسة للهجرة (٦٤٩ـهـ.) عن نشاة النحو فقال: «وفي الرواة من يقول إنّ اباالاسود هو أوّل من استنبط النحو واخرجهُ من العدم الىٰ الوجود»[6].

وهنا نريد ان نشير إلىٰ مصادر أخرىٰ بالإيجاز؛ منها: «ابوسعيد السيرافي قال: «اكثر الناس علىٰ انّ اول من رسم النحو ابوالاسود الدؤلي، واسمه ظالم بن عمربن سفيان، وكان من سكان البصرة وممن صحب علياً عليه السلام وسمع قارئاً يقرأ ﴿إنَّ اللهَ بريءٌ مِنَ المشركينَ ورَسُولِهِ﴾ بجرّ رسوله: فقال ماظننت انّ امر النّاس يرجع الىٰ هذا، فعمد

---

١. مراتب النحويين، ص٦ ـ٨.
٢. طبقات النحويين واللغويين، ص١٤.
٣. اخبار النحويين البصريين، ص١٣.
٤. ابن النديم، الفهرست، ص٥٦.
٥. ابن الانباري، نزهة الالباء، ص٣.
٦. إنباه الرواة، ص١٦.

الىٰ استخراج علم النحو[١].

وقال الكفعمي ـ من الإمامية ـ: «إنَّ اباالاسود الدؤلي أول من وضع علم العربية، واخذه ابوالاسود من علي عليه السلام، قال ابوالاسود: دخلت علىٰ عليّ عليه السلام وفي يده رقعة، فقلت ماهذه الرقعة ياامير المؤمنين؟ فقال: «انّي تاملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء «ـ الاعاجم ـ فاردت ان أضع لهم شيئاً يرجعون اليه ويعتمدون عليه، ثم القىٰ الرقعة وفيها مكتوب: الكلام علىٰ ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف، فالاسم ماانبا عن المسمّىٰ والفعل ماأُنبِئَ به والحرف ماجاء لمعنىً؛ واعلم ياابالاسود! ان الاسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، واسم لاظاهر ولامضمر، وانّما يتفاضل الناس فيما لاظاهر ولامضمر، واراد بذلك الاسم العلم المبهم. قال ابوالاسود فكان ماوقع اليّ أنَّ واخواتها ماخلا «الكن»، فلما عرضتها علىٰ عليّ عليه السلام قال لي اين «الكن»؟ فقلت: ماحسبتها منها، فقال: هي منها فالحقتها بها، ثم قال: مااحسن هذا النحو نحوه» وقال الشيخ ابوالحسن سلامة بن عياض بن احمد الشامي النحوي: «إنَّ علياً عليه السلام دخل عليه ابوالاسود يوماً، قال: فرأيته مفكّراً، فقلت له: مالي اراك مفكّراً ياامير المؤمنين؟ قال انّي سمعت من بعض الناس لحناً وقد هممت ان اضع كتاباً اجمع فيه كلام العرب، فقلت: ان فعلت ذلك احييت اقواماً من الهلاك فالقىٰ لي صحيفة فيها: الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم مادلّ علىٰ المسمّىٰ، والفعل مادل علىٰ حركة المسمّىٰ، والحرف ماانبا عن معنىٰ وليس باسم ولافعل، وجعل يزيد علىٰ ذلك زيادات، قال: واستاذنته ان اصنع في النحو ماصنع فأذن واتيته به، فزاد فيه ونقص.

وفي رواية انّه القىٰ إليه صحيفة وقال له: أُنحُ نَحْوَ هذا، فلهذا سُمّيَ النحو نحواً، ثم اخذه عن ابي الأسود عنبسة الفيل ثم أخذه عن عنبسة ميمون الأقرن، ثم أخذه عنه عبدالله بن اسحاق الحضرمي، ثم اخذ عنه عيسى بن عمر، ثم عن عيسىٰ الخليل بن احمد الفراهيدي، ثم عن الخليل، سيبويه وهو ابوبشر عمروبن عثمان الحارثي، ثم

---

١. ابو سعيد السيرافي، اخبار النبيين.

عن سيبويه، ابوالحسن الاخفش سعيدبن مسعد المجاشعي، ثم عن الاخفش، ابوعثمان المازني، ثم عن المازني، ابوالعباس محمدبن محمدبن زيد المبرّد، ثم عن المبرّد، ابوبكربن السراج، ثم عن ابن السراج، ابوعلي الحسين بن احمد الفارسي، ثم عن الفارسي علي بن عيسىٰ الربعي (ابونصر الضرير) ثم عن ابي نصر، ابوالحسن طاهربن بابشاذ، ثم عن ابن بابشاذ الشيخ ابو عبدالله محمدبن بركات، ثم اخذناه عن ابن بركات المذكور وغيره - رحمهم الله جميعاً - روايةً، وعنهم من انفسنا، والنظر فيه علىٰ قول الايام درايةً، ولم يزل كل منهم يزيد بفكره قليلاً قليلاً، حتىٰ اتّسعت دائرة فلكه، وانقطعت موحّدات الخواطر دون مسلكه، فلذلك ماقيل فتح النحو بفارس، يَعنُونَ سيبويه، وختم بفارس يعنون ابا علي، ثم قالوا: ولم يكن بينهما مثلهما».[1]

وقال ابن ابي الحديد: «ومن العلوم، علم النحو والعربيّة وقد علم الناس كافةً انّه هو الذي ابتدعه وأنشاه وأملاه على ابي الاسود الدؤلي، جوامعه وأصوله، من جملتها: الكلام كلّه ثلاثة اشياء: اسم وفعل وحرف، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الاعراب إلى الرفع والنصب والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأنّ القوة البشرية لاتفي بهذا الحصر ولاتنهض بهذا الاستنباط»[2].

اسباب نشاة علم النحو

جميع المعارف والعلوم الإنسانية التي توصل إليها الإنسان منذ نشأته وإلى يومك هذا، سببه الرئيسي الذي لايمكن ان يتنازع عليه اثنان، هو الحاجة، والنحو العربي لايخرج عن هذه القاعدة، فمثله كمثل العلوم والمعارف الأخرىٰ، فالحاجة الملحّة أوجدت الدوافع لابداعه وظهوره إلى حيّز الامكان، فقد وضع النحو لأجل مواجهة

---

١. ابو الحسن سلامة بن عياض الشامي النحوي، المصباح في النحو.

٢. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزلي.

الأجواء والظروف السائدة آنذاك والتي أدّت بدورها إلى إشاعة اللحن على الألسن، والسبب الرئيسي وراء ذلك الاختلاط الذي حصل بين العرب والشعوب الأخرىٰ، التي دخلت الإسلام أو خضعت لحكمه و عاشت أو ارتبطت مع المسلمين بسبب الأواصر التاريخية أو الجغرافية القديمة او الحديثة، التي فرضتها الظروف الجديدة والمتوّجة بالفتوحات الإسلامية، ومن طبيعة هذا الاختلاط بكلّ صوره وأساليبه المنبعثة من الظروف الجديدة، التي أوجدها الاسلام بمختلف أبعاده الفكرية، فإنبعاثه وطبيعته المتحركة الداعية إلى الجهاد وإنقاذ المستضعفين، والذي ادّىٰ بدوره إلى دخول الأعاجم الاسلامَ واختلاطهم بالمسلمين العرب، مضافاً إليها نزوح عدد منهم إلى الجزيرة العربية وسكناهم هناك، كلّ هذه الاسباب مجتمعةً أدّت إلى ظهور اللحن على السن الناس.

ويذهب بعض المؤرخين ظهور اللحن الى زمن رسول اللّه محمّد ﷺ فيقول ابوالطيب الحلبي: إنّ اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين في عهد النبي ﷺ فقد روينا أنّ رجلاً لحن بحضرته فقال: أرشدوا أخاكم[١].

وأنا أذهب إلى خلاف ماذهب إليه ابو الطيّب الحلبي، من أنّ اللحن الذي ظهر على لسان هذا المولىٰ لايمكن اعتباره ظاهرةً لغوية بمقدار مايمكن اعتبارها ظاهرة فردية طبيعية متصلة بمولىٰ ليس عربي اللغة والمنشأ، وصدور مثل هذه الهفوات من الأعاجم أمرٌ طبيعي لايمكن اعتباره ظاهرة اجتماعية.

وبعد عصر الرسول ﷺ واتّساع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية، حتى شملت فارس وأطراف العراق وبلاد الشام وتعدد لغاتهم، اخذ اللحن يشيعُ على الالسن تدريجياً فقد كتب كاتب لأبي موسىٰ إلى عمربن الخطاب: من أبوموسىٰ...[٢] فكتب اليه عمر: السلام عليك، امّا بعدُ، فاضرب كاتبك سوطاً واحداً، وأخّر عطائه سنةً. وروى الجاحظ: انّ أوّل لحن سمعَ بالبادية: هذه عصاتي بدل عصاي؛ «أوّل لحنٍ سمع

١و٢. مراتب النحويين، ص٥.

بالعراق: حيّ على الفلاح بكسر الياء بدل فتحها»[1]. ونقل بن قتيبة: «انّ رجلاً دخل على زياد، فقال: إنّ أبينا هلك، وإنّ أخينا غصبنا على ميراثنا من آبانا. فقال زياد: ماضيّعت من نفسك أكثر ممّا ضاع من مالك»[2]

وفي خلافة الإمام علي عليه السلام حيث ازداد الاختلاط والتشابك بين المسلمين العرب وغيرهم من المسلمين الأعاجم وازداد على أثره اللحن وهذا انتاج طبيعي لذلك، ونخصّ بالذكر، البصرة وهي مركز تجاري حضاري كثر فيه الاختلاط وظهور اللحن بأجلى صوره وشيوعه على الألسن فروى ابن الانباري أنّ الإمام عليّ عليه السلام قال: «اني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء» يعني الاعاجم[3].

وانتشر هذا اللحن حتى وصل الى بيت أبي الأسود الدؤلي، فهذه ابنته تلحن في كلامها وكلّ هذه الاخبار الخطيرة عن اللحن، كان ينقلها أبو الأسود إلى الإمام علي عليه السلام بحكم صحبته له، فاللحن إذا بلغ إلى هذا الحدّ من الخطورة ان دخل بيت أبي الأسود ولهذا كان يحسّ بالأسىٰ واللوعة من ذلك، شأنه شأن الفصحاء من العرب آنذاك، فنقَلَ لنا السيرافي «قال ابو الأسود الدؤلي: إنّي لأجدُ للحن غمراً كغمر اللحم»[4].

وقد شعر الامام عليّ عليه السلام بخطر هذه الظاهرة التي اخذت تنتشرُ وخطرها ليس مقتصر على اللغة العربية، بل تعدّتها لتصل إلى مباني وقواعد الدين الإسلامي الحنيف بشقّيه القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وبالتالي مايترتب على التشريع ككلّ، فاللحن وخطورته على القرآن الكريم والحديث الشريف يتمثّل في التباس المعاني القرآنية وأحكامها وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وعدم فهمها فهماً صحيحاً، ممّا ينعكس بدوره على التشريع وأحكامه والغموض المراد منه وكلّنا يعرف: انّ القرآن الكريم والحديث الشريف قد كتبا ضمن إطار هذه اللغة وقواعدها وأصولها، فأيّ التباس فيها ينعكس

---

١. المصدر السابق، ص٦.

٢. من تاريخ النحو، ص ١١.

٣. نزهة الألباب، ص٢.

٤. اخبار النحويين البصريين.

بدوره على ماذكرناه آنفاً. فقال ابن خلدون في تاثير اللحن: «وخشيَ أهل العلوم منْهم أن تفسد الملكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على الفهوم»[١].

فشاع اللحن في قراءة القرآن الكريم آنذاك، فينقل لنا السيرافي أنَّ أباالاسود سمع قارئاً يقرأ: إنّ اللّه بريء من المشركين ورسولِه[٢] بالكسر، وقال ابن الأنباري: «رُوي أن سبب وضع عليّ عليه السلام لهذا العلم، انّه سمع أعرابي يقرأ: لاياكلهُ الاّ الخاطئين» وبهذا نرى أنَّ السبب والدافع الرئيسي في وضع القواعد النحوية لحفّاظ القرآن الكريم من التحريف والخطأ والإنحراف، فالعامل الديني هو العامل الرئيسي في وضع علم النحو بالإضافة إلى عوامل أخرى تعتبر هامشيّةً بالنسبة إليه، بل يذهب كثير من العلماء إلى أنَّ العامل الديني، هو العامل الرئيسي في وضع علماء المسلمين لأكثر علومهم أيضاً كما صرّح بهذا ابن خلدون في مقدّمته وغيره. وممّا يؤكد ماذهبنا إليه، أنَّ أباالاسود الدؤلي قام بتنقيط المصحف الشريف دون سواه. ولكن هذا العمل الجبّار يعتبر عملاً ناقصاً مبتوراً، لانَّ مصادر التشريع الأخرى المتمثلة بأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله لم يشملها هذا العمل، فلهذا بَقيَتْ جزء من المشكلة قائم، فقام الامام عليّ عليه السلام بوضع قواعد نحوية، تصون مصدري التشريع الاسلامي: «القرآن والحديث» من الخطأ والتحريف، بالإضافة الى صون اللغة العربية من اللحن والخطأ، فابتداع علم النحو وإملاءه على أبي الأسود الدؤلي، وبهذا التفكير الخلاّق صين التشريع الاسلامي بشقيه، مضافاً إلى صيانة اللغة العربية الأمّ، التي نزل بها القرآن الكريم.

ولكن هنا تخرّصات وآراء ظهرت بين الاقدمين من الكتّاب والرواة والمحدّثين من أبناء مدرسة الاستشراق الغربية (المستشرقون) تحاول التشكيك والمغالطة في الحقائق التاريخية التي يكاد يُجمع عليها الرواة والمؤرخون والمحققون بدوافع شتّى، منها التعصّب والإغماض وإثارة الشبهات عن كلّ مايُنسب إلى علماء الشيعة وأئمتهم،

---

١. المقدمة، ص٢ ـ ٥.

٢. نزهة الالباب، ص٣.

وهذا هو ديدنهم قديماً وحديثاً، ومن الملاحظ في هذا المجال انّ الشبهات التي يثيرها البعض حول نسبة النحو إلى الإمام عليّ عليه السلام تشابه مثيلتها التي أثيرت حول نهج البلاغة ومدىٰ صحّة نسبته للإمام عليّ عليه السلام، وسبب ذلك يُرجعونه في كثير من الأحيان إلى المصطلحات والأفكار المنهجية المنطقية والفلسفية والتعريفات التي لايمكن ان تظهر في تلك الفترة الزمنية البدائية من حيث الوعي الثقافي والمستوى العلمي الذي وصلت إليه العقلية العربية المسلمة في ذلك الوقت كما يدّعون.

ونريد أن نُشير إلى وجه الشبه بين الامرين، أي الشبهات المُثارة حول نسبة نهج البلاغة للإمام عليّ عليه السلام، وكذلك الشكوك التي أثيرت حول نسبة النحو إليه أيضاً، فمن المشكّكين القدماء، ابن خلّكان، ولعلّه هو اوّل مَن بذر الشكّ حول نهج البلاغة ومدىٰ صحّة انتسابه لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وتبعه الصفدي في «الوافي بالوفيات» واليافعي في «مرآة الجنان» والذهبي في «ميزان الاعتدال» وابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» وابن خلدون.

امّا من المعاصرين، فيقف أحمد امين المصري في «فجر الإسلام» علىٰ راسهم ويتبعه في ذلك شوقي ضيف في «الفن ومذاهبه في الأدب العربي» ومحمّد سيّد گيلاني في كتابه «أثر التشيّع في الادب العربي».

وقد تصدّىٰ مجموعة من الباحثين لهؤلاء، واخصّ بالذكر منهم الشيعة، امثال الشيخ هادي كاشف الغطاء في كتابه «مدارك نهج البلاغة» والسيّد هبة الدين الشهرستاني في كتابه «ماهو نهج البلاغة» والشيخ الاميني في كتابه «الغدير في الكتاب والسنّة والأدب» والسيّد عبدالزهراء الخطيب في كتابه «مصادر نهج البلاغة»وهذه الشكوك والشبهات، يمكن إرجاعها إلى اسباب، منها بداوة العقلية في عصر الإمام عليّ عليه السلام، فالتقسيمات والمصطلحات والأفكار الفلسفية والمنطقية التي طفح بها نهج البلاغة أثارت في اذهانهم الشكّ والريبة بما تحمله من معاني ومباني تدلّ على إبداع وقوّة فكر سامية ومستوىٰ ثقافي رفيع، وهذا بدوره يحتاج إلى مقدّمات لم تكن متوفّرة في عقلية أبناء ذلك العصر، بالإضافة إلى انّ المستوى الثقافي العلمي لم يكن بهذه

الدرجة من النضج، ويمكن الردّ على هذه الشكوك من خلال ملاحظة القرآن الكريم، الذي يحتوي في طيّاته على تقسيمات ومضامين سامية، بالإضافة إلى اسلوبه المنطقي العقلي في إثبات الحقائق الوجودية الكونية وماجاء به من قانون اجتماعي، مراعياً الفطرة البشرية ومنساقاً ضمن إطار منطقي عقلي فهو يخاطب العقل أكثر ممّا يخاطب العاطفة، فعندما يريدان يثبت شيئاً خارجاً عن الأطر المادية يحاول أن يتلمّس المصاديق الوجودية من خلال الطبيعة بأبعادها وقوانينها، ومن ثمّ ينقل القارئ أو السامع إلى مايريد إثباته من المجهول إلى المعلوم ومن الجزئي إلى الكلّي أو بالعكس، فيستخدم قاعدة الاستنباط والاستقراء والعلّية. فلايستغرب بعد كلّ هذا، صدور مثل تلك التقسيمات والمصطلحات في تلك الفترة الزمنية عن مثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذا عرفنا أنّه التلميذ الأوّل للقرآن، وأنّه استوعب القرآن وعرفه معرفةً حقّةً لايعتريه الشكّ والابهام، بل القرآن كلمات وسطور تحتاج إلى من يُخرج مفاهيمها ومعانيها واشاراتها؛ موضحاً أو شارحاً أو معلّماً أو معلّقاً، وهذه الصفات مجتمعة، تمثّلت في شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام، فكان بحق، القرآن الناطق سلوكاً وعملاً وفهماً وعلماً، ولهذا لانستغرب أن يكون للقرآن الكريم الأثر الواضح في اسلوب ومنهجية الإمام عليّ عليه السلام في تناوله لحقائق الوجود، معتمداً بذلك الاسلوب القرآني بكلّ ابعاده العقلية المنطقية مضافاً إليه الأسلوب الكلامي الإقناعي مع مراعاة للجانب العاطفي، وبهذا نستطيع أن نثبت صحّة نسبة نهج البلاغة للإمام عليّ عليه السلام وإن هذا الابداع الخلّاق الذي جاء به ولم يسبقه أحد إلى مثله، فمن السهل بل من البديهي نسبة النحو وتقسيماته إليه.

ونحن بهذا قد تناولنا الموضوع، من خلال أساليب وطرق يؤمن بها المعترضون في نشأة العلوم والمعارف البشرية ولم ندخل في الجانب الإعجازي لشخصية الإمام عليّ عليه السلام.

تاريخ النحو العربي

إذا أردنا أن نضع النقاط على الحروف في هذا الباب وقبل التحدّث عن النحو

العربي وظروف نشأته، يجب علينا ان ننصف الرجل (أبو الأسود الدؤلي) حيث اختلط الامر بين الكتّاب، المحدّثين منهم حتىٰ وصل بالبعض ان ينكر عمل ابي الأسود «تاليف النحو» واعتبر العمل الذي قام به «تنقيط المصحف الشريف»[1] العمل الوحيد له.

كما اعتبر بعضهم «نقط المصحف، البذرة الأولىٰ في أرض النحو العربي»[2].

أما القدماء، فلم يلتبس عليهم الامر، فقد فرّقوا بين العملين بوضوح، فقالوا عندما ذكروا أبا الأسود ونشأة النحو بأنّه «أوّل من أسس العربية ونقّط المصحف»[3]. ونريد ان نقسّم آثار ابي الأسود الدؤلي النحوية إلى نتاجين مختلفين تاريخياً متّفقين هدفاً، وذلك لأنّ الملاحظات النحوية واعراب أواخر الكلام كليهما، من منبع واحد وهو النحو العربي.

النتاج الاوّل: نريد بالنتاج الاوّل النحو العربي وتاليفه. فقد ذهب واتّفق معظمهم على أنّه نشأ في عصر الإمام عليّ عليه السلام وأنّه هو صاحب هذا العمل الجبّار والإبداع الخلاّق، ولم يكن ابوالأسود الدؤلي سوىٰ منفّذ لما أملاه عليه أمير المؤمنين، من قواعد نحوية وتقسيمات. فنرى أباالطيب اللغوي يقول: «كان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام»[4].

وهذا الزبيدي يذهب إلىٰ هذا الراي: «سُئل ابوالأسود الدؤلي عمّن فتح له الطريق إلى وضع النحو وأرشده إليه، فقال: تلقيته من عليّ بن أبي طالب رحمه اللّه»[5].

وابن النديم يقول: «زعم أكثر العلماء انّ النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي وان

---

١. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص١٦ ومقالة الاستاذ ابراهيم مصطفى، مجلة كلية الآداب، القاهرة، ج١، ص٤.

٢. حسن عون، اللغة والنحو، ص٢١؛ مقال الاستاذ احمد مكّي الانصاري، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ج٢٤، سنة ١٩٦٤.

٣. طبقات النحويين واللغويين، ص١٣؛ اخبار النحويين البصريين، ص١٢؛ الاغاني، ج ١٢، ص٢٩٩.

٤. مراتب النحويين، ص٦؛ السيوطي، التحفة البهية والطرق الشهية، ص٤٩؛ و الاغاني ج١٢، ص٢٩٩.

٥. طبقات النحويين، ص١٣، وكثير من الكتب ذكرت هذه الاخبار.

أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

والقفطي يقول: «يقول الجمهور من أهل الرواية على انّ أوّل من وضع النحو، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه»[2].

وأبو بركات الانباري يقول: «إنّ أوّل من وضع علم العربية وأثبت قواعده وحدّ حدوده، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي»[3].

وبهذا نستطيع ان نصل إلى الاستنتاج التالي، وهو: انّ الإمام عليّ عليه السلام هو الذي ابتدع واخترع النحو، وامّا أبو الأسود فلم يكن سوى منفّذ لما أملاه عليه الإمام علي عليه السلام مضاف إليه بعض آرائه وشروحه، وهناك سؤال يفرض نفسه لإيضاح مانحن بصدده، وهو متى ألّف النحو؟

وهذا السؤال، يتطلّب منّا تسليط الضوء على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام حيث بويع الإمام عليّ عليه السلام بالخلافة في الخامس والعشرين من ذي الحجّة لسنة خمس وثلاثين للهجرة، في المدينة المنوّرة، فعزل الإمام عليّ عليه السلام ولاة عثمان بن عفّان، ولانريد سرد الأحداث التاريخية التي مرّتْ في خلافة الإمام علي عليه السلام سرداً مفصّلاً، ولكن بالقدر المتعلّق بالموضوع والتي اتّسمتْ بالقتل وعدم الاستقرار، فما انْ بويع الإمام عليّ عليه السلام بالخلافة، حتىٰ خرجت عائشة وطلحة والزبير وحدثت واقعة الجمل في البصرة وذهب ضحيتها عشرات الألوف من المسلمين وبعدها بفترة حدثت واقعة صفين بعد عزل الإمام عليّ عليه السلام معاوية والي الشام من قبل عثمان بن عفّان ولكن اتّخذ من قميص عثمان ذريعة لتمرده على اوامر خليفة المسلمين الإمام عليّ عليه السلام وانتهت معركة صفّين بعد التحكيم بدون نتيجة، سوىٰ خروج مجموعة من جيش عليّ عليه السلام في صفّين لاعتراضهم على التحكيم، وبعد رجوع الإمام علي عليه السلام من صفين حدث معركة النهروان بينه وبين الخوارج وانتهت بهزيمتهم، وبهذا تحقّقتْ نبوءة الرسول محمّد صلى الله عليه وآله

---

١. الفهرست، ص٥٩.

٢. إنباه الرواة، ج١، ص٥.

٣. نزهة الألباء، ص١٣.

لعليّ عليه السلام في حديث مشهور تناقله رواة الطرفين من سنّة وشيعة ونصّه: انّك ياعليُّ «ستُقَاتِلُ مِنْ بَعدي النّاكثينَ والقاسطينَ والمارقين». والذي يهمّنا في هذا الشأن، ماحدث في البصرة «وهي المدينة التي نشأ فيها علم النحو»[١] فقد كان عبدالله بن عامر والياً عليها من قِبل عثمان بن عفّان، فعزله الإمام عليّ بن ابي طالب عليه السلام وولّى مكانه عثمان بن حنيف وذلك في أوائل سنة ستٍ وثلاثين للهجرة وعلى القضاء أباالأسود الدؤلي، ثم قامت الفتنة فخرج الناكثون ـ عائشة وطلحة والزبير ومن معهم إلى البصرة ـ تحت شعار الطّلب بدم عثمان بن عفّان، ولمّا علم الإمام عليّ عليه السلام بالأمر، حاول انْ يتفادىٰ الأمر ولكن دون جدوىٰ للاصرار الذي لقيه من قِبل الثلاثة، وجاء الإمام البصرة ونزل في مكان يُقال له الزاوية وهي المرّة الأولىٰ التي يزور فيها البصرة ويتمّ اللقاء بينه وبين أبي الأسود الدؤلي، ثم حدثت معركة الجمل وانتصر الإمام عليّ عليه السلام انتصاراً رائعاً.

وانتهت هذه المعركة في مكان يُقال له الحربية في يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ستٍ وثلاثين للهجرة، وعيّن بعدها على البصرة عبدالله بن عباس والياً، وزيادبن أبيه على الخراج وبيت المال»[٢].

وبقيَ أبو الأسود قاضياً على البصرة ومكث الإمام علي عليه السلام في البصرة مدّة شهرين تقريباً، وذلك عندما خرج في وداع عائشة يوم السبت في غرة رجب، سنة ستٍ وثلاثين للهجرة[٣]، ثم ذهب بعد ذلك إلى الكوفة.

امّا اللقاء الثاني بين الإمام عليّ عليه السلام وأبي الأسود، فقد كان سنة سبع وثلاثين للهجرة في صِفّين، كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرّخين وآخرون ذهبوا إلى: «ان أباالأسود الدؤلي لم يذهب إلى صِفّين بل كُلّف بإدارة البصرة خلفاً لابن عباس»[٤].

---

١. تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٤٣.

٢. المصدر السابق، وانظر: صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص٢٩٦.

٣. علي الاعظمي، مختصر تاريخ البصرة، ص٢٢.

٤. نصربن مزاحم، وقعة صفين، ص١٢٢؛ تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٦٢.

وبناءً على ماذكرناه سلفاً من روايات متشابكة بشأن النحو العربي نستطيع القول انّ النحو العربي في الفترة التي زار فيها الإمام عليّ عليه السلام البصرة وذلك بين الثاني والعشرين من جمادي الآخرة وأوائل رجب لسنة ست وثلاثين للهجرة، وقداستنكر بعض الباحثين هذا الرأي وقال: كيف حدث ذلك؟ وقد جاء الإمام عليّ عليه السلام البصرة محارباً ومشغولاً بشؤونها، فنقول: نعم، حدث ذلك ولكن اللقاء العلمي هذا تمّ بين الإمام عليّ وأبي الأسود الدؤلي بعد النصر مباشرة، وكان سريعاً لايحتاج إلى وقت، بل يحتاج إلى موافقة وتبادل آراء خدمة للدين واللغة، حيث كان الدؤلي مجهزاً لهذا العلم قبل مجيء الإمام عليّ عليه السلام وانتظر متىٰ وضعت الحرب أوزارها وعرض الامر علىٰ الإمام عليّ عليه السلام أو الإمام هو الذي ابتداه وعلىٰ الاغلب، وأيّاً كان البادئ فقد تمت الموافقة، وكان هذا اللقاء سريعاً، بدليل الروايات المتشابكة التي لم تستطع هي الأُخرىٰ ان تشير بشيءٍ من التفصيل أو تقف عنده وقفة طويلة... ونجد ايضاحاً اكثر من ذلك عند ابن النديم الذي شاهد أربعة أوراق في النحو من عمل ابي الاسود الدؤلي، وبهذا نصل إلى نتيجة هامّة، هي انّ العمل كان قليلاً جداً من حيث الكم ولايحتاج الإمام عليّ عليه السلام وابوالأسود وقتاً لدراسته، فاربع ورقات، لاتحتاج اياماً لدراستها، بل من الممكن أنْ تُدرَسَ في ساعات، وهذا ماحدث فعلاً.

امّا اللقاء الثاني: فكان لقاءاً سريعاً في صفّين حتى انّنا نشكّ في هذا اللقاء انّه تمّ، لأنّنا لَمْ نجد في ديوانه مايُشير إلى هذا اللقاء.

النتاج الثاني: والمقصود منه نقط المصحف الشريف، وهو مرتبط بالوالي زيادبن أبيه عندما كان والياً على البصرة زمن معاوية بن أبي سفيان، وأكثر الروايات ذكرت هذا العمل وربطته به، وهي كالآتي:

قال أبو الطيّب اللغوي: «ولم يزل أبوالاسود ظنّيناً بما أخذه عن عليّ عليه السلام حتىٰ قال لهُ زياد: قد فسدت السنة الناس»[1].

---

١. مراتب النحويين واللغويين، ص٦ و٤٦.

وهذا الزبيدي يذكر الخبر بشيء من التوضيح: «وكان لايخرجُ شيئاً اخذه عن عليّ (كرّم اللّه وجهه) إلى أحد، حتىٰ بعث إليه زياد، انْ يعمل شيئاً يكون للناس إماماً، ويعرب كتاب اللّه، فاستعفاه حتىٰ سمع قارئاً يقرأ: ﴿إنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشركين ورَسولِهِ﴾ فوافق ابوالاسود ورجع إلى زياد وطلب منه كاتباً لقناً، فاتى بكاتب من عبدالقيس فلم يرضه فاتى بآخر، قال ابوالعباس: احسبه منهم، فقال له ابوالاسود: إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطة فَوْقَهُ على أعلاه، فان ضممتُ فمي فانقط بين يدي الحرف وانْ كسرتُ فاجعل النقطة تحت الحرف فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنّةً فاجعل مكان النقطة نقطتين». [١]

وروى القفطي مايزيد الامر تاكيداً، إذ يقول: إنَّ زياداً سمع بشيءٍ مما عند ابي الاسود الدؤلي، ورأىٰ اللَّحْنَ قد نشأ فقال لابي الاسود: أظهِرْ ماعندك ليكون للناس إماماً فامتنع من ذلك وساله الاعفاء، حتىٰ سمع ابوالاسود قارئاً إلى آخر الرواية التي ذكرتها سابقاً. [٢]

وخلاصة الامر الذي وصلنا إليه، بناءاً على روايات النتاج الثاني «نقط المصحف» نصل إلى:

أولاً: إنَّ نقط المصحف نشأ على يد أبي الأسود الدؤلي في عهد الوالي زيادبن أبيه على البصرة زمن معاوية بن أبي سفيان.

ثانياً: إنّ ابا الاسود الدؤلي قد احتفظ بما أملاهُ اميرالمؤمنين عليّ عليه السلام من علم النحو واضاف إليه شيئاً، فالاصول النحوية او القاعدة الاساسية من ابداع اميرالمؤمنين عليّ عليه السلام واختراعه، وهذا مااعترف به ابوالاسود الدؤلي نفسه واتّفق عليه الرواة الاقدمون على مختلف مشاربهم واتّجاهاتهم، ولم يظهره ابوالاسود إلاّ في حالة اضطرارية عندما رأى اللحن فاشياً بين الناس.

---

١. طبقات النحويين، ص١٤؛ اخبار النحويين البصريين ص١٢؛ الفهرست، ص٥٩؛ الأمين، اعيان الشيعة، ج١، ص٢١٦؛ نزهة الالباب، ص١١؛ المقنع في رسم مصاحف الامصار، ص١٣٢.

٢. إنباه الرواة، ج١، ص٥.

وهذه الروايات على جانب كبير من الحقيقة وذلك لسببٍ بسيط وهو لماذا اختار زيادبن أبيه أباالأسود الدؤلي ليقوم بتشكيل المصحف؟

والسؤال الثاني الذي يفرض نفسه لماذا رفض أبوالأسود الدؤلي بادئ الأمر عرض زياد؟

وعند الإجابة عن السؤالين الآنفي الذكر، تحلّ المعضلة، فسبب اختيار زياد أباالأسود الدؤلي ليقوم بتشكيل المصحف الشريف يدلّ دلالة واضحة لاريب فيها: أنّ أبا الأسود كان ينطوي على علمٍ جمٍّ بالنحو العربي وقواعده، كما في رواية القفطي وقد أشرنا إليها مفصّلاً.

امّا جواب السؤال الثاني وهو: رفض أبوالأسود الدؤلي في بدء الأمر ماعرضه زياد عليه، يمكن أن ترجعها إلى أسباب موضوعية تؤيّد هذا الرفض، وهي:

أولاً: يحدّثنا التاريخ أنّ هناك خلافاً يمكن أن نعتبره شخصياً بين الدؤلي وزيادبن أبيه وهذا مانستشفه من خلال أبيات قالها أبوالأسود في زيادبن أبيه عندما كان والياً على البصرة:

رأيتُ زياداً ينتحيني بشرِّهِ ... وأعرِضُ عنهُ وهو بادٍ مقاتلهُ
تعوّدها فيما قضىٰ من شبابِهِ ... وكذلك يدعو كلَّ إمرئٍ اوائله[1]

وفي قصيدة أخرىٰ يقول:

نُبِّئتُ أنَّ زياداً ظلَّ يشتمني ... والقولُ يُكتَبُ عندَ اللّهِ والعملُ
وقد لقيتُ زياداً ثُمَّ قُلتُ لهُ ... وقبلَ ذلك ماحبت به الرُّسلُ
حتىٰ مَ تسرِقُني في كلِّ مجمعةٍ ... عرضي وأنت إذا ماشئتَ منتقلُ
كلّ أمرئٍ صائرٌ يوماً لشيمتهِ ... في كلِّ منزلةٍ يُبلىٰ بهِ الرَّجلُ[2]

وهذا العداء الواضح بين زيادبن أبيه وأبي الأسود، سببٌ من الأسباب التي دعت

---

١. إنباه الرواة، ج١، ص٥.
٢. مختصر تاريخ البصرة، ص١٢٨؛ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص٢٩٦.

أباالاسود إلى نفي التعاون مع زياد.

ثانياً: وعلينا أنْ نُعزي السبب الآخر إلى الوضع السياسي الجديد، فقد كان ابوالأسود الدؤلي من شيعة عليّ عليه السلام وخواصّه وأصحاب الرأي المعتمد لديه، ولكن بعد شهادة الإمام عليّ عليه السلام علىٰ يد أحد المارقين من الخوارج وعدم استتباب الامر من بعده لولده الإمام الحسن عليه السلام ممّا اضطره للصلح علىٰ شروطٍ مع معاوية بن أبي سفيان، وبهذا تسلّطَ معاوية على رقاب المسلمين ولاحَقَ شيعة عليّ عليه السلام تحت كلّ مدرٍ وحجر وقدلحق أبا الأسود الدؤلي من الاضطهاد والتشريد والتجويع ما لحق غيره من شيعة عليّ عليه السلام والمؤمنين بخطّه. إذ يمكننا اعتبار العقيدة الشيعية التي تقف حائلاً دون التعاون مع الظالمين، والمتمثّلة بأجلىٰ صورها في حكّام بني أميّة هي السبب في ذلك.

ثالثاً: امّا السبب الاخير، فيمكن حصره في منع التدوين وخاصّة مايرتبط بالحديث الشريف، الذي كان مفروضاً من عهد عمربن الخطّاب لأسباب لايمكن أن نسهب القول فيها، فهي تحتاج إلى الكثير؛ وهذا ليس في محلّه.

وقد تركّز هذا الجهد ـ بالخصوص ـ علىٰ أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام ومواليه وشيعته خوفاً من كتابة ونشر بعض الكتب التي ترفع من منزلة أهل البيت عليهم السلام وتحطّ من أعدائهم ومخالفيهم، وكان الخطّ السياسي المنتهج من قبل الأمويين يبغي إلى اخفاء أو القضاء على كلّ مايمتّ إلى الشيعة وائمّتهم بصلة حتىٰ وصل الأمر برواة الحديث الشريف عندما يريدون نسب حديثٍ شريفٍ إلى الإمام عليّ عليه السلام فلايذكرون اسمه صراحةً، فينقلون اثناء ذكر السند الذي ينتهي إلى الإمام عليّ عليه السلام ومنه إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله ذكر فلان عن فلان عن أبي زينب، وهذا يدلّ بدوره على الحالة التي كان يعيشها الناس في العصر الأموي والشيعة على الخصوص، ويمكن ارجاع الأسباب التي دعت أباالأسود الدؤلي إلى الموافقة بعدها على نقط المصحف الشريف وإظهار القواعد النحوية بعد إخفائها زمناً طويلاً، حتىٰ ولي زياد على البصرة في زمن معاوية ظهور اللحن في القرآن الكريم، والذي يحتوي في داخله الواعز الدين في الحفاظ على الشريعة الإسلامية من الإنحراف والتخليط والابهام، والذي يحدث

كنتيجةً طبيعيةً لعدم وجود ضوابط وقواعد نحوية يعتمد عليها من قِبل أصحاب الشأن في مجال القرآن والحديث وعلومهما باعتبارهما مصدرا التشريع الإسلامي في مجالات الحياة المختلفة، وإحاطة القرآن بسياج يمنع اللحن والتحريف والإبهام، وهذا ماذهب إليه شوقي ضيف: «كان ذلك عملاً خطيراً حقّاً، فقد احاطوا لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه»[1].

ويقول الدكتور مازن مبارك: «ومضىٰ وضع أبي الأسود الدؤلي لِشَكْل المصحف، إنَّهُ وضع الضوابط التي تمنع القارىء من الزلل أو اللحن في القرآن وهل للنحو غايةٌ أخرىٰ ابرز من حفظ اللسان من الخطأ»[2]. واعتقد ان هذا هو الذي دفع أباالأسود الدؤلي إلى نقط القرآن الكريم وذلك في أوّل اظهار علم النحو. امّا عن وجود هذا المصحف الذي شكَّله أبوالاسود، فهل هو موجودٌ ام ضاع كما ضاع الكثير من كتب التراث الإسلامي؟ ذكر محسن الامين في أعيان الشيعة: أنّه رأىٰ في الخزانة الرضوية الشريفة في مرقد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، مصحفاً بخطّ الإمام عليّ عليه السلام عليه مثل هذا الشكل والتنقيط، وهذا يؤكّد أنّ ابي الاسود الدؤلي قد تلقّىٰ تحريك المصحف بالتنقيط من الإمام عليّ عليه السلام كما تلقّىٰ النحو منه، إلاّ أنّنا نقول بانّه تحريك هذا المصحف الشريف الذي كتبه الإمام عليّ عليه السلام بخطه قد أُضيف إليه من قبل أبي الأسود أو غيره «بعد كتابته»، كما يحتمل ذلك السيّد محسن الأمين. يقول السيد محسن الأمين عن القرآن المنسوب إلى خطّ أمير المؤمنين عليه السلام: «جزء من القرآن منسوب إلى خطّه الشريف أيضاً ـ أي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ من أوّل سورة هود إلى آخر سورة الكهف. تشكل مانسميه سفينة ويسميه الفُرس بياضاً، اي انّه أسفل أربعة من جهة العرض لامن جهة الطول، وكذلك باقي المصحف الذي رأيناه في خزانة الكتب الشريفة الرضوية في ١٢ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ عند تشرّفنا الىٰ مشهد الإمام الرضا عليه السلام مكتوب على الجلد الرقيق

---

١. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص١٧.

٢. مازن المبارك، النحو العربي ص٣٠.

الذي لا يفترق كثيراً عن الكاغذ بخطّ كوفي غير منقّط، وعليه نُقَط بالحمرة مدوّرة هي علامات على الشكل والظاهر تأخّرها عن كتابته، فللكسرة نقطة تحت الحرف، والفتحة نقطة فوقه، والضمّة نقطة أمامه، وإذا كان في وسط الكلمة توضع النقطة بجانبه، وللتنوين نقطتان فوقه للمنصوب، وتحته للمخفوض، وأمامه للمرفوع، امّا الحرف الساكن فليس عليه علامة، وقد كانت المصاحف أولاً غير منقّطة لا للاعجام ولا الشكل.

وأوّل مَنْ نقّطها للشكل، أبو الاسود الدؤلي في إمارة زياد، كان يقول للكاتب: إذا رأيتني فتحتُ فمي بالحرفِ فانقط نقطة فوقه على اعلاه، وإنْ ضممتُ فمي فانقط بين يديّ الحرف وان كسرتُ فاجعل النقطة من تحت الحرف، وذكر إبن النديم في الفهرست وزاد ابن الانباري في نزهة الالباب: فان اتّبعتُ شيئاً من هذه الحركات غُنّةً فانقط نقطتين، وهذا يعني تنقيط المصحف الذي رأيناه، وهو يؤيّد انّه بخطّهم عليهم السلام وفي آخره سطرين هكذا: كتبهُ علي بن ابي طالب.

وجلدُ هذا القرآن مذهّب، موضوع في صندوق مذهّب وكلاهما في غاية الإتقان، مكتوب على جلده: وقف الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨هـ. عدد أوراقه ٦٨ ورقة، سُطِرَ في كلّ صفحة خمسة عشر سطراً طولهُ ٣٤ سانتيماً، عرضه ٢٣ سانتيماً، قطرهُ ثلاث سنتيمترات، وكتب الشيخ البهائي على ظهره بخط يده ماصورته: هذا الجزء من القرآن المجيد الذي هو بتشريف خطّ سيّد الاوصياء، وحجّة الله على أهل الأرض والسماء، نفس الرسول، وزوج البتول، وابي السبطين، إمام الثقلين، والمخصوص باختصاص «إنّما وليُّكمُ اللهُ» المعزّز باعزاز «مَنْ كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه...»[١]. ثم يذكر السيّد الامينى: أنّه توجد نسخة أخرىٰ من القرآن الكريم بخطٍ منسوبٍ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو كالجزء السابق بجميع مميّزاته، سوى انَّ سوره غير سوره ونقط قليلة، خضر من تحت و فوق، وأقلّ منها زرق، غير نقط الشكل الحمراء تتحققُ المرادُ

---

١. الامين، اعيان الشيعة، ج١ ؛ ص٩٠.

منها، وفي آخر سطرين، هكذا: كتبهُ عليّ بن ابي طالب.

الرواية وسندها

حدّثنا ابو طاهر، قال: حدثنا محمد، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا حيان بن بشر، قال: حدثنا يحيى بن آدم، عن ابي بكر، عن عاصم، قال[1]: «أول من وضع العربية، ابو الاسود الدؤلي. فجاء الىٰ زياد بالبصرة فقال: إني ارىٰ العرب قد خالطت الاعاجم فتغيّرتْ السنتهم، أفتاذَنُ لي انْ اضع للعرب كلاماً يعرفون ويُقيمون به كلامهم؟ قال[2]: لا. قال[3]: فجاءَ الىٰ زياد، فقال: اصلح اللّه الامير، توفي أبانا وترك بنُون!! فقال: أدع لي اباالاسود، فقال: ضَع للنّاس الذِي نهيتُك ان تضع لهم.[4]

الخلاصة:

وممّا ذكره أرباب التاريخ والأدب، نستطيع القول: بِأنَّ الإمام عليّ عليه السلام شعر بالضرورة الملحّة لوضع قواعد تصون الكلام من اللحن بعد شيوعه في قراءة القرآن الكريم ومايترتّب عليه من آثار سلبية قد تحدث شرخاً في الصرح الإسلامي وتشريعه

---

١. الخبر رواه ابو بكر بن الانباري في إيضاح الوقف (ص ٤٢ ـ ٤٣) عن ابيه عن عمر بن شبة بالسند المذكور في المتن عن عاصم، وذكره الذهبي في سير اعلام النبلاء (ج ٤، ص٨٤) عن عمر بن شبة، بالسند المذكور عن عاصم أيضاً، ورواه ابوالفرج الاصبهاني في اماليه، بسنده عن أبي بكر بن عياش عن عاصم (انظر: السيوطي، «سبب وضع العربية»؛ التحفة البهية، ص٥٢) وذكره الزبيدي في طبقات النحويين (ص٢٢) عن ابن أبي سعد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم، وتمام السند ما ذكره المؤلف. وذكره القفطي في إنباه الرواة (ج١، ص١٥) وابن خلكان في وفيات الاعيان (ج٢، ص٥٣٦ـ ٥٣٧). وفي المحكم للداني ثلاث رواية أخرىٰ للخبر، فيها مخالفة.

٢. في «ظ»: فقال.

٣. ليس في «ب».

٤. الخيار في النحو، ص ٣٤.

المستمد من القرآن بالدرجة الأولىٰ ومن احاديث الرسول ﷺ والعترة الطاهرة بالدرجة الثانية، فكانت المهمة الملقاة على عاتقه باعتباره خليفة المسلمين والمحافظ على سلامة القرآن الكريم من اللحنِ والتحريف فابتدعَ القاعدة النحوية التي لم ينطق بها عربيٌّ من قبل، وبما انَّ اباالاسود كان مرجعاً في هذا الجانب نتيجة لثرائه اللغوي ولذكائه ورجاحة عقله اوكلَ الإمام عليّ عليه السلام إليه مُهمّة استنباط واستخراج القواعد اللغوية والنحوية بعدأن فرش الطريق امامه بوضع القواعد الاساسية التي تعتبر أسّ النحو ومنشاه، وعلى هذا الدرب سار ابوالاسود وواصلَ بحثه في صورةٍ أشمل، فاكتشف بعض القواعد والابواب النحوية التي ترتبط بصورة مباشرة ووثيقة بشيوع اللحن، وقد كانت القواعد النحوية بسيطة وأوليّة في بدايتها، وبمرور الزمن وتظافر الجهود من قِبل علماء النحو توسّعت قواعده وأسسه ومبانيه، حتىٰ وصل إلينا بهذه الصورة التي يمكن اعتبارها ناضجةً كاملةً إلى حدٍّ ما.

امّا الرايُ الذي يذهب إلى انَّ النحو العربي اكتسب او أخذ من الحضارات السريانية واليونانية، فإنَّ الاتصال لهذه الحضارات لم يتمّ بصورة وثيقة إلاّ في زمنٍ متاخّر عن عصر الإمام عليّ عليه السلام فلايمكننا ان نرجع النحو العربي إلى الاكتساب من النحو السرياني، لانَّ مرحلة نشوئه وكتابته جاءت في مرحلة زمنية متاخّرة عن نشأة النحو العربي وكتابته. امّا بالنسبة إلى القائلين باكتساب النحو العربي من النحو اليوناني فمرفوض تاريخياً، وذلك لوجود النحو العربي قبل ترجمة الكتب اليونانية، واسباب أخرىٰ عالجناها في الفصول المتقدّمة وكِلا الاحتمالان المذكوران آنفاً وكذلك الاحتمال المبنيّ على قِدَم النحو العربي ونشاته قبلَ عصر الإمام عليّ عليه السلام تعتمد على الفرض والتخمين والظنّ، دون ان يكون لها أيٌّ سند تاريخي روائي وهذا مايذهب إليه بعض المحدّثين والمستشرقين. امّا الأقدمون فجلّهم ـ إن لم نقل كلّهم ـ ذهب في رأيه إلى انّ النحو، عربيّ النشأة والأصل، بالإضافة إلى انّ منشاهُ لايتعدّىٰ عصر الإمام عليّ عليه السلام؛ والله من وراء القصد.

الفصل الرابع

الشعر وخصائصه

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الاول

تـوطـئـة

«اللّغـة هي الاداة الاولىٰ للشـاعر ـ وللأديب عـمـومـاً ـ او لِنَقُل: إنّهـا المادة الاولىٰ التي يشكل منهـا وبها بناءه الشـعري بكل وسائل التشكيل الشعري المعروفة، اي: انها الاداة الأمّ التي تخرج كل الأدوات الشعرية الاخرىٰ من تحت عبارتها وتمارس دورها في اطارها»[1].

إذنْ فالشعر له لغته الموجَّهة المؤثرة القادرة علىٰ الاثارة ولاتنبثق عن مشكلات الحياة اليومية وإنّما تصدر عن وجدان عميق، والتعبير عن الوجدان يستلزم الفاظاً ذات دلالات نفسيّة وشعورية خاصة، قادرة علىٰ تصوير احساس الشاعر وعابٍ التأثير في نفس القارئ أو السامع، لِتَحْدُثَ عنه احساساً مماثلاً وتنقل اليه تجربة الشاعر كاملة.

«ولاء الشعر يجب ان يكون للّغة التي ورثها، مهمّته انْ يحافظ عليها وأنْ يميتها بابتداع اسلوبه الخاص»[2].

---

١. علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص٤٢.

٢. احمد طاهر مكي، الشعر العربي المعاصر، ص٧٩.

وقبل التّعرض للحديث عن لغة الشاعر، نورد الحديث عن نقطتين، هما:

١. خصائص لغة الشعر؛ ٢. شروط النُّقّاد في لغة الشعر.

١ـ خصائص لغة الشعر:

يمكننا تلخيص سمات لغة الشعر في النقاط التالية:

١ـ كثرة الألفاظ ذات الايقاع الموسيقي والقوة التصويرية، ممّا لاتتطلبه الاجناس الاخرىٰ ضرورة، وإنْ تَضَمَّنَتْ شيئاً منه تحمّلاً[١].

٢ـ استخدام عبارات ذات طابع نحوي معيّن؛ بناء واشتقاقاً، لتطويع الالفاظ لقانون الايقاع والقافية، فتجيء في ابنية لم نتعوّدها وفي تراكيب قد لايرضىٰ عنها نحو العربية.[٢]

٣ـ الملمح الجوهري للغة الشعر يتمثّل في الصور الشعرية[٣].

٤ـ اللّغة في الشعر غاية في ذاتها، والتشكيل اللغوي الذي يشكله الشاعر في القصيدة ليس وسيلة لأي هدف آخر وراءه[٤].

٢ـ شروط النقاد في لغة الشعر:

وضع النقاد العرب ـ وغيرهم ـ شروطاً لِلُغة الشعر في الألفاظ والتراكيب والمُفردات والجُمَل وهذه هي شروطهم[٥]:

١ـ الدقة: وهي اصابة المتكلم في اختيار الكلمات التي تكون نصاً في المعنىٰ المراد، والتي تكون اشدّ دلالة علىٰ غرضه من الكلمات الاخرىٰ التي تؤدّيه.

٢ـ الإيحاء: هو ماتثيره الكلمة حولها من معان ودلالات ارتبطت بها في مجال

١ـ٣. المصدر السابق، ص٨١.

٤. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص٤٢.

٥. هذه الفكرة ملخصة جداً من كتاب الدكتور محمد طاهر درويش، في النقد الادبي عن العرب، ص٢٢٨ ـ ٢٤٥.

الاستعمال علىٰ مرّ الزمان ، حتىٰ صار النطق بالكلمة مثيراً لهذه المعاني الجانبية في نفس السامع وإن لم تكن هذه المعاني الجانبية معروفة الىٰ جانب المعنىٰ الاصلي للكلمة في أصل وضعها .

٣ـ **الالفة** : هي انْ تكونَ الكلمةُ قد اكتسبت القرب من النفوس والوضوح بما ألفت الناس من استعمالها ، فصارت بذلك معروفة لاغريبة ولاوحشية .

٤ـ **الطرافة** : وهي الارتفاع عن مستوىٰ السُوقية والابتذال .

٥ـ **الشاعرية** : تقتضي استعمال الفاظ نبيلة خاصة ، فللشعر لغته الوجدانية العالية المنزّهة عن السوقية ، الجميلة الوقع والايحاء المستوي الخلقة في تركيب حروفها وارتياح الاسماع اليها .

٦ـ **عدم التكرار** : للكلمة الواحدة في البيت الواحد او الابيات المتتالية لانَّ مثل هذا التكرار معيب في عمومه ، بخاصة إذا استتبع ثقلاً ومعضلة او غموضاً ، ولكن هذا التكرار له مواضع يغتفر فيها ، بل لعله يكون فيها حسناً .

هذا عن شروط الالفاظ والمفردات ، امّا عن شروط الجمل والتراكيب فهي :

١ـ **رعاية المقاييس والقواعد النحوية** : وهذا أساس وضروري في الكلام الادبي ؛ شعره ونثره ، لان اتباع هذه القواعد شرط لصحة الكلام ، ونحن في باب الشعر والادب نتطلّب ماوراء الصحة وماهو فوقها من الاحسان والابداع والارتفاع الىٰ المستوى الفني الجمالي ، ولاجمال دون أساس قوي وبناء سليم .

٢ـ **حسن التاليف** : وهي انْ تكون الكلمات في الجمل ، متآخية لاتنافر بينها في تركيبها فيسهل النطق بها ويحمد وقعها .

٣ـ **الوضوح** : ان يكون الكلام معبّراً بنفسه دون حاجة الىٰ قرينة او شبيهها ، ظاهر الدلالة علىٰ معناه المراد ، وسبيل الوضوح انْ تكون الكلمات المفردة دقيقة في معناها ، موضوعة مواضعها اللائقة في جملها من ناحية النحو والبلاغة .

٤ـ **القوّة** : وهي تنبعث من جوانب كثيرة منها اختيار الكلمات الجزلة الفخمة المعبرة الملائمة للمعاني القوية التي تدلّ عليها كالفخر والمدح والوصف ؛ مثلاً ، والتي يسوقها

الانفعال وصدق العاطفة والتي لها من الخيال سند.

ولطرافة الكلمات في هذا المجال دَخَل كبير، ولجريان الاسلوب عامة علىٰ مايقتضيه علم المعاني من فصل ووصل وتقديم وتاخير وتاكيد وقصر وغيرها، اكبر الأثر في هذه القوة.

٥ـ ملائمة اللفظ والمعنىٰ: وهي مسالة هامّة عنىٰ بها نُقّاد العرب وحَنّوا عليها كثيراً من كلامهم، ويمكن أن يفهم من هذه الدعوة امور شتّىٰ، فقد صرحوا بانّ من حق المعنىٰ الكريم ان يختار له اللفظ الكريم ولاغضاضة في أن يكون المراد بذلك تصنيف الالفاظ تبعاً للمعاني. فتكون هناك انواع من الكلمات تدور في الاغراض والفنون المختلفة كل حسب مايلائمه، فتكون هناك الفاظ اليق بالفخر واخرىٰ أولىٰ بالغزل وثالثة للمدح ورابعة للهجاء، والفاظ تصلح للجدّ، والفاظ تناسب الهزل، ولاغضاضة في هذا، فقد عَنَوا به ونقدوا ماحادَ عنه.

وقد يكون المراد منه المشاكلة بين الألفاظ والمعاني اي جريانها علىٰ صيغ متناسبة في الوزن الملائم للمعنىٰ.

الالفاظ والمفردات

تتحقق في الفاظه ومفردات ديوانه، الشروط العامة التي وضعها النقاد لجودة العمل الشعري من حيث الفاظه من جهة الدقة والايحاء والالفة والطرافة والشاعرية وعدم التكرار، إلاّ في المواضع المباحة.

يضاف الىٰ ذلك انّها فصيحة واضحة المعنىٰ غالباً قريبة منا ـ نحن المعاصرين علىٰ بُعد العهد بالشاعر ـ لاتكلّف فيها ولاتصنّع، وليست هناك لفظة قلقة في موضعها من الجملة، ولامجلوبة للقافية او اضطرار الوزن الاّ في القليل النادر مثل قوله[١]:

لعمري لقد أوصيت أمس بحاجتي فتىً غير ذي قصدعليّ ولارؤف

---

١. الديوان، ص١٠٠.

كما ان هناك بعض المفردات التي خالفت قواعد الاشتقاق، مثل «مغلوق» وصحتها الاشتقاقية «مغلق» لانّها من اغلق يغلق، يقول[١]:

ولااقول لِقدرِ القومِ قد غليتْ ... ولااقولُ لبابِ الدارِ مغلوقُ

يضاف الىٰ ذلك ان الضرورات الشعرية التي لجأ اليها، قليلة جداً بالقياس الىٰ غيره من الشعراء، منها: اضطراره تسكين الميم الاستفهامية «لِمَ» حيث نطقها «لِمْ» في قوله[٢]:

وساجعٌ في فروعِ الأيكِ هيّجني ... لَمْ ادرِ لِمْ ناحَ مما بِي ولِمْ سجعا

ومنا تسهيل الهمزة في افعل التفضيل. يقول[٣]:

وما خصلة قد تذل الرجال ... باسوا واخزىٰ من المسالة

تبقىٰ له خصائصه اللغوية في استخدام الالفاظ ومنها:

١ـ يجيد استخدام الفاظ الاعلام علىٰ كثرتها عنده في شعره،

٢ـ يجيد استخدام الالفاظ المعرّبة؛

٣ـ يجيد استخدام المشتقات ويكثر منها، وهذا من مصادر الطاقة الايحائية للالفاظ عنده.

التراكيب والأساليب

لانفاجا إذا عرفنا ان لغة ابي الاسود قد حازت اعجاب النقاد ـ بشروطهم ـ كما حازتْ اعجاب اللغويين والنحويين، فلاعجب في ذلك.

إذاً باديء ذي بدء، لاننسىٰ انَّ اباالاسود كان من قرّاء القرآن الكريم، بل هو الذي وضع ضبطه وتشكيله ونقطه، ولاننسى ايضاً انّه الواضع الأول لعلم النحو، مقياس العربية وقانونها.

---

١. المصدر السابق، ص١٥٩.

٢. الديوان: ص١٥٨.

٣. المصدر السابق، ص١٦٢.

ومعنىٰ ذلك كلّه أن يتوقع منه ـ في كلامه العادي ونثره الفني ولغته الشعرية ـ يتوقع منه التركيب الصحيح بل الفصيح وجودة السَّبك ومتانة البناء اللغوي، فلانجد لفظة قلقة في موضعها ولاتركيباً يبدو عليه التكلف وتصنع السبك، ولانجد تقديماً او تاخيراً الجاه الىٰ أحد منهما الوزن أو القافية.

بل نُحسُّ ـ ونحن نقرأ الديوان كلّه ـ ان اللغة طيّعة له تجري في يديه كالعجين ونُحسُّ بانّه هو مليكها، ولذلك جاءت تراكيبه اللغوية الشعرية ـ الىٰ جانب جودة سبكها ومتانة بنائها ـ سهلة ليّنة طبيعية يُخَيَّلُ اليك ـ لولا بعض الخصائص الشعرية الاخرىٰ ـ أنّها لغة نثرية عادية لكنها راقية، وبالجملة نرىٰ ان لغة ابي الأسود الدؤلي الشعرية من السهل الممتنع واكاد اقطع انَّ اللغة الشعرية لم تطاوع شاعراً مثلما طاوعت اباالأسود الدؤلي، ولاعجب في ذلك، فالاسباب قد تَهَيّاتْ له وطول المعاشرة والاحساس بالخوف عليها اولاً، والحنّو والعطف نحوها ثانياً، قد وجد كل ذلك لديه، فكان الثواب و ردّ الجميل انّها اسلمت لحيادها له وانصاعت له انصياعاً كاملاً.

لكن ـ والحق يقال ـ هناك بعض التراكيب النادرة التي جاءت في شعره مخالفة لِما هو مشهور في نحو العربية، ولعلّها احدىٰ الضرورات الشعرية التي تجوز لشاعرنا كما تجوز لغيره كثيراً، ومن أمثلتها قوله[1]:

جـزىٰ ربّه عن عـدي بن حـاتم　　　جزاء الكلاب العاويات وقد فَعَل

وينفرد اسلوب أبي الأسود الشعري اللغوي ببعض السمات، اهمها: كثرة الجمل الاعتراضية والشرطية والتوكيدية. وسوف نفرد كلاً منها بكلمة موجزة.

١ـ الجمل الاعتراضية

وسبب كثرة هذه الجمل فيما أرىٰ مايلي:

أ ـ إنّه رجلٌ عاقل متّزِن، يقول الشعر باحساسه وعاطفته، لكنّ عقله الراجح

---

١. الديوان، ص١٦٢.

ينقّحه ؛ انْ صحّ هذا التعبير .

ب ـ وهو رجل معلّم خبير في ايصال مايريد الىٰ سامعه بمنتهىٰ الدقة والشمول في الوقت نفسه .

ج ـ وهو رجل اشتغل بالقضاء زمناً ، فلايُحِبُّ ان يظلم أحداً ولاان يظلمه احد حتىٰ ولو بإساءةِ فَهْمِ جملةٍ شعريّةٍ .

د ـ وهو رجل دارت عليه الايام وتبدّل به الحال ، واعداؤه ـ او المخالفون له في الرأي ـ كثيرون جداً ، وهم يتربّصون به الدوائر ، ولم يَسْلَم مِنْ اذاهم أو علىٰ الأقلّ من غمزهم ولمزهم وجحودهم ونُكرانهم .

لهذه الاسباب ، كثرت في شعره الجُمَل الاعتراضية ، فهو يصطنع الاعتراضات ويورد القيود كلما دعت داعية ، واحسّ انَّ بالمقام الىٰ شيء منها حاجة لدفع احتمال او ردِّ شُبهة او تخصيص عام او تقييد مطلق ، وقد يطول الاعتراض فيباعد بين طرفي الكلام حتىٰ يحتاج في ربط أوله بآخره الىٰ فضل تأمُّل وأناة .

٢ـ الجمل الشرطية

وهذه كثيرة في شعره كذلك ، ولعلَّ السبب هو اشتغاله بالقضاء في أول حياته العملية ، ثم تبدَّل الحال عليه بعد ذلك ، فنجده في الاولىٰ يرتب الجزاء علىٰ الشرط ، ونجده في الثانية يخشىٰ فعل الشيء فينال جزاءه من المخالفين له المتربّصين به ، أو إنّه ـ كما حدث كثيراً ـ كان يطلب من الذين يشترط فيهم ردّ الجميل أو عرفان الصُّحبة ، فيكون الجزاء غير ذلك في غالب الأحيان .

٣ـ اساليب التوكيد

كَثُرتْ أساليب التوكيد ـ علىٰ اختلاف طرقها ـ في شعر أبي الأسود وتنوعت ، ومَرَدُّ ذلك في رأيي الىٰ أحد سببين او اليهما معا ، وهما :

أ ـ قوله الشعرَ كبيراً ، ومعنىٰ ذلك غلبة العقل فيه علىٰ العاطفة .

ب ـ أغراضه وفنونه الشعرية، مُعظَمها من الألوان التي تتطلب توكيدات كثيرة ليستقرَّ المعنىٰ في ذهن السامع أو القارئ.

٤ـ ندرة المحسنات

ندرة المحسنات البديعية، ماعدا الطباق والمقابلة، وهذا شيء طبيعي لشاعر قريب عهد بالبداوة وبعيد عن الحضارة العباسية بزخرفها وبهرجها.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثاني

فنون الشعر

المتصفّح للديوان يجد انّ أباالاسود الدؤلي قال في معظم الاغراض والفنون المعروفة لعهده، ولكن علىٰ تفاوت في القلة والكثرة بالطبع، غير انّا لانجد له شعراً في الغزل قليلاً أو كثيراً، ولعلّ الاسباب التي أدّتْ الىٰ ذلك هي:

١ـ لم يُعرف له شعر في صباه، ولكن الشعر الذي عُرِف له كان بعد ماأسلمه الشباب الىٰ الكهولة أو كاد، أي حين تحمّل مسؤولية الولد والزوج.

٢ـ صلته بالامام عليّ ﷺ، وقد كان من أهل ثقته وأصحاب المكانة عنده، والإمام عليّ ﷺ كان آخذ الناس بالجدّ والحزم وأبعدهم عن اللهو والعبث، ولم يكن يرضاهما لاحد، ولاسيّما الذين يتولون له عملاً.

٣ـ الاعمال التي وليها بعد ذلك كله كانت أعمالاً ذات بال تحمل أصحابها علىٰ التزام الوقار والجلال، وتصد في مثالها الاعلىٰ عن الانبساط للعبث واللهو والاستجابة لدواعي الصبابة والهوىٰ فلم تكن الاحوال إذن مؤاتية لشعر الغزل أن يكون له نصيب من شعر أبي الأسود، كما كان لغيره من سائر الفنون.

وتدور فنون شعره وأغراضه حول الحكم والنصائح والهجاء والعتاب والفخر

والمديح والرثاء والوصف والسياسة والاعتذار، وسوف نعرض لكل غرض على حده بكلمة موضحة وموجزة على قدر الامكان.

الحِكَم والنصائح

عاش أبو الاسود خمساً وثمانين سنة «تبدأ حوالي مطلع الاسلام، وتنتهي لعهد عبدالملك بن مروان»[١] ومعنى ذلك انّه قُدِّرَ له أن «يصاحب الدعوة المحمدية في ظهورها ونشوئها وفي نموها واكتمالها وأن يراها وهي تخرج من الجزيرة وتنطلق هنا وهناك فتناوى اليها اقطار وتدخل فيها امم ... ورأى المسلمين اخواناً متحابّين اخرج الاسلام اضغانهم والّف بين قلوبهم، ورآهم جميع وبأسهم شديد، ورآهم وقد تفرّقوا بعض الوقت شِيَعاً واحزاباً يكيد بعضهم لبعض ويضرب بعضهم بعضاً، حتى يطمع فيهم عدوّهم، لولا أن تدارك امرهم بعض الخلفاء فرأب الصدع وردّهم امة متماسكة»[٢].

كما أنه عاصر عدة نظم للحكم الاسلامي، وعايش فترتين متمايزتين، الاولى منها: كان معلماً فقاضياً فوالياً، والثانية: كان رجلاً ضد النظام الحاكم تخلّى عنه زملاؤه وأصدقاؤه، او بعضهم على الاقل، فرأى منهم ما رأى وجرَّب ما جرَّب في حياته.

كانت حياته الزوجية ـ على وفاقها وهدوئها ـ لم تَخْلُ من بعض المواقف والمنغصات، ثم هو رجل عالم لغوي وفقيه زاهد[٣] قاض وقارئ للقرآن ومعلّم وأستاذ يعلم الصبيان لِعُمر في البصرة والكبار في كل مكان ومن تلامذته ابْناهُ ابو حرب وعطاء وغيرهم، من مشاهير النحاة، ثم هو أديب وشاعر قال الشعر كبيراً.

لكل ماسبق نضج شعره بالحكمة وامتلأ بالنصائح، حتى جاء هذا الفنّ اوّل الفنون

---

١. علي النجدي ناصف، ابو الاسود الدؤلي، ص١٣.

٢. المصدر السابق: ص٦١.

٣. القاضي: الفرق الاسلامية ص٥٥٧.

عدداً من حيث الابيات، ولاعجب في ذلك، فهو المعلم اللبيب والناصح القريب من القلب والعقل، الحريص الملتزم، ومثّل الدين وآدابه، في صورة حديث الرسول ﷺ «الدّينُ النصيحة» وقوله: «المؤمنُ مِرآةُ اخيه» وتوّج هذا الجانب بقوله: «إنَّ مِنَ الشّعرِ لَحِكمة».

ويستمدّ ابوالاسود حكمه ونصائحه من تجارب الحياة وعبر الاحداث وآداب الدين، وهو يفردها بالنظم حيناً وينثرها في فنون شعره حيناً آخر ولايُلقيها ـ علىٰ الحالين ـ قضايا مرسلة او اوامر ونواهي مجرّدة، ولكنه يتّبع كل قضية يقولها وكل امر يامره ونهي ينهاه بعلله الموجبة وأسبابه المقتضية ليقنع به ويحمل عليه عن علم بجدواه، ومن ذلك قوله: يفضل العلم والادب علىٰ المال[١].

العلمُ زينٌ وتَشريفٌ لصاحبهِ ... فاطلب ـ هديتَ ـ فنونَ العلمِ والادَبا
لاخيرَ فيمنْ لهُ اصلٌ بلاادبٍ ... حتىٰ يكونَ علىٰ مازانهُ حدبًا

ويمضي يتحدث عن قدر العلم والادب وانّه يرفع اناساً لاحسب ولامال لهم، في حين انّ عدم توفرهما ـ العلم والادب ـ يجعل من صاحب الحسب والنسب والمال، ذنَباً بعد انْ كان آباؤه رؤوساً وسادة، كما انّه لاينسىٰ ان يحسم هذه القضية بحكمة رائعة وقول فصل، مؤدّاه انّ المال ينقص ويفنىٰ، لكن العلم يزداد دائماً، وانّ صاحب المال يعيش شقياً بماله وصاحب العلم مسرور به مغبوط به ابداً، وقوله ينصح بالمقاربة في الحب والبغض ويدعو الىٰ الاخذ بالحِلم في معاملة الناس والاغضاء عن اساءة المسيئين[٢]:

احبب إذا احببتَ حباً مقارباً ... فإنّك لاتدري متىٰ انتَ نازعُ
وابغِضْ إذا ابغضتَ بغضاً مقارباً ... فإنّكَ لاتدري متىٰ انتَ راجعُ
وكن معدناً للحلمِ واصفح عن الاذىٰ ... فانكَ راءٍ ـ ماعلمتَ ـ وسامع

---

١. الديوان، ص١٤٩، ص١٥٠.

٢. المصدر السابق، ص٨٠ وص٨١.

ونلاحظ علىٰ هذا الشعر انّ اباالاسودمتاثر فيه بقول الرسول ﷺ: «احبب حبيبك هوناًما، فعسىٰ أن يكون بغيضك يوماًما، وابغض بغيضك هوناًما، فعسىٰ ان يكون حبيبك يوماًما».

وقوله ينهي عن خُلف الوعد وخلط الحق بالباطل وعن التطوّع بكلام لايدعو اليه المقام، وعن الاستماع لكل مايقال[1]:

لايكُنْ برقُكَ برقاً خلبـا ... إنَّ خير البرق ماالغيث مَعَه

لاتَشوبنَّ بِحَقٍ باطلاً ... انَّ في الحق لذي الحق سَعَه

أكل الصمت إذا مالم تسل ... انَّ في الصمت لاقوام دَعَه

رُبَّ ماسن بحديث قاله ... لايضرُّ المرءَ انْ لايسمَعَه

وللنظر اليه وهو ينهي عن خُلف الوعد، فقد صنع من البرق في اخلافه وانجازه صورة رائعة تكشف في وضوح عن اثره في النفس انقباضاً وانبساطاً.

وقوله يحثُّ علىٰ العمل والاستمرار في المحاولة، الى ان يبلغ المرء غايته وآماله وينهي عن الكسل والاستسلام لكواذب الاماني والإحالة علىٰ القضاء والعذر، فانَّ ذلك خور العزيمة وتزايل الهمة وخطل الراي، وكفىٰ بذلك خسراناً ووبالاً.

يقول[2]:

وماطلبُ المعيشة بالتمنّي ... ولكن الْقِ دلوَك في الدّلاءِ

تجئك بملئها طوراً وطوراً ... تجئك بِحَمْاةٍ وقليل ماءِ

ولاتقعد علىٰ كَسَلِ التَمنّي ... تُحيلُ علىٰ المقادرِ والقضاءِ

وأبو الاسود يقوم اعوجاجاً في تفكير بعض الكسالىٰ والمتواكلين ممن يدّعون التديّن والاخذ بالتوكُّل علىٰ الله في الامر كله، فهو يرىٰ أن ليس اصلح للامر ولااحكم للراي من التّصدّي للحقيقة واخذ الأهْبة لها ومعالجة شؤون الحياة علىٰ نور منها، ولاسيَّما

---

١. الديوان، ص٦٤.

٢. المصدر السابق، ص١٢٦.

شؤون الكسب والمعاش.

والصورة التي يرسمها للدعوة الىٰ العمل والدأب عليه صورة محكمة رائعة، وإنّها مع ذلك لتزخر بالحركة والحياة وتفيض بالمشاعر التي تتوارد علىٰ نفس العامل الجادّ من اليأس والرجاء والانقباض والانبساط، وقد افاد شوقي من البيت الاول في قوله:

ومــــانيل المطالب بالتـــــمنّي ... ولكنْ تُؤخـــــذ الدنيـــــا غِلابا

ولاتخلو حِكَمه ونصائحه من لمحات نفسية، وخطرات فلسفية، هدىٰ اليها بفطرته السليمة الصحيحة ونظرته الثاقبة في أحوال الناس والحياة، كقوله يشرح مأتيّ الحسد وسرّ عداوة الحاسد للمحسود، ويضرب مثلاً لهما: تقوّل الضرائر علىٰ ضرتهن الاثيرة الحسناء[1]:

حسدوا الفتىٰ إذْ لم ينالوا سعيه ... فالقـوم اعـداءٌ لهُ وخـصـومُ

كضرائرِ الحسناءِ قُلنَ لوجهِها ... حســـداً وبغـيــاً: إنّهُ لـذميمُ

وقوله يوصي بالصراحة، ويعلن ان العاقبة للحقيقة وحدها، وانّها قد تتوارىٰ خلف ستار من التصنّع، ولكن الىٰ حين[2]:

إذا المرءُ لم يُحـبـبك الاّ تكرّهاً ... بدا لك من اخلاقهِ مايُغالِب

وقوله يشير الىٰ سلطان العادة واثر مخالفتها في النفس وانّه عليها شديد ولها موجع[3]:

لاتهنّي بعـــدمـــا اكـرمــتني ... فـشـــديد عـــادة منتـــزعـــه

وقوله يذكر انّ الطبع غلاّب وانّ المرء نازع اليه ونازل علىٰ حكمه حيثما كان[4]:

كلّ امرىءٍ صائر يوماً لشيمتهِ ... في كلّ منزلة يُبلىٰ بهـــا الرّجل

---

١. الديوان، ص١٦٥.
٢. المصدر السابق، ص١٠١.
٣. المصدر السابق، ص٦٤.
٤. المصدر السابق، ص٤٤.

وقد ينفد صبره وتعيا حيله بما يلقىٰ من لؤم اللئام وأذىٰ الأراذل، حتىٰ يجحد القيم الفاضلة وينقلب ثائراً متمرداً يؤدب بآداب الجاهلية في المعاملة والسلوك، يقول[١]:

إذا كُنتَ مَظلوماً فلاتُلفَ راضِياً عن القومِ حتّىٰ تأخُذَ النَصفَ واغضبِ
فإنْ كنتَ أنتَ الظالمُ القومِ فاطرْ مقالتهُم واشْغَب بهم كُلَّ مَشغبِ
وقارب بذي جهلٍ وباعدْ بعالمٍ جلوب عليكَ الحقّ من كلِّ مَجْلبِ
فانْ حَدبوا فاقْعس وإن هم تقاعسوا ليستمكنوا مما وراك فاحدبِ

ومن الحِكمَة أنْ تأخذ حقَّك من الظالم ولاتتنازل ولاتتقاعس عن حقوقك، فالسيف والكرّ هو طريقك الىٰ أخذ الثّارِ، فهي حكمة رائعة وبليغة.

الهجاء

لايعيّر ابوالاسود في هجائه بعاهة ولايقذف بفاحشة ولايجهر بإثم وماهو الأ زراية علىٰ المهجو او انتقاص ينتقصه به في نفسه ورأيه، اي انّه ينظر في المهجو نظرة فاحصٍ ينقد أعماله وصفاته فيأخذ منها مايعيبه ويقلل من قَدْره فيذكره ويأخذه به.

ولعلَّ السبب في ذلك هو ورعه وتقواه وحلمه وعلمه، فهو الشاعر المحدِّث الأمير النحوي الزاهد[٢] وذلك لمعاشرته لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالاضافة الىٰ تأدّبه بآداب القرآن الكريم.

علىٰ سبيل المثال، فهو يهجو[٣] رجلاً من بني تيم اللات بالجهل والحقد والخبل واغتياب الناس وسعيه بينهم بالنميمة والخنا.

ولايفوته أن يبرز هجاءه في صور بلاغية رائعة، ولاينسىٰ أيضاً أنْ يستعين ببعض الصور القرآنية مثل صورة المغتاب الذي يصوّره القرآن بانّه ياكل لحم اخيه ميتاً، يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ياأيُّها الّذين آمَنُوا اجتَنِبُوا كَثيراً من الظنّ إنَّ بعضَ الظّنِّ إثمٌ

١. الديوان، ص٣٤ وص ١٩٧؛ الاصفهاني، الاغاني ج١٢، ص٣٠٧؛ الحموي، معجم الادباء، ص١٢ و٣٧.
٢. الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٥٧.
٣. الديوان، ص٢٨ و ص٢٩.

ولاتجسّسُوا ولايَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ايُحِبُّ احَدُكُمْ انْ يأكُلَ لَحْمَ اخيه مَيْتاً فكَرِهْتُمُوهُ، واتَّقُوا اللّهَ إنَّ اللّهَ توّابٌ رَحِيمٌ﴾[١].

فصاغ هذه الصورة في بيتين من شعره، يقول:

وحبَّ لحـوم النّاس اكـثـر زاده كـثـيـر الخَنا بعـدَ المحـالة همـاس
تركـتُ له لحـمي وابقـيتُ لحـمَهُ لمن نابَهُ مـن حـاضـرِ الجنِّ والناسِ

والظاهر انَّ الدؤلي لايهـاب الظالم، بل ولابطش الجبابرة ولـه ذهنية متفتّحة مع الاحداث التي في المجتمع، فلم يجلس مكتوف اليدين، بل شَمَّرَ ساعديه مهدّداً ومندّداً لِبَني أمية واعمالهم الشريرة وقال:

صَبَغَتْ أُمَـيَّةُ بِالدّمـاء اكـفُّهـا وَطَوَتْ امـيّةُ دوننـا دنيـانـا[٢]

فنراه يصنع صورة من المجرم المتلبس بدماء الجريمة، وظليمة هـذا الشعب أو لسانه وحصر الحياة وترفها وزخرفها الىٰ هذا البيت فقط وكبت نفوس المجتمع الإسلامي.

ونراه في موقف آخر امام بيوت الطواغيت كالطود الشامخ في إزالة ملك بني زياد قائلاً:

اقـولُ وزادَني غـضـبـاً وغـيظاً ازالَ الـلّهُ مُلـك بَنِي زِيَادِ[٣]

ونعلم إنَّ[٤] زياد بن ابي سفيان شرير ولايشرع إلاّ بالشرّ وهي صفة مستأصلة فيه منذ شبابه، وانّه احمق وبخيل وسيّئ الظن بالناس، كثير النهش في لحومهم، وشَرِهٌ دائماً، يصل الناس عن طريق يده ولسانه.

ويهجوه أيضاً[٥] بِانّه سبّابٌ سبّاقٌ الىٰ السّبّ والقذف، غدّار، وهذه هي عادته وشيمته المتاصلة فيه.

---

١. الحجرات (٤٩) الآية ١٢.

٢. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٤١.

٣. الدجيلي، الديوان، ص٢٤١ الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٦١.

٤. الاصفهاني، الاغاني، ج١١، ص١٠٨؛ الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٦١.

٥. الدجيلي، الديوان، ص٤٤.

ومن هجائه لزياد قوله:

كُل امْرِيءٍ صائرٌ يوماً لـشيـمتـه ... في كلٌ منزلةٍ يُبْلىٰ بهـا الرجل[١]

فذهب الشاعر الىٰ شيمة الرجل وأصله، فيحاسبه من ذلك الجانب الذي يرجع اليه زياد واعماله من ذلك الأصل النجس، فنلاحظ الشاعر لايهجوه بِاقْذَع الالفاظ بل بالفاظ ظاهرها جميل ولو فسرّتها لـوجدته يتحدّث عن الشجرة التي تفرع منها زياد، ويحلل نفسه بمفتاح الشخصية، أو الصفة الاساسية التي يمكن ارجاع كل تصرفات الانسان اليها، ومن الصور المتكررة في هجائه هذا، نجد صورة المغتاب الذي يأكل لحوم الناس وهذه صورة ـ كما سبق أن قلنا ـ منتزعة من ثقافته القرآنية، فقد وردت في سورة الحجرات.

ويهجو[٢] حوثرة بن سليم بالنسيان للاصدقاء وأنّه يملّ تعاشرهم وأنّه غير حازم وضالّ يضلّ من يعاشره ويفتح عليه باب الغواية، وهجاه ايضاً بالدّناءة والخسّة والجشع وانّه يخلط الحق بالباطل وانّه يحبّ أنْ يأخذ ولا يعطي[٣].

وقال يهجو وثاق بن جابر بالمخادعة والطمع[٤]، كما يهجو اوس بن عامر بالخداع والطمع[٥]، وهنا نلاحظ أيضاً تكراره للمعاني.

ويمكننا الدفاع عنه في هذه الموطن بانَّ هذا التكرار في المعاني لايُعَدُّ عنده عيباً شعرياً، لأنَّ الرجلَ كان قد رسم صورة مثالية للرجل المسلم فاذا خالفها أحد تناوله بالهجاء، وكانت هناك عدة صفات ذميمة لاتعجبه في الرجال فيهجوهم بها، ومنها الخداع والمكر والطمع، لأنَّها صفات تطعن الرجل في مرؤته.

وهجا الحارث بن خليد بانّه حادّ اللسان احمق، وانَّ عِوَجَه لايقوّم، وانّه كذوب

١. الاصفهاني، الاغاني، ج ١١، ص١٠٨، الدجيلي، الديوان، ص٤٤؛ الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٦١.

٢. الديوان، ص٥٢.

٣. المصدر السابق، ص٦٢ ـ ٦٣.

٤. المصدر السابق، ص٥٢ و٥٤.

٥. المصدر السابق، ص٥٤ ـ ٥٥.

الحديث جاهل يتكلف من الحركات مايوهم الناس بأنّه عالم، وماهو بعالم[1].

وهجا جاراً له من بني حلس بن يعمر[2]، وقد اضطر الىٰ بيع داره لئلاّيجاوره، هجاه بالظلم وعدم رعاية حقوق الجار والكذب والافتراء حتىٰ علىٰ الله، وانّه مولىٰ سوء وكثير المنّ، قليل العطاء، والقرب منه شرّ ومصيبة، وانّه خلا من الصفات الاسلامية الاصيلة، وانّه قاطع الرحم.

ونلاحظ علىٰ هجائه السابق للحارث بن خليد وابي سليم الحلسي، انّه مشوب بالفخر كثيراً، وهذا اسلوب فني رائع وبليغ المراد ويزيد حيث انه يريد ان يثبت لنا ـ وللمهجوّ ـ انّه لايهجو بصفة وهو مُرتكب لها او متّصف بها، وإنّما يهجو من مركز قوة ـ إذا صحّ هذا التعبير ـ وكانّه يطبق قوله الشهير:

لاتنْهَ عن خُلُقٍ وتَأتِيَ مِثلهُ ... عارٌ عليكَ إذا فَعلْتَ عَظيمُ

ولذلك يجيء هجاؤه قوياً مؤثراً، يزيد في ذلك انّه لايعيّر ولايقذع ولايفحش، وقوله يذمّ الشباب وياسىٰ لانّه صحبه دون ان يخبره، فكان انْ جَني عليه ثمّ تخلّىٰ عنه، فهو يشيعه[3] بالملامة والذم، ويصفه بالجار المفارق الذي ودّعه الشاعر وهو يذمّه بعد انْ تخلّىٰ عنه وجنىٰ عليه، وهو قد باع شبابه بِغَبْنٍ فاحشٍ ونلاحظ علىٰ هجائه للشباب رنّةَ الحسرة والندم علىٰ مافاته في شبابه، ونظراً لتفرّدِ رأيهِ في الشباب وهجائه ـ لاتحسّره ـ له، نُورد الأبيات، يقول:

غَدا منكَ في الدُنيا الشبابِ فاسْرَعا ... وكانَ كجارٍ بانَ يوماً فَوَدَّعا

فقلتُ لهُ فاذْهَبْ ذَميماً فَليتني ... قَتَلْتُك علماً قبلَ أن تتصدَّعا

جنيتَ عليّ الذنب ثم خَذَلْتَنِي ... عليه فَبِئسَ الخِلّتان هما معا

وكُنتُ سَراباً واضحاً إذْ تَركتَني ... رهينةَ ماجْنَي من الشرّ اجْمَعا

ويقول:

---

١ . الديوان، ص٧٢ـ ص٧٥ وص٧٧.

٢ . المصدر السابق، ص٨٩ـ ٩٢.

٣ . المصدر السابق، ص١٣٤ و١٣٥.

بانَ الشبابُ كبين الهالك المودي — وعرد الجهلُ عنّي اي تعريدِ
بعتُ الشبابَ بشيب بيعة غبناً — يالك بيعاً حراماً غيرَ مردودِ
إنّي اطالبه في الناسِ أنشده — ياحبّذا منْ مُضِلٌ غيرَ موجودِ
اما ترىٰ لِمتّي شابتْ وزايلها — نضج الصبا وطلاب الفتية الغيدِ
فقد أراها كمثلِ الليلِ فاحمةً — وحفا غدافية مثلَ العناقيدِ
تُسبي الغواني ماتنفكّ غانية — تعطو إليها بضافٍ لِيِّنَ الجيدِ

ويُخيّلُ إليّ أن هذا الراي الذي يراه في الشباب لايعدو ان يكون صورة اخرىٰ من صور تشاؤمه وسخطه علىٰ الحياة التي صار اليها في شيخوخته، فاصبح مضيّعاً لايبالي به احد ولايرغب فيه أحد، فكل شيء عنده بغيض، سواء مامضىٰ عنه ومالايزال حاضراً معه، واعتقد ان لوكان في شيخوخته كما كان في شبابه مصون الكرامة ملحوظ المنزلة لكان له في الشباب رأي غير هذا الراي، ولتحدّث عنه حديث العرفان له والحنين اليه كما صنع ويصنع الكثير من الشعراء.

وهناك نوع من الهجاء لديه يبدو أنّه أقرب الىٰ التّهكُّمِ والدعابة وهو يكشف عن ظرفه وخفّة ظِلّه، فقد قال يخاطب زوجته[١]:

مرحباً بالّتي تجورُ علينا — ثم اهلاً بحاملٍ محمولِ
اغلقتْ بابَها عليّ وقالتْ — إنَّ خيرَ النساءِ ذاتُ البعولِ
شغلتْ قلبَها عليَّ فراغاً — هل سمعتُم بفارغٍ مشغولِ

ويبدو هذا الشعر من نوادر الهجاء، حيث يبرز الهجاء والتهكّم في صورة المدح والاعجاب، مع لمحات من الدعابةالخفيفة، ويمكن أنْ يكون من حسنِ التوجيه.

وركب «فيل»[٢] مولىٰ زيادبن أبيه وحاجبه يوماً، ومعه أبوالاسود الدؤلي، وكان «فيل» علىٰ برذون هملاج، فقال:

---

١. الديوان، ص١٦٢.

٢. المصدر السابق، ص١٦٤.

لعمرِ أبيك ما حمامُ كسرىٰ علىٰ الثُلثين من حمامِ فيلِ

فقال أبو الأسود:

ولا إرقاصُنا خلف الموالي بِسنَّتِنا علىٰ عهد الرسول

العتاب

نلاحظ ان اباالأسود لايعنف في عتبه ولا يلين «ولكنَّه يتخذ بين ذلك طريقاً، كانّه لايريد أن يكون العتب ثورة غاضب او نقمة ساخط والاّ كانت القطيعة اجمل وفيها راحة منه وبديل، كذلك لايريد أن يكون استسلام ضعيف يتخشع أو استرضاء ماكر يتكلّف والاّ كان عجزاً أو نفاقاً»[١] وهو في كل هذا الرجل المعلم والقاضي النزيه والعاقل المجرب، الذي يعذر الناس في أخلاقهم وصفاتهم و طبائعهم.

ونحن إذا تَصَفَّحْنا شعره في العتاب، وجدناه يدور علىٰ تنكُّرِ اصدقائه له، بعدما جرت الأيام نحساً عليه وسعداً لهم، فإذا هم بين متعاظمٍ يتكلف في نظرات عينيه ونبرات صوته ظواهر كبرياء كاذبة وسلطان مصنوع، ومداهن يَبُشُّ في وجهه ويتودّد اليه، ثم هو يمسك عن برّه ولا يرعىٰ حق الصداقة عليه، اجتمعا علىٰ مجافاة الرجل والزهد في صداقته لإدبار الدنيا عنه، واختار كل ذلك للتعبير عن أسلوب المعاملة الذي يرتضيه ويؤثره علىٰ ماسواه.

وإذا حاولنا احصاء من عاتبهم والعلاقة التي كانت تربطه بهم، وجدناهم مابين أمير او وال من الولاة، تنكّر له بعد انقلاب الحال وزوال حكم الخلفاء الراشدين ومجيء حكم الأمويين، كما يبدو ذلك في عتابه لزياد ابن ابي سفيان[٢] وعتاب عبيدالله بن زياد[٣]، او بين صديق ائتمنه علىٰ سرّ من الاسرار ولكن هذا الصديق أفشىٰ السر فعاتبه

١. علي النجدي ناصف، ابوالاسود الدؤلي.

٢. الديوان، ص٤٥، ٤٨ـ٥٠.

٣. المصدر السابق، ص١١٢.

عتاباً رقيقاً[١]، وقد يغضب من زوجته أو عليها فيعاتبها عتاباً رقيقاً حيناً أو يتهكم عليها ـ في عتابه ـ أحياناً[٢]، قد يعاتب أحد أقاربه مبقياً عليه ومراعياً صلة الرحم واواصر القرابة التي بينهما، وكانت هذه المعاتبة لابن عمٍّ له[٣]، او لرجل من قومه[٤]، أو ابن أخيه[٥]، وقد تكون المعاتبة لشاعر صديق له، وهوأبو الجارود[٦].

لنا صاحب لاكليل اللسان ... فيصمت عنا ولاصارم

وشرّ الرجال علىٰ اهله ... واصحابهِ الحمق العارم

والذي نلاحظ عليه في عتابه ـ بالاضافة الىٰ ماسبق ـ أنّه يعقب العتاب بالفخر أحياناً[٧]، وقد يعقبه بالنصح والارشاد والحِكَم احياناً اخرىٰ[٨]، وقد نقرا له مقطوعات في العتاب فقط[٩] وهو يؤثر انْ يجعل عتابه علىٰ صورة رسالة يحملها الىٰ صاحبه، رسول عنه، فيقول في عتاب أبي الجارود الشاعر:

ابلغْ أباالجارود عنّي رسالة ... افي كُلِّ قولٍ انت آخذُ[١٠]

تُوَقِّذُ قولي كي تُوله حاجتي ... وبعض الكلام للكلام مواقذُ

أمنكَ قوافٍ قد أتتني كأنّها ... إذا صابت المرء، القرار النوافذُ

علىٰ غير شيء، غير أني معاتب ... وذلك امرُ سُنّةُ اللّهِ نافذُ

ويقول في عتاب الحصين بن ابي الحرّ العنبري عامل عبيدالله بن زياد

---

١. الديوان، ص٢١ و٣٢.

٢. المصدر السابق، ص١٠٢ ـ ص١٠٧.

٣. المصدر السابق، ص١١٢، ١١٤ ـ ١١٥ و١٤٣.

٤. المصدر السابق، ص١٢٥.

٥. المصدر السابق، ص١٣٣، انظر: الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٦٠.

٦. المصدر السابق، ص٦٥ ـ ٦٧.

٧. المصدر السابق، ص٤٥، ٦٧، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧ و١١٦.

٨. المصدر السابق، ص٢١، ٣٢، ٨٢ و٨٤.

٩. المصدرالسابق، ص٦٥، ٦٦، ١٢٥، ١٣٣، ١٥٩ و١٦٠.

١٠. في الديوان قصيدة اخرىٰ له:

أبلغ أبا الجارود عنّي رسالة ... يروح الماشي لقاءك او يغدو

عليٰ ميسان[1] :

الا ابلغـا عنّي حُصَيْناً رسـالـةً ... فـانّك قد قطّعْتَ اخـرىٰ خـلالكا

رايت زمـانـاً قَطّعَ الناسُ بينهم ... يُرىٰ الحقُّ فـيـه فـاقـتـديتُ بـذلكا

فلو كنتُ إذْخـبِّرتُ انّك عـامـلٌ ... بميسان تعطي الناسَ من غيرِ مالكا

سـالتك او عـرَّضت بـالودِّ بَيننا ... لقد كـان حقّاً واجباً بعضُ ذالكا

وخـبِّرني منْ كنتُ ارسلتُ انَّمـا ... اخذتَ كتابي مُعرِضاً بشمالكا

والذي أراه من هذا الاسلوب الجديد في العتاب، أنّه ربّما لم يرد ان يواجه بنفسه الذي يعاتبه، فاختار هذه الوسيلة الفنية تخفيفاً من حدّة المواجهة بينه وبين من يعاتبه، بذلك يبدو لايريد انْ يحطِّمَ خطَّ العودة له ومن جهة يبغي إلفات نظر صاحبه في اخطائه وهفواته، ويذكّره بايام الاخوّة والصداقة التي دارتْ بينهما وماكان بينهما من حقوق وواجبات، والآن عندما صعدت الىٰ كرسي الدولة ودارالظرف علي فرسمت لك هذه الرسالة، فالحق هو انْ تعرض وجهك عنها؛ هل هذه هي الأخوّة؟

الفخر

«يطيب لبعض الشعراء في الفخر أن ينحلوا أنفسهم من المحامد ماليس فيها أو يغلوا قليلاً أو كثيراً في تصوير ماعسىٰ ان يكون لديهم منها، فاذا فخرهم كلّه أو بعضه لايصور واقعاً، أو لايتحرّىٰ في تصويره صِدقاً ولاقصداً، وإذا الامر أو بعضه لايعدو ان يكون وَهم واهمٍ أو أمنيةَ متمنٍّ يزجيها في معرض من الشعر الملفق المصنوع لتدارك نقص أو ستر عيب أواستماضة من فائت، وماهو لو علم ببالغٍ مما يحاول

---

١ . الديوان، ص٨١، ويقول في مقطوعة اخرىٰ (ص٨٣):

الا ابلغـا عنّي حـصـيناً رسـالـة ... فـانّك مـردود عليك خـلالكا

وقال في اخرىٰ:

ابلغ حـصـيناً إذا جـئـتـه ... جـواباً ومـوعظة لك فـيـهـا

مارباً، فالحق بَيّنٌ وللكذب أمارات تدلّ عليه ولـلناس عيـون تنظر وعقـول تفهم وتقـدر وتحكم»[١].

ونحن إذ ننظر في فخر أبي الأسـود لانراه واهماً فيه ولامغالياً، فالاوصاف التي يصف بها نفسه ليست ممّا يعزّ اتّصاف العربي بها علىٰ نحو ما، كما اننا نلاحظ: «انّ اباالاسود لايفخر بنسب ولايكاثر بمال أو ولد، وإنْ كانت العصبية الجاهلية لتثور من حوله في الفينة بعد الفينة؛ هَوْجاء عمياء، حماه منها عقله الراجح ونظره الصحيح وايمانه الراسخ، فلم نر لها في فخره أثراً ولاسَمِعْنا عنها خبراً»[٢].

والأوصاف التي اتّصف بها في فخره، كلها تدور حول الاخلاق الاسلامية والصفات العربية التي لم يذّمها الاسلام ولم ينْهَ عنها، ولعلّ السبب في ذلك راجع الى حسن اسلامه وملازمته للخلفاء والصحابة المخلصين، يضاف الىٰ ذلك طول صحبته للقرآن الكريم وللامام علي عليه السلام.

ونحن إذا تصفّحْنا شعره في الفخر وجدناه يدور[٣] حول عفّة النفس وكثرة تجاربه في الحياة، يقول:

وبلوت أخلاق الرجال وفعلهم | فشبعت علماً منهم وتجاربا

وانه ليس اِمَّعَة يجاري الناس في غيّهم وضلالهم وإنّما يسير وفق تعاليم الدين ومبادىء الاخلاق، ويفتخر كذلك بوفائه للعهد، بل يصل درجة عالية من وفائه بالعهد، كما انّه حازم ومُعرض عن نزوات الدنيا الزائلة.

وهو في فخره هذا يزينه بتأثّره بروح الدين الاسلامي وأسلوب القرآن الكريم، ويظهر ذلك في قوله[٤]:

وإذا فعلتَ، فعلتَ غير محاسب | وكفىٰ بربّك جازياً ومحاسبا

لااشتري الحمدَ القليلَ بقاؤه | يوماً بذم الدهرِ اجمع واصبا

---

١ و ٢. الاستاذ علي النجدي ناصف، ابوالاسود الدؤلي.

٣. الديوان، ص٣٧.

٤. نفس المصدر، ص٤٦ و٤٧.

كما أنّه يفخر بأنّه ثابت علىٰ المبدأ لايَتَلَوَّنُ كغول الليل ، وليس خبيثاً غَشّاشاً سيِّء الظنّ بالناس وليس منافقاً ولاكذّاباً ولاعديم الخير ، ثم هو معروف بين الناس جميعاً بصفاته الحميدة :

وانّي ليثنين عن الجهل والخنا | وعن شتم ذي القربىٰ خلائق اربعُ
حياء واسلام وتقوىٰ[١] وإنّني | كريم، ومثلي قد يضرّ وينفع
وشتّان مابيني وبينك، إنّني | علىٰ كلّ حالٍ أستقيم وتظلعُ

ويلاحظ أنه يسوق فخره هذا في عبارة رصينة قوية السَّبك متينة البناء والفاظها فصيحة جزلة ، كما أنّه أبدع تصوير ، سواء ماكان من تصوير النفس أم الحسّ.

ويبدو أنّه في هذه الأبيات يغمز الذين تَحولّوا تبعاً لِتَحوُّلِ الحكم وتلوَّنوا مع الأيام ، أمّا هو فثابت علىٰ المبدأ والعقيدة .

ونجده يفتخر كذلك[٢] بشدة كرمه وانه يطعم من المال الحلال الذي يشبع صاحبه وانّه لايشرب الخمر ولايفعل مايغضب اللّه وإنّما يشرب الحلال من العسل واللبن وهما شرابان لايغضبان اللّه ولايستوجبان الحدّ .

كما يفتخر[٣] بالبراءة في النصح للّه وانه مسلم وذو قرابة وقوي علىٰ الأعداء وهو شاعر مُفلق، قصائده جيدة .

ويفتخر[٤] بالكرم والطهر من الغدر والتسامي الىٰ العلياء وإجادة قول الشعر وعدم الضعف فيه وانّه عَفُوٌّ حليم، يتجاوز عن سيئات المسيئين ، وانّه عفيف اللسان واليد .

ونلاحظ أنه عندما افتخر بقوله الشعر ذكر مصطلحين من مصطلحات علم العروض وهما الإقواء والإسناد ، وهذان عيبان من عيوب القافية والوزن ، فهل هو أول من ذكر هذين المصطلحين أم لا؟ عموماً ، فالذي أميل اليه إنّني لااستبعد ذلك ، فالرجل

---

١ . تقيا .

٢ . الديوان، ص٥٠ ، ص٥١ .

٣ . الديوان، ص٦٨ .

٤ . المصدر السابق، ص٧٠ و٧١ .

له أوليات كثيرة في علوم الدين والعربية وله آراء صوتية وتربوية مازالت تسبق حتىٰ زماننا هذا، وهذا البيت هو[1]:

وشاعرُ سوءٍ يهضُم القولَ كلهُ　　إذا قالَ أقوىٰ مايقولُ وأسندا

كما أنَّ اباالاسود يبدو هنا «في معاملة من لم يحمد دخيلة نفوسهم، معلّماً شفيقاً يؤثر الرحمة والبُقْيا علىٰ الشدة والاضاعة فانهم منه بمنزلة الأبناء من الآباء ولهم عليه حق التسامح والاغضاء في الاساءة وحين الزلل أو يبدو علىٰ وجه آخر قاضياً حكيماً، يقدر ظروف الحال ويجعل لها مكاناً فيما يرىٰ من راي ومايحكم من حكم»[2].

ويفخر في موضع آخر[3] بقوّته وشجاعته ويفخر كذلك بقومه، كما يفخر[4] بعفّته ـ مرة ثانية ـ وحسن أدبه، وأنّ ذلك سببه الحياء والاسلام والتقوىٰ والكرم، كما يفخر باستقامته وعفوه عند المقدرة.

كما يفخر[5] ـ مرّة ثانية أيضاً ـ بقوته في قوله الشعر وأنه لايجاريه فيه احد وأنَّ شعره خالد، لما يحمل من فصاحة كلام وذوبة ذوق وحباكة الفاظ وبلاغتها، فهو محكم الصُّنع وفنّان صادق العقيدة، ويقول:

وشاعر سوء غرّه أن ترادفت　　له المعجمون القول أنك شاعرُ
عطفتَ عليهِ مرةً فتركتهُ　　لِمَا كانَ يرضىٰ قبلَها وهو حاقرُ
بقافيةٍ حذاءَ سهلٍ رويّها　　كسرد الصَناعِ ليسَ فيهِ تواترُ
نَطقتُ ولم يَعجز علىٰ رويّها　　وللقولِ أبواب ترىٰ ومحاضرُ
يَعدِي بها عن عينهِ وهو ناعسٌ　　إذا انتصفَ الليلُ المُكل المسافرُ
إذا مَاقضاها عادَ فيها كأنّهُ　　لـلذّته سكرانٌ أو مُتساكرُ

---

١. المصدر السابق، ص ٧٠.
٢. علي النجدي ناصف، ابوالاسود الدؤلي.
٣. الديوان، ص ٧٠، ص ٧٦.
٤. المصدر السابق، ص ٩١.
٥. المصدر السابق، ص ٩٠ و ٩٦.

ونلاحظ شاعرنا لاينطق من لسانه بل يخرج الكلام من اعماق قلبه، فهو نافذ الىٰ قلب المستمع؛ فهذه قدرة وملكة كلامية مع عقيدة وهّاجة فيقول:

فــإنَّ لســاني ليس أهوَن وقــعَهُ　　　واصغـر آثاراً من النحتِ بالفاسِ

الرثاء

شعر الرثاء في ديوان أبي الاسود شعر متعلق بعقيدته، فهو صاغ هذا الفن من الشعر صياغة وِلائيّة، حدّدها بأهل البيت وتظهر فيه عاطفته الصادقة، وحبّه الشديد لهم، ونلاحظ الشاعر خطّ في الرثاء طريق الشارع الاسلامي، فيُظهر من المرثى صفاته من زهد وورع وتقوىٰ وغيرها، واعماله التي خدم بها الدين، ونلاحظ التجديد طرأ علىٰ الاسلوب والمعنىٰ في شعر صدر الاسلام عن شعر الرثاء الجاهلي حيث «كان من عادة القدماء[١] أنْ يضربوا الامثال في المراثي بالملوك الاعزّة والأمم والسالفة والوعول الممنعة في قلل الجبال، والأسُود الحاضرة في الفيافي، وحُمُر الوحش المتصرفة بين القفار، والنسور والعقبان والحيّات ولبَاسِها وطول اعمارها، وذلك في أشعارهم كثير، موجود لايكاد يخلو منه شعر» فاندثر كل ذلك في عصر صدر الاسلام، نلاحظ الدؤلي في رثاء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول:

ألا ياعينُ ويحكِ فاسعدينا　　　ألا فابكي أميرَ المؤمنينا
رُزِئنا خيرَ مَنْ ركبَ المطايا　　　وفارسَها ومَنْ ركبَ السَّفينا
ومَنْ لبس النِّعالَ ومَنْ حذاها　　　ومَنْ قرأ المثاني والمثينا
فكلُّ مَناقبِ الخيراتِ فيهِ　　　وحبُّ رسولِ ربِّ العالمينا
وكنّا قبلَ مقتله بخيرٍ　　　نرىٰ مولىٰ رسولِ اللّهِ فينا
يُقيمُ الدينَ لايرتابُ فيه　　　ويقضي بالفرائضِ مُستبينا
ويدعو للجماعةِ مَن عصاهُ　　　وينهكُ قطعَ أيدي السارقينا

---

١. القيرواني، العمدة، ج٢، ص١٣١.

وليسَ بكاتمٍ علماً لديهِ | ولم يُخلَقْ مِنَ المتجبّرينا
الا ابلغْ معاويةَ بنَ حربٍ | فلاقرّتْ عيونُ الشامتينا
أفي شهرِ الصيامِ فجعتمونا | بخيرِ الناسِ طرّاً اجمعينا
ومن بعدِ النبيِّ فخيرُ نفسٍ | ابوحسنٍ وخيرُ الصالحينا
لقد علمتْ قريشٌ حيثُ كانت | بِانّكَ خيرُها حَسَباً ودينا
إذا استقبلتَ وجهَ ابي حُسينٍ | رايتَ البدرَ راقَ الناظرينا
كأنَّ الناسَ إذْ فقدوا علياً | نعامٌ جالَ في بلدٍ سنينا
فلاوالله لاانسىٰ علياً | وحسنَ صلاتِهِ في الراكعينا
وتبكي أمُّ كلثومٍ عليهِ | بِعَبْرَتِها وقد راتِ اليقينا[1]

وتُظهر هذه المقطوعة ببعض صفات الإمام من زهد وورع، ومكانته العلمية والاجتماعية في المسلمين.

وهذه قصيدة اخرىٰ في رثاء شهداء كربلاء المقدّسة، وهم الحسين عليه السلام وبنوه ومن كان معه من عائلته واصحابه، فقد حزن الشاعر حزناً شديداً عليه، وقال:

اقول لعاذلتي مرة | وكانت علىٰ ودِّنا قائمه[2]
إذا انتِ لمْ تُبصري ماأرىٰ | فَبيْني وانتِ لنا صارِمَه
الستِ تَرَين بني هاشمٍ | قد افنتهم الفئة الظالمه

وأضاف لهذا الحدث العظيم الذي حدث يوم كربلاء من قتل الحسين واولاده علىٰ يد الطغمة الظالمة، وذلك يوم العاشر من محرم سنة ٦١ هـ. وله في ذلك كثير من الشعر مثل قوله:

ياناعيَ الدينِ الذي ينعىٰ التقىٰ | قُمْ وانعَهُ والبيتَ ذا الاستارِ
أبكي علىٰ آل بيت محمدٍ | بالطفِّ تقتلهم جُفاةُ نِزارِ

---

١. الامين، اعيان الشيعة، ج٧، ص٤٠٣.
٢. الدجيلي، الديوان، ص ١٢٢ و ١٢٣.

سبحان ذي العرشِ العليِّ مكانةً   انّىٰ يكابرهُ ذوو الأوزارِ[1]

نلاحظ من هذه المقطوعة كيف تظهر عقيدة الشاعر بأهل البيت ويصفهم بأهل الوصل والكرم كما يصف أعداءهم بالجفاة، الذين لاوصل لهم ولااصل، وقد ابدع الدؤلي برثاء اهل البيت، وبالخصوص ملحمة كربلاء، بقصائد كثيرة يظهر منها ولاءه واخلاصه ويقينه القاطع بهم.

وهنالك فجوة في باب الرثاء، وهو الرثاء الاخواني، فقد خلا الديوان منه علىٰ براءة القصد به وكثرة دواعيه من الأهل والأصحاب، فهل تراه أغفل القول فيه وهذا مستبعد او لم يغفل، ولكنّ الضياع ذهب به، وكيف يذهب به كله، وقد روىٰ لنا ماروىٰ لنا من شعره في الفنون الأخرىٰ؟ إن صحّ هذا، فهو لايتاثّر ولايثار للأفراد، بل هو رجل صاحب عقيدة، فَيرثي رجالها الخُلّص الذي نراه انتزع بذلك من الخلان والعائلية والقبلية.

من مراثيه العقائدية، مايرثي مسلم بن عقيل سفير الحسين الىٰ كربلاء، وهاني بن عروة؛ وهو من كبار مشايخ الشيعة في الكوفة بعد صلبهما من قِبَل عبيدالله بن زياد، فقال في ذلك:

هم جدعوا الانوفَ وكنّ شما   بقتلهم الكريم اخا مراد

قتيل السوق يالك من قتيلٍ   به نضح من أحمد كالجساد

وأهل مكارم بَعُدوا وكانوا   ذوي كرم رؤسا في البلاد[2]

فقد عرج الشعر علىٰ سفك دماء الكرماء من قِبَل الطغمة الظالمة آل زياد وأنسب هذا الشهيد للنبي ﷺ ولطهارة نسبه ولسمو مكانته الاجتماعية فهم أصحاب خصال حميدة، أُبعِدوا عن مناصبهم الروحية والزمنية واستحل هذا المنصب غيرهم من الذين لايستحقّونه.

---

١. الدجيلي، الديوان، ص١٨٢؛ انظر: الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٥٩.

٢. الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٦١، الديوان، ص٢٤١.

الوصف

ليس في ديوان أبي الاسود شعر قيل في الوصف خاصة، ولكنّه يتخلل شعره في الاغراض الاخرىٰ، فهو احياناً يصف[١] صحراء بعشبها الاخضر المائل للدكنة وقد سقط عليها أول المطر، وهذه الصحراء ماوىٰ الظباء والنعام، وقد هبط الشاعر هذه الصحراء والسراب فيها كأنه شجر يلتحف بالملا ـ جمع ملاة ـ وقد عبر طريقه وسط هذه الصحراء بعد أن تبيّن فيها طريقه علىٰ ناقة قوية سريعة، وذلك ليقضي حاجته ويدرك نجاحه، يقول:

وغيثٍ من الوسميّ حولَ تلاعهِ ... تمنّع زهواً نبتُهُ وسوابلُه

كأنَّ الظباءَ الأدمَ في حجراتِهِ ... وجونَ النعامِ شاجنٌ وجمائلُه

هبطت إذا ما الآل آمن كأنّه ... عضاه تروّى بالملا اطاوله

تسمعت واستوضحت ثم استجزته ... بابيضَ ملحوبٍ قواءٍ منازلُه

علىٰ ذاتِ لوثٍ أو باهوجَ وشوسا ... صنيع نبيل يملأ الرحل كاهلُه

لادرك نجحاً أو أسلىٰ حاجة ... وهم القصير الباع داء يماطله

والشعر ـ كما هو واضح ـ قويُّ الألفاظ غريبها جزلها ايضاً، ولعلّه للصحراء والناقة ومجاهل الرحلة دخل في هذه الجزالة والغرابة، ففيه مسحة من الغموض، وهو اشبه مايكون بالشعر الجاهلي، حتّىٰ لنحسبه ـ في ألفاظه وتراكيبه وأسلوبه وصوره ـ منه، لو لم نكن نعرف من قبل أنّه شعر أبي الاسود.

وله أبيات من قصيدة أخرىٰ[٢] يصف فيها أيضاً، الصحراء والأرض البعيدة والرحلة والناقة، وهي في مجملها لاتبتعد عن الاولىٰ في الفاظها وتراكيبها وأسلوبها وصورها ومعانيها، يقول فيها:

---

١. الديوان، ص٤١ ـ ٤٣.

٢. المصدر السابق، ص٥٦ ـ ٥٩.

فــإنّك لاتدرينَ أن رب ســرغ | دقاق الحصىٰ منه رمال وسَبسبُ
أقمت الهدىٰ فيه إذا المرءُ غمه | سقيط الندى والداخنِ المتحلّبُ
إلى أن بَدا فجر الصباحِ ونجمه | وزالَ ســوادُ الليلِ عمّا يُغيّبُ
وصحراءَ سختيتٍ يَحار بها القطا | ويَرتدّ فيها الطرفُ أو يَتَقصّبُ
قطعَتْ إذا كان السراب كأنه | سحاب علىٰ أعجازهِ مُتنصّبُ
علىٰ ذات لوث يجعل الوضع مشيها | كما انقض عيرُ الصحرةِ المترقبُ
عليها إذا مااستحمل القوم بَعضهُم | عليها متاعٌ للرديفِ ومركبُ
وتصبح عن غِبِّ السرىٰ وكأنّها | إذاضربَ الأقصى من الركبِ تضربُ
كأنّ لها دائماً تراهُ أمامها | مدىٰ العين تستهوي اليهِ وتذهبُ
وخَلٍ مخوفٍ بينَ ضَرسٍ وغابة | ألفٍ مضيقٍ ليس عنه مُجنّبُ
كأن مهامات الأسود ببطنه | مَراغٌ وآثارُ الأراجسيل مَلْعَبُ
سلكت إذا ماجن ثغرَ طريقه | أغمُّ دجوجي من الليلِ غيهبُ

والسؤال الآن الذي يلحّ علينا هو: هل الشاعر هنا قلّد القدماء الجاهليين؟ أم هل هي طبيعة الموضوع، الليل والصحراء والرحلة والسفر ومجاهل ذلك كله؟ علىٰ أننا لانعدم أن نجد له شعراً في الوصف، غيرما أثبتنا، ولكن بشيء من التجوّز والتسامح، فمنه مثلاً، يصف جارية له:[1]

يعيبونَها عندي ولاعيبَ عندها | سوىٰ أنَّ في العينينِ بعضُ التأخّرِ
فإنْ يكُ في العينينِ شيءٌ، فإنّها | مُهفهفةُ الأعلىٰ رداحُ المؤخّرِ
قطوفٌ إذا تمشي تخالُ دماءَها | تسايلُ أو تبدو لها بتقطُّرِ
إذا سِمتَها التقبيلَ أبدَتْ تشأُماً | ولينَ كلام لم يُشَبْ بتهذُّرِ

وهو في هذا الوصف ـ علىٰ الرغم من أنّه حسُّ للغَايَةِ ـ لايثير غريزة ولايحرّك كامناً وانّما يجعلك تعجب بفتنة هذه الجارية، دون أن تثور غريزتك.

---

١. المصدر السابق، ص٨٥، الأغاني، ج١٢، ص٣٠٦.

الشكوىٰ والتحسّر

ليس هناك أرقّ احساساً ولا ارهف مشاعر من الفنان، والشاعر علىٰ وجه الخصوص، يضاف الىٰ ذلك احساسه بتفرده وتميزه وشعوره بأنّ الانسان المدلل الذي يذوب وجداً واحساساً وفناً ليُمتّع شَعْبه او أُمّته او قبيلته.

فاذا صادف هذا الشاعر الحسّاس الفنّان المرهّف عقوقاً أو نكراناً أو تبدلتْ به الحال ـ وما اكثر ذلك ـ إنقلب من التفاؤل الىٰ التشاؤم ومن السعادة والبهجة الىٰ الكآبة والحزن، فيبدأ في شكوىٰ الزمن والناس ويتحسر علىٰ الايام الخالية، والماضي المجيد السعيد.

وهذا ماحدث لشاعرنا بالضبط، فقد بدأ حياته عربياً أصيلاً مجيداً، تتفرع شجرة مجده من كلا فرعيها ـ ابيه وامه ـ واورقت وأثمرت بامجاده الذاتية علماً نافعاً وعقلاً راجحاً ومنزلة سياسية وعملية وعلمية وادبية مرموقة، ولكنّ ذلك كلّه ذهب سريعاً وتبدلت به الحال، فراح يطلب صديقاً، كان قد اسدىٰ اليه معروفاً، فيُصدم فيه بعدما تنكّر له، أو يذهب الىٰ والٍ كان رفيقه في العمل فيجده قد تغيّر جلده وتبدل ولاؤه فاستراح آخر الامر الىٰ الياس والاستسلام للواقع، وقنع من الناس ومن دنياه بذكرىٰ أيامه الخالية والحنين اليها والىٰ ودّ من كان فيها من صديق، أو أنّ هذه كانت ـ علىٰ الأقلّ ـ تراوده من حين الىٰ حين، ولنقرأ له قوله يكظم غيظه وكمده ويصبر علىٰ المه[1].

تعوّدْتُ مسَّ الضُرِّ حتىٰ ألفتُهُ	وأسلمَني طُولُ البلاءِ الىٰ الصَّبْرِ
ووسَّعَ صَدْري للأذىٰ كثرةُ الأذىٰ	وكان قديماً قد يضيقُ به صدري
إذا أنا لَمْ أقبلْ من الدهر كُلَّ ما	أُلاقيه منه طالَ عَتْبي علىٰ الدَّهْرِ

وقال يشكو عبدالله بن عامر بعد الجفاء الذي حدث بينهما لِما كان عليه

---

١. المصدر السابق، ص١٥٦.

من التشيع[1]:

ألم ترَ ما بيني وبينَ ابنِ عامرٍ ... من الودِّ قد بالتْ عليه الثعالبُ[2]
وأصبحَ باقي الودِّ بيني وبينَهُ ... كأنْ لَمْ يكنْ والدهرُ فيه العجائبُ
إذا المرءُ لم يُحْبِبْكَ الاّ تكرّهاً ... بدا لك من أخلاقِهِ ما يغالبُ

ويقول ذاكراً الماضي ومتحسّراً علىٰ أهله[3]:

ذهبَ الرجالُ المقتدىٰ بفعالِهِمْ ... والمنكرون لكلِّ أمرٍ مُنْكَرِ

نلاحظه يعود بذاكرته الىٰ الخلف ويتذكّر الرجال الثقات والزهاد وأوصافهم الحميدة، فهم كالسيف أمامَ المنكر ويقارن به متحسّراً بما يلاقيه من رجال يومه ومايحملون من صفات ذميمة.

وهذا شاهد آخر يشكو فيه معاملته، فعندما يقدّم له حاجة، فربّما قضاها وربّما منعها لِما يعلمه من رأيه وهواه في عليّ عليه السلام ويقول:

رأيت زياداً صَدَّ عنّي بوجهِهِ ... ولم يَكُ مردوداً عن الخيرِ سائلُه
ينفّذُ حاجاتِ الرجالِ وحاجتي ... كداءِ الجوىٰ في جوفِهِ لايُزايلُه[4]

انظر الىٰ روعة التصوير في عجز البيت الثاني؛ شبَّهَ حاجته بالدواء الحنظل الذي لايستطيع المريض شربه، كذلك حاجته عند زياد، عِلْماً بأنَّ الشاعر قد قضىٰ له حاجة وبينهما علىٰ مايبدو صلة وصحبة ولكنّها عرض عليها الجفاء لولائه لأمير المؤمنين عليه السلام فتوقّفَ من قضاء حاجته.

المديح

لم يكن أبو الأسود من شعراء المدح الذين يتكسّبون بالشعر ويتوسّلون به الىٰ

---

١. الأغاني، ج١١، ص١١٥؛ الفرق الاسلامية في الشعر الأموي، ص٥٦٠.
٢. الديوان، ص١٥٨.
٣. المصدر السابق، ص١٥٥.
٤. الأغاني، ج١١، ص١٠٨؛ الفرق الاسلامية في الشعر الأموي، ص٥٦١.

أصحاب الجاه والسلطان، ولكنّه كان صاحب عقيدة، آمَنَ بها ونزل علىٰ حكمها في حياته كلّها، وكان الىٰ جانب ذلك رجلاً شكوراً تقع منه الصنيعة موقعها من الرجل الكريم فيقدّرها ويجزي عليها حمداً وعرفاناً.

كان رضيّ النفس يرعىٰ حق الجوار جمّ الوفاء لاصدقائه قنوعاً متجمّلاً. مدح رجلاً[١] ـ في مقابل هجائه لزياد ـ بحفظ السرّ والصدق والحياء والجُرأة ونصرة الصديق والكرم والحلم، وانّه ودودٌ، وقد واصل الشاعر ودّه:

مـددتُ بحـبلِ الودِّ بيني وبينَه كِلانا مـجـدٌّ مـاليـهُ وواصِلُهْ

ويمدح رجلاً[٢] آخر بنفس الصفات تقريباً، ولعلّ هذا التكرار في المعاني ليس عيباً، كما سبق في الهجاء: المدح والهجاء وجهان لعملة واحدة، صفة واحدة سلباً وايجاباً، ولكنها الصورة المثاليّة التي يرسمها للرجل ويؤيد هذا الزعم انَّ مدحه السابق لم يكن محدّداً ولامحصوراً في رجل معيَّن، ولعلّها صفات عامة أطلقها ـ علىٰ عمومها ـ لتشمل كل رجل يمدح.

ومدح ابا ماعز[٣] ـ وكان صديقاً له وقد ولّي جند نيسابور ـ حينما قصده، فاكرم وفادته واحسن جائزته، مدحه بحسن صدقه وصداقته وكرمه وترحيبه ووُدّه، وانّه صاحب مجد وحسن اسلام.

وأهدىٰ اليه المنذر بن الجارود ثياباً كان أبو الأسود قد احتاج اليها، فمدحه قائلاً[٤]:

كساني ولم أستَكْسِهِ فحمدتُهُ أخٌ لك يعطيكَ الجزيلَ وناصرُ
وإنَّ أحقَّ الناسِ إنْ كنتَ حامداً بحمدكَ مَنْ اعطاكَ والوجهُ وافرُ

يربط الشاعر بين أمرين في هذين البيتين وهو الكرم ونفس الكريم، فيمدح الكريم

١. الديوان، ص٤١.
٢. الديوان، ص ٦٠.
٣. المصدر السابق، ص١٠٩.
٤. المصدر السابق، ص١٣١ ـ ١٣٢.

تظهر علىٰ بَشَرَة وجهه بشاشته علاوة علىٰ كرمه، فيفضله في المديح عن غيره فهي صورة رائعة.

ويقول في مدح رجل[1]:

سأشكر عَمْرا ماتَراخت مَنيّتي ... أيادِيَ لم تمنَنْ وإنْ هيَ جَلَّتِ

ومن أروع القصائد التي سجّلها في المديح، هو مدح آل البيت، ونراها قصيدة تحمل العواطف الصادقة وصفاء العقيدة فيها، كما نرىٰ الشاعر يذوب فيها، فهي لافيها اصطناع ولامبالغة، فيظهر حبّه للنبي محمد ﷺ ولآل البيت بهذه القصيدة:

أحبُّ محمداً حبّاً شديداً ... وعبّاساً وحمزةَ والوصيّا

وجعفرَ إنَّ جعفرَ خيرُ سِبْطٍ ... شهيداً في الجنانِ مُهاجريّا

بَنو عمّ النبيِّ وأقربوهُ ... أحبُّ الناسِ كلِّهِمُ إليّا

فإنْ يكُ حبُّهمْ رُشْداً أُصِبْهُ ... وفيهم أسوةٌ إنْ كانَ غَيّا

فكمْ رشداً أصبتُ وحزتُ مجداً ... تقاصرَ دونَه هامُ الثُّريّا

همُ أهلُ النصيحةِ من لدُنّي ... وأهلُ مودتي ما دُمْتُ حيّاً

مُزَينةُ منهمُ وبنو غِفَارٍ ... وأسلم أضعفوا معه بليا

يقودونَ الجيادَ مسوَّماتٍ ... عليهنَّ السوابغُ والمطيّا

فنلاحظ صدق المديح والثناء لاهل البيت، ثم يعرج علىٰ صفاتهم وخصالهم الحميدة وماقدّموه للمجتمع من نصح وإرشاد وبذلوا مُهَجَهُم في سبيل الله، فالشاعر مَدين لهم لما قدموا له من إرشاد وتعليم، فيعبّر أنّهم اهل مودتي ولاتزول هذه الصفة مادمت حياً.

وهذه القطعة مَدَح بها صديقيه عبيدالله بن عامر وابن عباس ـ وكانا اميرين علىٰ البصرة ـ وبيّن لهم نتائج عمل الخير خيرٌ والعكس صحيح، فقال:

ذكرتُ ابنَ عباسٍ بِبابِ ابنِ عامرٍ ... وما مرَّ من عيشٍ ذكرتُ وما فَضَلْ

---

١. المصدر السابق، ص١٥١.

امـيـرانِ كـانا صـاحِبَيّ كـلاهُـمـا ... فَكُلاً جـزاهُ اللّهُ عنّي بِمـا عَمَل[١]
فإن كـانَ خـيراً كـانَ خـيراً جزاؤُهُ ... وإنْ كـان شراً، كـان شراً كما فَعَل

ويظهر الشاعر من هذه الأبيات مادحاً لصديقيه، مرشداً لهما إلىٰ طريق الخير والسعادة، ومحذّراً إيّاهما سبل الشرّ ونتائجه الوخيمة.

واعتاد شاعر اهل البيت، انْ يمدح أثمار هذا البيت الشامخ، وقال في أمير المؤمنين عند حرب الجمل مادحاً بقوله:

وإنَّ عليّاً لـهـم مـصـحـسـرٌ ... الا انه الأسـدُ الأسـودُ[٢]
امـا إنَّهُ ثـالـثُ الـعَابدِيـنَ ... بِـمـكـةَ والـلّه لايُعْبَدُ
فـرخُّوا الخِنـاقَ ولاتَعْجَلوا ... فـإنَّ غـداً لـكُم مَوْعِدُ

يظهر صفات امير المؤمنين ويصفه باسد الليل اي انّه الأشجع، واضاف في البيت الثاني الىٰ أنّه ثالث العابدين في بيت اللّه المكرّم حين كان لاعابد له في بيته المطهّر، ثم اشار مُشمّراً عن ساعديه مفتخراً، منادياً للمخالفين المغرورين انتظروا غداً الموعد.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

السياسة

يحسن انْ نشير قبلاً الىٰ هذه المعالم الاساسية التي امتاز بها هذا العهد الاسلامي الجديد، فكان بها طوراً مغايراً للحياة الجاهلية في نزعاتها وأوضاعها ونظمها وغايتها في الحياة، ثم ماكان من مظاهر ذلك الشعر السياسي بوجه خاص[٣].

وأوّل ما نشير اليه هنا، الركن الرئيسي الذي قامت عليه الدعوة الاسلامية، فقد كانت قائمة علىٰ تنظيم الشؤون الدينية والدنيوية للبشر عامة، لذلك كان الرسول ﷺ يدعو الناس جميعاً ليصلح مابينهم من صِلات، لِتَتَوفَّر لهم الحياة منظمة عادلة آمنة، وليعلمهم شعائر دينية أخرىٰ قوامها التوحيد والعبادة وانتظار الدار الآخرة،

---

١. سيبويه، الكتاب، ج١، ص٧١.
٢. الدجيلي، الديوان، ص١٥١ ـ ١٥٢.
٣. احمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، صفحة ٩٣، ٩٤.

وهذا معناه أن الاسلام كان ديناً ودولة، أو كان يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية[1].

ونرىٰ الدؤلي في شعره السياسة نظر الىٰ الخليفة هو الوصي المطلق من قبل الرسول وبيده السلطتان الروحية والزمنية، وقيّدَ شعره السياسي بما يعتقد به، لذا يراه في هذا الجانب قليل النظم لاحتمالين:

الأول: إما انْ يكون قد ضاع من شعره السياسي كثيرة، بسبب الفتن والثورات والقلاقل، ولكونه من شعراء الشيعة المقدمين[2] ومن وجوه الشيعة[3].

وإمّا انْ يكون الرجل لم يكثر منه، لعدّة أسباب ـ أيضاً ـ منها قوله الشعر كبيراً، وزوال سلطان علي عليه السلام، وهو (ابوالأسود) شيخ مسنّ ومنها أنّه أراد البقيا علىٰ الولاة الجدد، وقد كانوا بالامس إخوانه في العمل لعليّ عليه السلام وأصدقاءه.

وعلىٰ العموم، فالقارئ لشعره في السياسة الخالصة، يجد مقطوعتين تخصّان طلحة والزبير ومقدمهما البصرةَ مع عائشة وكان هو مع عمران بن حصين، سفيري عثمان بن حنيف (عامل الإمام عليّ علىٰ البصرة) الىٰ طلحة والزبير وعائشة، فلمّا لم ترفق السيدة عائشة بالسفيرين في الردّ عادا الىٰ الامير وقام أبوالأسود قائلاً[4]:

يابنَ حنيفٍ قد اتيتَ فانفِرِ وطاعنِ القومَ وجالدْ واصبِرِ

وابرز لهم مستلئماً وشَمِّرْ

هو كما نرىٰ انذار صريح بالحرب ودعوة بالغة الىٰ احسان الأهبة لها، ثم الىٰ خوض غمارها والصبر علىٰ مكروهها، يقول ذلك في رجز منظوم ـ لا في نثر مرسل ـ ليكون أبعث للحفيظة وأدعىٰ للحمية.

---

١. انظر الىٰ ابن خلدون في مقدمته، رشيد رضا في: الخلافة، لعلي عبدالرازق في: الاسلام واصول الحكم.

٢. المصدر، تأسيس الشيعة، ص١٨٦.

٣. الاغاني، ج١١، ص١٠١؛ الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٠٧؛ الخزانة، ج١، ص١٣٦؛ العسقلاني، الاصابة، ج٣، ص٣٠٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٧٠.

٤. الدجيلي: الديوان، ص١٥٥.

أما القطعة الاخرىٰ فهي[١]:

أتيْنَا الـزُبـيْرَ فَدَانـي الـكَلام ... وطلحـةَ كـالنجمِ او ابعـدُ
وأحسَنُ قـوليهـما فـادحٌ ... يَضيـقُ بِه الخطْبُ مستنكدُ
وقـدْ أوعَدُونَا بجهـدِ الوعيـدِ ... فـأهونَ علينا بما أوعـدُوا
فـقلنا ركـضـتم ولـم ترملوا ... واصـدرتُم قـبلَ أنْ تُوردُوا
فـان تلقحوا الحربَ بينَ الرجالِ ... فـملقـحُهـا جـدُّهُ الانكدُ
وإنَّ عليّاً لـهم مـصحـرٌ ... الا إنه الأسـدُ الأسـودُ
أمـا إنّه ثالثُ العـابدين ... بمكةَ واللّه لايعـبـدُ
فـرخُّوا الخناق ولاتعـجلوا ... فـان غـداً لكُم مَوعِدُ

وهذا الشعر كما نرىٰ قويّ اللهجة فيه تهديد ووعيد صريحان وفيه اعلانٌ لحق الإمام وتبيان لقدرته علىٰ هزيمة من يتطاول عليه، وبيان بأنهم البادئون بالعداوة.

وهنالك مقطوعة اخرىٰ يلعن فيها حكم ابن زياد ويدعو اللّه ان يذهب به، يقول فيها[٢]:

اقـولُ وزادني جـزعـاً وغـيظاً ... أزالَ اللّهُ مـلكَ بـنـي زيـادِ
وأبعـدَهُم كـما غَدروا وخـانُوا ... كـما بَعدتْ ثمودُ وقـومُ عـادِ
ولا رجَعتْ ركـابُهُم اليـهِمْ ... إذا وقـفتْ الى يـومِ التنادِ[٣]

وهو في هذا الشعر يردد بعض الفاظ القرآن الكريم، ففي البيت الثاني اخذ من قوله تعالىٰ: ﴿الا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[٤]، وفي الثالث اخذ من قوله تعالىٰ: ﴿ويَاقومُ إنّي اخافُ عَلَيكُمْ يومَ التَّنادِ﴾[٥] وله مقطوعة اخرىٰ (بيتان) يلوم الذين ليسوا

---

١. المصدر السابق، ص١٥١ ـ ١٥٢.
٢. الديوان، ص١٥٣.
٣. الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٦١.
٤. هود (١١) آية ٩٥.
٥. غافر (٤٠) آية ٣٢.

علىٰ مذهبه، ويعلنها صراحة واصراراً انّه علىٰ حبّهم، وانّ الذين يخالفون ذلك ضالّين مضلّين يقول[1]:

أمــفنّدي فـي حبّ آلِ مـحـمـد | حـجرٌ يفـيكَ فدعْ مـلامَكَ او زِدِ
مَنْ لمْ يكنْ بحبـالهم متـمسّكاً | فليـعـتـرفْ بولاءِ من لم يَرشُدِ

وذات مرة قال زياد لأبي الاسود: كيف حبُّك لِعلي؟ قال: حبّي يزداد له شدّةً كما يزداد بغضك له شدة، ويزداد لمعاوية حباً، وايم الله إنّي لأريد بما انا فيه الآخرة وماعند الله وإنّك لتريدُ بما انت فيه الدنيا وزخرفها؛ وذلك زائل بعد قليل، فقال زياد: إنّك شيخ خَرِف ولولا انني اتقدم إليك لانكرتني، فقال ابوالاسود[2]:

غَضِبَ الاميرُ بانْ صدقتُ وربّما | غَضِبَ الاميرُ علىٰ البريّ المسلمِ

ويقول مخاطباً مَنْ تخلّىٰ عن آل بيت النبي عليهم السلام[3]:

مـاذا تقـولونَ إنْ قـالَ النبيُّ لكمْ | مـاذا فـعلتم وانتم آخرُ الأُممِ
باهلِ بيتِي وانصارِي ومَحرمتي | منهُم أساریٰ وقتلیٰ ضُرّجوا بدمِ
ماكانَ هذا جزائي إذْ نصحتُ لكمْ | أن تَخلفوني بسوءٍ في ذَوِي رَحِمِي

وهناك بيت وحيد يتيم يقول فيه[4]:

صـبـغت اميـةُ بالدمـاءِ اكـفَّهـا | وطَوَتْ أميـةُ دونَنا دنيـاها

ويبعد ان يكون هذا هو كل ماقاله ابوالاسود في السياسة من شعر، فقد شهد كثيراً من أحداثها المُثيرة وخطوبها الجسيمة التي لايظنّ بمثله انْ يمسك عن القول فيها، لينفّس عن نفسه بعض ماتجد منها او يؤدّي لها بعض حقّها عليه، ولكنها السياسة ذهبت بكثير أو قليل من شعره فيها، ولهذا فنحن نميل الىٰ الإحتمال الاول ـ في صدر هذا الكلام ـ وإلاّ فما لهذا البيت يروىٰ هكذا، يتيماً مفرداً؟ أترىٰ الشاعر نظمه عرضاً في مناسبة عابرة، أم نظمه في قطعة او قصيدة لكنّها أضيعت فيما أضيع، وافلت هو من بينها لمزية

---

١. الديوان، ص١٥٣.
٢و٣. المصدر السابق، ص١٦٩.
٤. المصدر السابق، ص١٧٠.

فيه أو فرصة تهيأت له، فعبرّ إلينا الاجيال وحده؟ يبدو انّ هذا هو الاحتمال القريب، فكم للسياسة من جناية.

وأقول ـ مع الاستاذ علي النجدي ناصيف ـ: «ماأظن هذه النفثات الساخطة التي تتجاوب فيما جاءنا لأبي الأسود من شعر الرثاء والسياسة الأصدئ لما ان يحتمل في نفوس جمهرة الامة من مشاعر السُّخط علىٰ ماصارت اليه الامور في عهد بني أُميّة أطلقها أبوالاسود ومن علىٰ شاكلته، وصدَّها مَنْ صدَّها عن الانطلاق: إمّا إستسلاماً للواقع أو مداهنة للسلطان أو ردّاً للنفس علىٰ مكروهها أو تربُّصاً بالفرصة المواتية، ولذلك كانت تهيج الفتن وتنبعث الثورات من حين الىٰ حين، لاتكاد تهدأ الآ لتثور علىٰ وجه من الوجوه». [١]

الاعتذار

في ديوان أبي الاسود مقطوعتان في الاعتذار، وهذا قليل اذا قيس بالاغراض الاخرىٰ لشعره، وكأنَّ الشاعر كان يلتزم في حياته الآياتي من الامر مايعتذر منه: «واعيذه إنْ هو أتاه أنْ يصرّ عليه ويابى الاعتذار منه محقّاً أو مبطلاً مكابرة منه او عناداً، فقد عرفناه امرأ راشداً وقاضياً فيصلاً، وهو حقيق أنْ يالف اعظام الحق والتمرّس باعلاء كلمته». [٢]

وهذه إحداهما، يقول في أمر سلمىٰ الحنفية، التي أراد أن يخطبها[٣]:

ذَروا آلَ سلمىٰ ظنتي وتَعتُّبي ... ومازلَ مني إنَّ مافاتَ فائتُ
ولاتُهلكُوني بالملامةِ إنّما ... نَطقتُ قليلاً ثمَّ إنّي لساكتُ
ساسكتُ حتىٰ تَحسبوني كانني ... من الجُهدِ في مرضاتِكُم مُتماوتُ
الم يكفِكُمْ انْ قد منعتُم عرينَكُمْ ... كما مَنع الخيلَ الأسْود النواهتُ

---

١. علي نجدي ناصف، ابوالاسود الدؤلي، ص١٩٩.
٢. المصدر السابق، ص١٩٩.
٣. الديوان، ص٦٢ ـ ٦٣.

تضيئون لحمي كلَّ يومٍ كما علا　　نشيطٌ بفاسٍ معدنَ البرمِ ناحتُ

ويبدو أبو الأسود في اعتذاريته هذه مرهف الحس لايطيق احتمال ماياخذه أصحابه من لوم وتعنيف، لكنّه مع ذلك يعدهم أن سيكبح غضبه ويرد نفسه عن مساجلتهم فيما يقولون، عسىٰ أن تهدأ النفوس ويرجع الامر الىٰ ماكان عليه من مودّة ووئام.

ويسوق اعتذاريته هذه في اسلوب يتراوح بين الخبر والانشاء استمالة للقلوب وتاثيراً في النفوس، ومما زاد في ذلك ايثاره التصوير الشعري في الأبيات الثلاثة الاخيرة، ثم أساليب التوكيد الكثيرة.

وقال يعتذر الي زياد في شيء جرىٰ بينهما فكانه لم يقبل عذره[1]:

إنّني مجرم وأنت أحق النـ　　ـاسِ أنْ تقبل الغداة اعتذاري

فاعف عنّي فقد سفهت وأنت الـ　　ـمرء تعفو عن الهنات الكبار

ويُخيّلُ اليَّ أنَّ هذا الاعتذار صدر عنه قبل تولّي الامويين الحكمَ وتبدّل الحال ورؤية ابي الاسود في زياد مارآه، اي إنّه صدر حينما كان الإثنان يعملان للإمام عليّ معاً، والاّ لمّا وصف ابو الاسود نفسه بهذا الوصف (مجرم) ولما وصف زياداً بهذه الاوصاف التي اقتنع ابو الاسود فيما بعد أنه ـ اي زياد ـ ابعد الناس عنها.

الشجاعة

ومن المواصفات الحميدة في الشاعر أنْ يحمل لواء الحرب في المعركة، فيكون قد جمع بين القلم والسيف وهذه جُلُّ الصفات السامية في الشاعر، فنلاحظ صدر الاسلام حوىٰ ثلاثة من هؤلاء الشعراء ومنهم الدؤلي، له قول سديد وشيمة عربية عالية، قد تصل باسمىٰ بطون القبائل، وهذا يعود الىٰ بيئته وعقيدته بالحياة والموت، والاصيل هو الذي لايهاب الموت ولن يخاف من طوارق الزمان، بل عقيدته الهادفة المتعلقة بالله سبحانه وتعالىٰ تحدِّدُ ذلك.

---

١. المصدر السابق، ص١٥٦.

ويبدو استعداده للحرب وذلك في صموده وقوته الايمانية، فيقول:

أجيبُ إذا الداعي دَعاني وأحتَمي ... بأبيضَ مصقولٍ ضريبتُهُ عُضُب[١]

وإني لَمِنْ قومٍ إذا حاربوا العِدىٰ ... اغاروا بفتيانٍ مغاويرَ كالشُّهُبْ

فالشبل من ذاك الاسد، فهو من بعض المغاوير الذين يسقطون علىٰ العدو، كالشهب الساقطة من السماء، فماذا تفعل بالارض.

وكذلك شبّهه كالشهب التي تحرق مَنْ تمرّ به وتمسّه وهاهم بنوكنانه كالشهب النازلة من السماء، فهم غِضابٌ علىٰ العدو عند المعركة.

وتراه بكل بسالة وقوة ايمانية تدل على اقدامه في القول، كما نعلم اول الحرب كلام ثم الصدام، وقد قال في هذا المقام[٢]:

اقولُ وزَادنِي غَضباً وغيظاً ... أزالَ اللّهُ مُلْكَ بني زيادِ

فالشاعر العقائدي لايفكّر في زخرف الدنيا وجمالها، ولايهاب الملوك والشعراء، بل يتصدىٰ للظلم بقلمه ويذيعه بين الناس ويظهر مساوئهم وظلمهم للناس وقتلهم الاطهار والابرار.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وهاهو في هذا البيت، تعرَّضَ الىٰ بني امية وبني زياد وانقض عليهم لازالة ملك الظالم.

ومن نفثات الدؤلي، انّه يقف امام جبابرة عصره ومجرمي زمانه والذين غصبوا حقوقَ اللّه في الارض وأعْلَنوا الفساد فيها، تراه بلاتقيّة لايهابهم ولايخشىٰ ملكهم و طغيانهم، وقال بكل شجاعة معلناً اعمالهم الشريرة:

صَبَغَت أميةَ بالدماءِ اكُفّها ... وطوت اميةَ دونَنا دنيانا[٣]

فنلاحظ عقيدة الشاعر تظهر من خلال هذا البيت الذي يعلن للأمّة جمعاء ظليمته وظليمة آل محمد عليهم السلام الذين قتلتهم الايادي المجرمة، فلطخت بدماء الابرار الاطهار

---

١. الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٥٧.

٢. الديوان، ص٢٤١؛ الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٦٠؛

٣. وفيات الاعيان، ج١، ص٢٤١.

وهذه الجريمة ليست قضية محدودة بافراد، بل بكلّ العترة الطاهرة وشيعتهم وحرموا من مناصبهم الربانية:

فـيـقـدّم الامـوي وهو مـؤخّر ويؤخّر العلوي وهو مـقـدّم

القضاء

كان لاتؤثر فيه العواطف ولاالانساب والالقاب ولاالفخامة والقيافة، فهو يرىٰ مكانة الانسان وقدره، وترتفع منزلته لديه كلما تمثل بالخلق الحميد والعقل الرشيد، وإن كان عبداً زنجياً، وتنخفض مكانته كلما خرج عن الشارع الجليل، ولو كان حُرّاً قرشياً، فنرىٰ حسّ شاعرنا الرقيق يبرز كالسيف بعد الحكم بين شخصين بالعدل، فقال:

ترىٰ الرَجلَ النَحيفَ فتزدريهِ وفي أثوابهِ رجلٌ مـريرٌ
ومـا عُظْمُ الرجـالِ لهُم بزينٍ ولكنْ مـجـدَها زينٌ وخـيـرٌ

فنلاحظه تفحّص جوهر الرجل ولم ينظر الىٰ مظهره الخارجي او إلى أصله، وحكم علىٰ ماجاء به الشرع ولم يتأثر بفخامة الثاني، وينحاز له.

ونلاحظ لون شعره موافقاً لعمله، فهو من الحقيقة والواقع الذي عاشه الدؤلي في عصر الاسلام، فهو من منبع تلك الفترة الجديدة ويطبق كل تعاليمه عليها، فله صديق ظلم في قضية وحكم الدؤلي عليه، وناصر عدوه وقال مباشرة:

إذا كنتَ مَظْلوماً فَلاتلفَ راضياً عن القومِ حتىٰ تأخُذَ النصفَ وارغبِ
وقارِبْ بذِي جهلٍ وباعِدْ بعالمٍ جلوبٌ عليكَ الحقِ من كلِّ مجلبِ

ونلاحظ في مكان آخر لم يتوان عن الحق وصرح به ولم يكتمه مهما يكلف ذلك من ثمن، فقد قام بارشاد ابن عباس، فلم يتّعظ، فارسل الىٰ الإمام رسالة بما جرىٰ، وتشكر منه الإمام لموقفه ولإعلامه بذلك.

الباب الثالث

الصورة الشعرية عند أبي الأسود الدؤلي

١ـ توطئة

«الشعر يخاطب الوجدان ويحيل الأفكار الذهنية الىٰ احساسات ويستخدم اللفظ وللالفاظ دلالات عقلية ونفسيّة خاصة؛ وادراكنا لها يتم عن طريق الشعور والعقل، وادراك الألفاظ عقلياً يقف في طريق الشعر منساباً الىٰ نفوسنا، ومِنْ ثَمَّ يستعين الشاعر بأدوات الفنون المجردة ليغلب الدلالات الشعورية للالفاظ علىٰ دلالاتها الذهنية، فهو يتخذ من ايقاع الوزن وجرس اللفظ وموسيقا الاسلوب ووسائل ينفذ بها الىٰ عواطف سامعه أو قارئه، وهو يستخدم طبيعة التصوير، فكما تعتمد اللوحة علىٰ الخطوط والألوان في ابراز احساس الرسّام، تعتمد الصورة الشعرية علىٰ جزئيات مؤتلفة لونظرت الىٰ كل منها مفردة لم تجد لها دلالات نفسية أو ذهنية كبيرة، ولكن باجتماعها ترسم لوحة شعورية متكاملة الجوانب»[1].

ويمكن أن نميز من بين خصائص اللغة المستخدمة في الشعر: كثرة الألفاظ ذات

---

١. الطاهر مكي، الشعر العربي المعاصر، ص٨١ و٨٢.

الايقاع الموسيقي، والقوة التصويرية مما لاتتطلّبه الاجناس الاخرىٰ ضرورة، كما انّ الملمح الجوهري للغة الشعر، يتمثّل في الصور الشعرية ان يستغلّها الشاعر في التعبير عن احساساته ونقل تجاربه.

۲ـ مفهوم الصورة الشعرية ووظيفتها

كلمة صورة تعني أصلاً «التجسيم» وفي القرآن الكريم ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أيِّ صُورَةٍ ماشاءَ رَكَّبَكَ﴾[1] وفيه ايضاً: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الارحامِ كَيفَ يَشاءُ﴾[2].

واتّسع معناها في النقد الادبي الحديث وتحدَّد في الوقت نفسه؛ إتّسع، لأنّ استخدامها لايقتصر علىٰ ماتراه العين، بل امتدّ الىٰ كلّ مايؤثّر في أي من حواسنا أو في مجموعة منها، لأنّ كلّ احساس يَنجُم عنه تصوّر معين، وتحدده لأنّه علىٰ الاقل فيما يتّصل بشكل الصورة، يشمل الانطباعات الحسية، تجيء وليدة التشبيه أو الاستعارة، وبقية الصور البلاغية مهما كانت الحاسة التي تتّجه اليها ويستبعد الوصف المباشر؛ ولو كان حسيّاً.

وتربط الصورة الشعرية بتجربة الشاعر، تجسّد فكرة أو عاطفة، وهي ذات صلة قوية بالمشاعر التي تسيطر على القصيدة وتصبح جزءاً منها وتتآزر مع بقية الأجزاء الأخرى لتنقل لنا التجربة كاملة.

ويقوم الخيال الدور الأساس في تشكيلها ـ اي الصورة الشعرية ـ يلتقطها ببراعة من مشاهدات الواقع وملابسات الحياة اليومية، أو يرتفع بها عن الحوادث العادية فيستمدها من مناظر الطبيعية ومهابط الجمال الرفيعة ويمزج بين عناصرها المختلفة، فتجيء خلقاً جديداً يختلف في طبيعته وخواصه عن العناصر الاولية التي تالف منها[3].

والخيال ـ كما يقولون ـ وليد العاطفة، والعاطفة هي «تلك القوة النفسية التي تثيرها

---

۱. آل عمران (۳) الآية ٦.

۲. الانفطار (۸۲) الآية ۷ـ۸.

۳. د. الطاهر مكي، الشعر العربي المعاصر، ص۸۱.

مؤثرات وميول خارجية مختلفة، فتظهر في صورة انفعالات شتّىٰ كالحب والبغض والسرور والحزن والرجاء والخوف والوفاء، وهي بهذا من دواعي الشعر التي تهيجه، وينابيعه التي ينبجس منها»[١].

ولقد عرف النقاد العرب القدماء دور العاطفة في الشعر، يقول ابن قتيبة: «فللشعر دواع تحثّ البطيء وتبعث المتكلّف: منها الشراب ومنها الطرب، ومنها الطمع، ومنها الشوق»[٢]، لكنهم لم يعرفوا كلمة العاطفة بوصفها مصطلحاً نقدياً، فهي من مصطلحات علم النفس الحديث، لكنّهم تكلموا عن حقيقتها وسَمّوها «قواعد الشعر»[٣].

ولقد «درس العرب الواناً من الخيال في الجملة العربية، وكلها ترمي الىٰ توضيح الفكرة الجزئية»[٤] كما درسوه «باعتباره قوة من قوىٰ العقل، لها إتصال بلاغي بفن القول، وذلك عندما يكون هناك جامع خيالي او وهمي، أو تداع للمعاني في علمي البيان والمعاني، ولهذا انحصرت دراسته عندهم في التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل»[٥].

اذن، «فالمهمة الاولىٰ والأشدّ بساطة لدور الصورة الشعرية أن تجسد ماهو تجريدي وأن تعطيه شكلاً حسياً»[٦]، وبواسطة الصورة، «يُشَكّلُ الشاعر احاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس، وبواسطتها يصوّر رؤيته الخاصّة للوجود وللعلاقات الخفية بين عناصره»[٧].

٣ـ روافد الصورة الشعرية

الصور الشعرية، يقوم جانب كبير منها علىٰ أسس بلاغية من تشبيه واستعارة

---

١. د. محمد طاهر درويسه، في النقد الادبي عند العرب، ص١٩٦.

٢. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٨.

٣. ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج١ ص٧٧.

٤و٥. في النقدالادبي عند العرب، ص٢٠٥.

٦. الشعر العربي المعاصر، ص٨٣.

٧. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص٩٨.

ومجاز وكناية ومن تقديم وتأخير وفصل ووصل، إلاّ أنّ ذلك ليس شرطاً فيها، فقد تجيء رسماً لموقف نفس اخّاذ في الفاظ ذات دلالة حقيقية لاتنطوي علىٰ شيء من مقومات البلاغة التقليدية.

وهناك روافد ثلاثة تستمدّ منها صورة الشعر:

الاول: مشاهداته الخاصة وتجاربه الشخصية، وكلّما اتّسعت هذه وتعددت تلك، ازدادت الصور التي تترامىٰ الىٰ ذهنه وتتوارد علىٰ خاطره وتنوّعت الوانها.

الرافد الثاني: النقل سماعاً او قراءة، والشاعر في هذه الحال متنفع بتجارب غيره، فهو ناقل ومُحاكٍ، ليس إلاّ.

الرافد الثالث: قدرته علىٰ تركيب الصور القديمة والتأليف بينها، لتأتي في صورة جديدة مبتكرة، ويتوقف جمال الصورة في هذه الحال علىٰ طبيعة الشاعر العقلية وسعة خياله وبُعد مداه.

وقد تكون الصورة الشعرية ذات ابعاد واسعة وتعتمد علىٰ حشد من الالفاظ والعبارات، لو قرأتها متفرقة لم يكن لها تأثير كبير، ولكنّها مؤتلفة كل واحد منها أمام لوحة شعورية كبيرة ذات دلالة خاصة، وجانب كبير من إثارة الصورة الشعرية الىٰ أنّها ـ الىٰ جانب التجسيم ـ تحمل طاقة عالية من التوتر، ومعها لايلتقي الخيال وقع انطباع حسي واحد، وإنّما اثنان او اكثر متّحدان في واحد، فيتضاعف التأثير.

وللصورة الشعرية طابع آخر يشاركها فيه كل ماهو خيالي، فهي منتقاة، والانتقاء يتيح لنا أنْ نختار الفاظنا بما يؤكّد توتّر التأثير واعطائه قوة اشد، وبالتجسيد والتكثيف والانتقاء، تبلغ الصورة الشعرية ذروتها، تأثيراً في النفس وإثارةً للشعور والخيال.

٤ـ الصورة الشعرية في الديوان

يمكننا أن نقرّر ـ بادىء ذي بدء ـ انّ الديوان خلا من الصور الشعرية الكلية، وكاد يخلو من الصور الشعرية الحركية، وهي التي تعتمد علىٰ الالفاظ الحقيقية.

لكنه مليء بالصور الجزئية أو الممتدة أو المتداخلة، وهي التي عُرفت قديماً واهتمّ بها نقّاد العرب، وتشمل التشبيه والاستعارة ـ بنوعيها ـ والكناية والمجاز المرسل.

وصُوَرُ ابي الاسود الشعرية، منتزعة من البيئة البدوية التي عاشها حقيقة او تأثراً، كما انّه اعتمد علىٰ الصور القرآنية والنبوية، يضاف الىٰ هذين المصدرين أو الرافدين: علمه وتجاربه وخياله.

ويبدو تأثّره بالصور البدوية حين الوصف خاصةً؛ امّا الصور القرآنية، فتبدو حين الهجاء أو العتاب أو المدح والفخر، علىٰ حين تبدو صوره المبتكرة في الحكم والنصائح غالباً.

الصورة ذات الاصول القرآنية

تأثر ابو الاسود الدؤلي بالقرآن الكريم في الفاظه وصوره، ونضجت هذه الصور القرآنية في شعره، ولعلّ اشهرها، صورةُ المغتاب الذي ينهش في أعراض الناس ويمشي بينهم بالغيبة والنميمة، حين صوّره القرآن بصورة الرجل الذي يأكل لحم أخيه ميتاً، فأخذ ابو الاسود هذه الصورة وصاغها في شعره، في قوله:

وحُبَّ لُحُومِ الناس، أكـثَرَ زاده ... كـثـير الخنا بعـد الحـالةِ همّـاسِ
تركتُ لـه لحـمي وابقَـيتُ لحـمـه ... لمن نابه من حـاضـر الجنِ والناس[1]

ويقول مرّة أخرىٰ:

وتمّ ظنون مـــستظن ملعن ... لحـوم الصـديق لهـوه ومـآكله[2]

ويقول في موضع آخر:

تصيبون عرضي كلَّ يومٍ، كما علا ... نشـيطٌ بفـأسٍ مَعْدَن البُرمِ ناحت[3]

ونرىٰ الصورة القرآنية تبرز في البيت التالي:

---

١. الديوان، ص٢٩ ـ ٣٠.

٢. المصدر السابق، ص٤٠.

٣. المصدر السابق، ص٦٣.

لااشتري الحمد القليل بقاؤه يوماً بذم الدهر اجمع واصبا[١]

لما نقرا له صورة قرآنية اخرىٰ، مستمدة من اخذ الكتاب بالشمال، كناية عن عدم التوفيق والسّداد، يقول:

وخبّرني من كنتُ ارسلتُ إنّما اخذتَ كتابي معرضاً بِشمالكا[٢]

وتلمح التأثر بالصور القرآنية في قوله:

وقال: الذي يرميك ربّك جازياً بذنبك والاذنابُ يَعقِب ماترىٰ

فقلت: لو انّ ربّي برمية رماني لما اخطا الهى مارمىٰ[٣]

وهذه الصورة نلمحها في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَىٰ﴾ مع الاختلاف في مبعث الصورة وهدفها.

ويمكننا أن نلمح صورة ماخوذة من السُّنّة الشريفة، يقول:

ويعجبه صفحي له وتحمّلي وذو الجهل يحذي الفحش من لايعاجله[٤]

وهذه الصورة ماخوذة من الحديث الشريف: «مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ...».

الصورة ذات الاصول البدوية

ابوالاسود الدؤلي كان قريب عهدٍ بالبداوة والعصر الجاهلي بعاداته وتقاليده علىٰ الاقلّ، من الناحية الادبية والشعرية، ولذلك فلايكون غريباً أن نجد في شعره صوراً ذات طابع بدوي أو تراثي ـ إذا صحّت التسمية بالنسبة لابي الأسود ـ ومن هذه الصور قوله:

وعندي له ـ إن ثار ـ فوار صدره فحاجبلي لايعود له الحاس[٥]

---

١. الديوان، ص٣٧.

٢. المصدر السابق، ص٨٢.

٣. المصدر السابق، ص٨٩.

٤. المصدر السابق، ص٣٩.

٥. المصدر السابق، ص٢٩.

وقوله يصور اذاعة السر وافشاءه بين الناس:

أذاعَ بهِ في الناس حتىٰ كأنَّهُ ... بعلياءِ نارٍ اوقدت لثقوب[١]

وقوله يصور دفاع الاسد عن عرينه:

الم يكفكم انْ قد منعتُم بيوتكم ... كما مَنَعَ الغيلَ الأُسُودُ النواهت[٢]

وقوله معبراً عن الغضب بقدح الزناد، وهي صورة بدوية:

الايابا الجارود! هل أنتَ مُخبري ... باي زنادٍ يورينَ عندكم قدحي[٣]

وقوله يصورّ بعض الصفات التي قد بريء، منها:

ولا بسبسٍ كالعنزِ اطولَ رسلها ... ورثمانها يومانِ ثُم يَزولُ

ولست كجلب يسمع الناس هزمه ... وتحت الخنيف حاضر ومحول[٤]

وقوله ينتزع صورة البئر الضحلة الماء:

وقد أرسلوا فراطهم فتأثروا ... قليباً نزوعاً لاتبل العراقيا[٥]

والديوان مليءٌ بالصور التي استمدها الشاعر من البيئة البدوية.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الصورة المبتكرة من تجاربه

وإذا كان ابوالاسود قد افاد من القرآن والسنة والصور البدوية والتراثيّة، فإنَّ له صوراً جديدة مبتكرة، من وحي خياله ومن عصارة تجاربه؛ هي مليئة بالحيوية والحركة والايحاء، يضاف اليها الإقناع وخاصة في باب الحكم والنصائح.

يقول معبّراً عن شدّة حفظ السرّ:

ومؤتمن بالسرّ أوثقت سرّه ... مع القلب مقروناً به لايزايله[٦]

---

١. الديوان، ص٣٢.

٢. المصدر السابق، ص٦٣.

٣. المصدر السابق، ص٦٦.

٤. المصدر السابق، ص٧٩.

٥و٦. المصدر السابق، ص١٠٤.

ويقول معبّراً عن العادة المتأصّلة في الانسان:

وكل امرئ ـ والله بالناس عالم ـ   له عادة قامت عليها شمائله[١]

ويقول في نفس المعنىٰ والصورة:

كل امرئ صائر يوماً لشيمته   في كل منزلة يُبلىٰ بها الرجل

ولو تلبث عنها غير تاركها   إلاّ إليها قريباً ثم ينتقل

إذا أراد لها تركاً تقعده   كما تقعد ساق الموثق الطول[٢]

وله من هذه الصور، العدد الكثير.

---

١ و ٢. الديوان، ص١٠٤.

البناء الفني للقصيدة عند الشاعر

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

١ـ توطئة

يتألف الديوان ـ ومستدركه ـ من اربع وعشرين قصيدة، ومجموعة كبيرة من المقطوعات الشعرية، عددها مائة مقطوعة ومقطوعة واحدة.

والقصائد التي في الديوان، عددها عشرون، واربع قصائد في المستدرك، ومجموع أبيات القصائد كلّها «٢٨٥»، بيتاً، موزَّعة كالآتي، حسب ارقامها في الطبعة التي بين أيدينا من الديوان:

مسلسل	رقم القصيدة	عدد أبياتها	أغراضها وفنونها ومعانيها
١	١	١١	هجاء
٢	٣	٨	عتاب + حكم ونصائح
٣	٦	١٠	فخر
٤	٨	٢٦	هجاء + مدح + وصف
٥	٩	٨	هجاء
٦	١٠	٨	عتاب + فخر
٧	١٢	١١	عتاب
٨	١٨	٢١	هجاء + وصف + مدح
٩	٢١	١٠	هجاء + حكمة
١٠	٢٤	١٠	عتاب + فخر
١١	٢٥	٨	فخر
١٢	٣٦	٨	عتاب
١٣	٣٨	٨	عتاب + نصح
١٤	٤٨	١٦	هجاء + فخر
١٥	٥٤	٨	عتاب + فخر
١٦	٦٥	١٧	رثاء
١٧	٦٦	٩	رثاء
١٨	٦٧	٨	رثاء
١٩	٨٢	١٢	هجاء
٢٠	٨٤	٩	نصح وحكم
٢١	٢	١٠	نصح وحكم
٢٢	٦	٨	سياسة
٢٣	١٩	١١	وصف
٢٤	٣٢	٣٠	نصح وحكم

اما المقطوعات الشعرية، فسوف نصفها في احصائية، طبقاً لعدد الأبيات المؤلّفة منها، وهي موزّعة كالآتي والارقام التي تحملها هي التي في الديوان ومستدركه :

بيت واحد	اثنان	ثلاثة ابيات			اربعة	خمسة	ستة	سبعة
٧٤	٣١	١٣	٦٨	٣٣	١١	١٥	٤	٢
٣	٣٤	١٤	٧١	٣٥	١٦	١٧	٧	٥
٤	١٤	٢٣	٧٣	٣٨	٢٦	١٩	٢٢	٥١
٥	٦٠	٢٧	٧٦		٣٧	٢٠	٥٢	٨١
٢٠	٧٥	٢٨	٨٠		٣٩	٣٠	٥٣	١١
٢٤	٨٦	٢٩	٨٥		٤٠	٣٣	٥٦	
٢٩	١	٣٢	٨٧		٤٣	٤٥	٥٧	
٣٠	٧	٣٥	٨		٤٧	٥	٦٤	
٣٤	٩	٤٢	١٠		٦٢	٥٥	٦٩	
٣٧	١٣	٤٤	١٢		٧٨	٦٣	٧٩	
	١٥	٤٦	١٤		٢١	٧٠	٨٣	
	٢٨	٤٩	١٦		٢٣	٧٢	١٨	
	٣٦	٥٨	١٧		٢٥	٧٧		
		٥٩	٢٧		٢٦	٢٢		
		٦١	٣١					

والمقطوعات السابقة، منها سبع وستون مقطوعة في الديوان وأربع وثلاثون في المستدرك ومجموع أبياتها ٣٦٨ بيتاً وهي غالباً ما، تدور حول فن من الفنون أو غرض من الأغراض.

ولعلّ هذا الديوان، هو الذي تفرّد بهذه الخاصية من حيث قلّة القصائد وكثرة المقطوعات.

ولعلّ السبب في ذلك يرجع ـ فيما يرجع ـ الىٰ ان اباالاسود قال الشعر متأخّراً، بعدما مضت عنه فترة الشباب بعنفوانها وصبوتها، وقد يضاف الىٰ ذلك سبب آخر وهو احتمال ضياع بعض من شعره في زمرة الأحداث السياسية، خاصة وأن الفترة التي عايشها ـ وفي أواخر حياته ـ شهدت تطورات كثيرة متلاحقة، ولعلّ تشيّعه ووفاءه للإمام عليّ عليه السلام كان سبباً مهما في ضياع جزء من شعره، خاصةً السياسي منه.

وعلى العموم، فهذا لايمنعنا من التعرّض لموضوع البناء الفني للقصيدة عنده، متخلصين ـ نظراً لظروف شاعرنا ونتاجه ـ من قيد القصيدة والمقطوعة، لنناقش البناء الفني لها، سواء كانت قصيدة أم مقطوعة في عرف النقّاد والعروضيين ودارسي الآداب، اي متوسّعين شيئاً في مفهوم القصيدة وهو توسّع استثنائي ـ إنْ صحّ هذا التعبير ـ لايسري علىٰ كل الدواوين ولا الدراسات.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢ـ مطلع القصيدة

من اللافت للنظر في ديوان ابي الاسود الدؤلي انّ مطلع القصيدة عنده خلا من المطلع التقليدي الموروث وهو المقدمة الطلليّة او الغزلية، فلم نجد له قصيدة واحدة ـ او حتىٰ مقطوعة ـ بدأها بالتعبير عن بكاء الديار واستيقاف الاخوان وتذكّر الأحباب والتغزل فيهن.

ولعلّ ذلك يرجع ـ في رايي ـ الىٰ احد الاسباب الآتية، كلها:

١ـ لم ينظم في الغزل ولاذكر ايام الصبا ولهو الشباب، وذلك لانّه بدأ حياته بداية جادة واستمر فيها في كنف الصحابة الصلحاء.

٢ـ الراجح ـ في رأيي ـ أنه لم يتّخذ الشعر صناعة ولافناً يعرف به ويوسم به، ويبدو انّه اكتفىٰ بما حقّق في حياته العلمية والعملية، ويؤيد ذلك انّه قال الشعر كبيراً بعدما ولّت عنه فترة الشباب، وقاله معبراً عن لحظات او مواقف عابرة.

ولذلك لم يتقيّد بتقاليد الشعراء من حيث طول القصائد وتعدد الاغراض فيها وافتتاحها بالمقدمة الطللية أو الغزلية ... الخ .

٣ـ لعلّه نظم قصائد طوالاً ، ولعلّه أيضاً بدأها بالمطلع التقليدي خاصة وانّ الالتزام بهذا المطلع كان سُنّة الشعراء حتىٰ بعد أبي الاسود الدؤلي لكن أجزاءاً كبيرة من هذه القصائد، يرجّح انّها ضاعت ولعلّ السياسة وتقلبات الزمن لهما دخلاً كبيراً في هذا الضياع ، وقد يؤيّد ماتذهب اليه ، انّ قصائده ومقطوعاته خلت كلها ـ ماعدا قصيدة ـ من التصريع ، وهو الوسيلة العروضية الفنية التي تعيننا علىٰ تحديد بداية القصيدة غالباً .

وعلىٰ العموم، فالذي ننتهي اليه ـ طبقاً لما بين ايدينا من شعره ـ هو ان مطلع القصيدة عندي كان طبيعياً متّسقاً مع موضوع القصيدة غالباً، وانّه لم يؤثر عنه مطلع واحد طللي أو غزلي، هذا في الوقت الذي كان فيه كل الشعراء ملتزمين بهذه المقدمة، وقد استمر هذا التقليد في الادب العربي حتىٰ بداية العصر الحديث .

٣ـ بناء القصيدة الدؤلية والوحدة الفنية

لن نتكلّم بالضرورة ـ هنا ـ عن مدىٰ توفّر الوحدة العضوية ـ طبقاً للفهم والتطبيق المعاصرين لها ـ في قصيدة أبي الاسود، لانّ هذه الوحدة برزت الدعوة اليها ـ وبالتالي محاولة تحقيقها في القصيدة الحديثة ـ عدّة عوامل، أهمّها تقدّم النقدالادبي الحديث واهتمامه بالوحدة العضوية ونشأة مجموعات من الشعراء حاولت تحقيق الوحدة العضوية في قصائدهم بل في دواوينهم كلها، وساعد علىٰ ذلك أيضاً، استعارة الشعر الحديث لكثير من الأدوات والوسائل التكنيكية الحديثة من عالم القصة والمسرحية والسينما، تلك الادوات التي تساعد علىٰ تحقيق الوحدة العضوية في القصيدة على نحو أكمل، يضاف الىٰ كل ماسبق، بعض السمات الشعرية العامة للقصيدة الحديثة[١] .

١ . انظر : عن بناء القصيدة العربية الحديثة .

قلنا: إنّنا لن نتكلم بهذه الصورة، ولكنّنا سوف نتعرض بالحديث عن مدىٰ دوران القصيدة عند أبي الاسود الدؤلي حول موضوع واحد، أو عدة موضوعات وهل تعبّر عن عاطفة مفردة أو عن عدة عواطف متباعدة متنافرة، وهل تثير في القارىء أو السامع مشاعر وأحاسيس مؤتلفة أم متضاربة؟ وهل للقصيدة عنده بداية ونهاية؟ أم لا؟ وهل أفكارها متسلسلة داخل سياج شعوري واحد تحكمه وحدة الموضوع ووحدة الجوّ النفسي، اقحمت عليها فكرة غير متجانسة أو موضوع غريب؟

وهل القصيدة عنده بعيدة عن الفضول والحشو وماإليها من الامور التي يفصل بها الشاعر بين أفكار القصيدة الاصلية، حيث ينتقل انتقالاً فجائياً من موضوعه الاصلي الىٰ حكمة مبتذلة أو فكرة نابية؟

وهل القصيدة بعد هذا كلّه متماسكة البناء فيما بين ابياتها، وصورها الشعرية متآزرة وعناصرها متلاحمة، تلاحماً عضوياً، يحقق لها الوحدة والانسجام والترابط؟

وبادىء ذي بدء، يمكننا القول طبقاً لهذا الفهم، بانَّ شعر ابي الاسود تتحقق فيه وحدة الموضوع، ماعدا قصيدتين، وهذا راجع الىٰ طبيعة شعره ـ من حيث كونه تعبيراً تلقائياً عن مواقف معينة حدثت له أو تعرّض لها في فترة زمنيّة محددة من عمره ـ هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ، فإنَّ شعره كان معظمه في شكل مقطوعات قصيرة، اغلبها يتالف من ثلاثة ابيات، والقصائد عنده ـ وبعض المقطوعات أيضاً ـ قد تتعدّد أغراضها، لكنَّ العاطفة المثيرة لهذه الاغراض واحدة، او انَّ اغراض القصيدة وجوه لعملة واحدة، فالعتاب يعقبه فخر، وهذا أمر طبيعي للدفاع عن النفس وإبعاد شبهة التذلل والخضوع، او يعقبه حكمة وعدّة نصائح وهذا إذا كان المعاتب قريباً جداً الىٰ نفس الشاعر فبعد انْ يعاتبه ينصحه بعدة أبيات ويختم ذلك بالحكمة المستخلصة، وهكذا في بقية الاغراض.

اما من حيث تآزر عناصر القصيدة الفكرية والشعورية وتلاحم صورها الشعرية فهذا متحقق إيضاً، ساعد عليه عقل الرجل وتمكّنه من فنّه وانفجار شاعريته من موقف مؤثر او حادثة واقعة.

الدؤلي في السوق النقدي

بعد دراستنا المستفيضة للدؤلي من كل جوانبه وابحرنا في خضم المراجع والمصادر القديمة وللعسر الموجود في تاريخ رجال القرن الاول الهجري وذلك يعود لاهتمام المجتمع بالدين الجديد خصوصاً النصف الاول من القرن الاول وترك ماعداه من امور تعود الىٰ تاريخ الفرد في المجتمع، حتّى انّ كثيراً من اعلام ذلك القرن خفَتْ علينا بعض حركاتهم وسكناتهم، إلاّ بالاستدلال، فقد تمكنّا ان نقلع شعر الدؤلي من بين آلاف القصائد والمقطوعات في تلك الفترة واظهرناه الىٰ الوجود، كما عرضنا بعض حياته الاجتماعية والسياسية وبعض الاشكالات التي حدثت مع حلّها كما أشرنا لبعض الملابسات التي حلّت بين المؤلفين ورجال التاريخ بحقه.

ونلاحظ الدؤلي يوضع في الميزان النقدي ليحكم اليه ومنحه الوسام العالمي فنلاحظ انّ كبار علماء الرجال في القرن الثاني الهجري، بالتوالي الىٰ يومنا هذا كل منهم مرّ بهذا التابعي وأدلىٰ بتصريحه الذي يحمله علىٰ هذا الرجل ونحن بصددنا نطرح اليكم بعض الذي حصلت عليه خلال دراستي الميدانية لهذا العالم اللغوي حيث قال:

قال الطوسي: كان من سادات التابعين ومن الفضلاء والفصحاء والشعراء وعاصر اربعة من الائمّة، هم: امير المؤمنين والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام.[١]

قال العسقلاني: «كان ثقةً فاضلاً مخضرماً»[٢].

وقال ابن سعد: «في الطبقة الاولىٰ من اهل البصرة؛ كان شاعراً متشيّعاً وكان ثقة في حديثه».[٣]

وقال ابن عبدالبر: «كان ذا دين وعقل ولسان وبيان وفهم وذكاء وحزم وكان

---

١. محمد بن الحسن الطوسي، رجال الطوسي، ص٤٦، ٦٩، ٧٥، ٩٥.

٢. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب.

٣. طبقات ابن سعد.

من كبار التابعين»[١].

وقال الجاحظ: «قد جمع جودة اللسان وقول الشعر»[٢].

وقال ابن خلكان: «كان ديوانه محل اهتمام علماء الأدب علىٰ مرّ العصور»[٣].

وقال الآمدي: «كان شاعراً متقناً للمعاني»[٤].

وقال السيوطي: «إنّه شاعر سريع الجواب»[٥].

وقال ابن الاثير: «له شعر حسن»[٦].

وهنالك عشرات من امهات كتب التراجم والرجال والتاريخ، تذكر مثل ماذكرنا واقتصرنا ببحثنا علىٰ ذكر هذه المصادر لثقتها وقدمها.

وشهد له اعداؤه ومنهم عمروبن العاص حيث قال لمعاوية: «ياامير المؤمنين! إنّ اباالاسود رجل مفوّه له عقل وأدب»[٧]، وقول عمرو وشاهد عيان علىٰ ماجرىٰ بينه وبين معاوية من مناظرة.

ونريد أن نعود الىٰ المحدثين من رجال التاريخ والحديث والتراجم ونتصفّح وريقات الكتب حتىٰ نرىٰ ماذا يرون فيه.

قال الدكتور القاضي: «إنّه من أسياد التابعين ومن الموالين لعليّ أمير المؤمنين»[٨].

وقال السيد الخوئي: «إنّه من سادات التابعين وعاصر الإمام علياً والحسن والحسين وزين العابدين عليهم الصلاة والسلام»[٩].

---

١. ابن عبدالبر، الاستيعاب؛ انظر: رجال الطوسي، ص٩٥.

٢. الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٢٨٥.

٣. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٤١.

٤. الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص١٥١.

٥. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات النحاة، ص٢٧٤.

٦. اسد الغابة، ج١، ص٢٤١.

٧. الغدير، ج٢، ص١٤٦.

٨. الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ص٥٧٥.

٩. الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٩، ص١٧١.

وقال الاستاذ عبدالكريم الدجيلي: «الواقع ان شعر أبي الاسود الدؤلي الذي وصل الينا لايصور مجتمعه وبيئته تصويراً كاملاً ولايعالج المشاكل والاوضاع العامة وهو لم يترك للأجيال الطالعة بعده سجلاً حافلاً تتزاحم به الاشخاص والأعمال»[1].

وفي دائرة المعارف الاسلامية: «توصف اشعاره بأنّها تبين الضيق الذي كان يعتريه بسبب أعباء منصبه الىٰ انْ تقول: وقد أمدّه مقتل عليّ بمادّة جديدة في الرثاء وفي قصيدة نظمها وهو لايزال متاثراً بوقوع الحادث»[2]، واحببت ان ادخل من المستشرقين في هذا الميزان مع النقد الىٰ مايرونه.

قال المستشرق الألماني نولدكه، في مجلة الشرقية الالمانية، (ص ٢٣٢، في ج ٨، المطبوع ١٨٦٤) مايلي: «العلاقة أبي الأسود بالشخصيات التاريخية ولشخصيته المشهورة ولشعره أثر تاريخي» ويترسّل في الكلام حتىٰ يقول: «فان شعره ضعيف من ناحية المعنىٰ ومن ناحية القيمة الشعرية وفي قليل من المواضع يرفع شعره أو يكون اعتيادياً علىٰ الأقل»[3].

ويقول بروكلمان في بحثه مع الشعراء المخضرمين: «بأنّه ليس علىٰ مستوىٰ رفيع من الوجهة الفنية، كما أنّه لايقدم غنماً تاريخياً جديراً بالذكر في أحوال عصره»[4].

رأينا في شخصية الدؤلي

الحقيقة يجب أن تظهر كالشمس في رابعة النهار، فلاعجب في تقييم علماء التراجم والتاريخ والأدب للدؤلي، وانّني اتفق مع قول القدماء بشكل مطلق وهم المرآة العاكسة للصورة الحقيقية للشخص، كما وجدنا خير شاهد على تقييمه هو وخصيمه عمروبن العاص، فلاحاجة بعد ذلك الى تقييم المستشرق الالماني، الذي يرىٰ علاقاته

---

١. تحقيق ديوان ابي الاسود، ص٣٢.

٢. دائرة المعارف الاسلامية، ج١، ص٣٠٧.

٣. تحقيق ديوان ابي الأسود، ص٣٢.

٤. كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ص١٧١.

الاجتماعية العريقة مع عدم ذكر احد في شعره، فقد عمّر الدؤلي ٨٥ عاماً وعاصر كثيراً من العلماء والصحابة وغيرهم، فالمفروض انْ يكون شعره خصباً دسماً مليئاً بالاحداث التاريخية والسياسية وغيرها، ان مقولة نولدكه لم تصب الهدف ولم يدرس الوضع الذي عايشه الدؤلي من ولاء لامير المؤمنين، مخاصم لأعدائه، فقد ابعد عن كثير من رجال عصره، هذا من جهة لم يكن الدؤلي خَصَّصَ نفسه الىٰ الشعر وعزل ذهنه عن باقي جوانب الحياة، بل هو عالم محدث لغوي أديب قاض فارس وجمع بين شتات متباعدة، كل ذلك يضعف من قوته المتخصصة، فلو حدّد نفسه للشعر؛ فقد شاهدته كيف كان يرسم الشعر، ومن جانب آخر، عاش في فترة حدّد بها الرسول ﷺ الصحابة الشعراء من نظم الشعر وكتابته، خوفاً لاندماجه بالاحاديث والآيات، فهذه العوامل الظاهرية وهنالك عوامل باطنية كذلك اثّرت في نفس الدؤلي في الخوض اكثر من ذلك في الشعر، ومنها التزامه في النصوص القرآنية، الّتي تحدد قول الشاعر، ومنها انشغاله مع امير المؤمنين في حفظ الحديث وهموم المجتمع وغير ذلك؛ فابو الاسود في رأيي شاعر عالم لغوي محدِّث ولكن فصاحته وحديثه طغتا علىٰ شعره ومع هذا كله له من الحكمة والوصف والرثاء، قصائد رفيعة في الاسلوب والمعنىٰ.

والسؤال الذي يطرح نفسه، ماهو السبب في تاخير تحقيق ديوان الدؤلي الىٰ اكثر من اثني عشر قرناً؟ ولماذا لم يتعرّضْ الكتّاب والادباء الىٰ دراسته، مع انّه من العلماء البارزين في علم النحو؟

في فهمي القاصر، انَّ السبب الاول في اندثار هذه الشخصية وانطمارها في بطون الكتب، هو الميل السياسي للدؤلي، فقد اعرض عن ذكره كل الادباء والعلماء، حتىٰ ظهر لهذه الطائفة اقلام ادبية وتاريخية فاظهروا الدؤلي الىٰ اشعة الشمس وكشفوا للملأ عن ظلامته.

والسبب الآخر، هو تدخّل المستشرقين كبروكلمان وجرجي زيدان وغيرهما الذين اعربوا عن شعره بِانّه لاقيمة له وتركوا جوانبه الاخرىٰ الخصبة في حياته الاجتماعية في البصرة وفي حرب صفين والجمل والنهروان، ومقابلته مع معاوية وغيرها من المناقب

مثمرة وملؤها العقيدة والايمان بالولاء المطلق لامير المؤمنين عليه السلام، وهنالك سبب ميداني: كلّما قصر عمر الشاعر، يسهل للباحث والمحقق حصر اعماله واقواله وحياته، وكذلك يسهل عليه التمييز بين اقواله وافعاله وغيرها بالحصر، والعكس الذي حدث مع الدؤلي، الذي عاش ٨٥ عاماً من الحياة التي تبدأ ١٦ قبل الهجرة الىٰ ٦٩ بعد الهجرة، ترهق الباحث الكشف والتنقيب وبالتالي تزداد عليه الملابسات والاشكالات وغيرها، وذلك يعود لطول الفترة الزمنية من حياة الشاعر.

واخيراً اختم رحلتي الشاقة الصعبة التي ارهقتني لطول الفترة وقلة الزاد ولكنّها ممتعة وجميلة لانني تقرّبتُ الىٰ العليّ القدير، انْ اظهر للعيان نجماً من طلائع النجوم التي احاطت بقمر الشريعة الاسلامية الغراء عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كما يسعدني أنْ اقدم للادباء العلماء والخطباء، هذا النهل اليسير وابتهل به الىٰ اللّه سبحانه وتعالىٰ لكي يجعله لي ذُخراً يوم فقري وفاقتي.

انتهيت من رسم البحث، يوم السبت لعشرين، خلون من شهر شعبان الأغر لسنة ١٤٠٧ هـ.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

والحمد للّه ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ اشرف الانبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين الميامين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ . نهج البلاغة

حرف الهمزة

٢ . ابو الاسود الدؤلي، فتحي عبدالجهني، وكالة المطبوعات، الكويت..

٣ . اخبار النحويين البصريين، السيرافي (مخطوط على شرح الكتاب لسيبويه)، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٤ . الاخلاق عند الرسول واصحابه، عبدالصاحب الحسني، مؤسسة الاعلمي، بيروت.

٥ . ادب الحركات الاسلامية، بدير متولي حميد، دار المعرفة، القاهرة.

٦ . ادب السياسة في العصر الاموي، احمد محمد الحوفي، ط٥، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة.

٧ . ادب الشيعة الى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، عبدالحسيب طه حميده، ط١، مطبعة السعادة، مصر: ١٩٥٦م.

٨ . الادب في عصر النبوة والراشدين، صلاح الدين الهادي، مكتبة دار العلوم، القاهرة: ١٩٧٨م.

٩ . الاستيعاب، ابن عبدالبر.

١٠ . اسد الغابة في معرفة الصحابة، عزالدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري (ابن الاثير)، المطبعة الاسلامية، طهران.

١١ . الاسلام واصول الحكم، علي عبدالرزاق.

١٢ . الاشتقاق، ابن دريد، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة: ١٩٥٨م.

١٣ . الاصابة، ابن حجر العسقلاني.

١٤ . الصبغ البديعي في اللغة، احمد ابراهيم موسى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٦٩م.

١٥ . اصلاح المنطق، ابن السكيت.

١٦ . اصل الشيعة واصولها، الشيخ محمدحسين آل كاشف الغطاء، ط١٠، مطبوعات النجاح، القاهرة: ١٩٥٨م.

١٧ . اعيان الشيعة، السيد محسن الامين العاملي، مطبعة الانصاف، بيروت: ١٩٥٨م.

١٨ . الاغاني، ابي الفرج الاصفهاني (ج٢٠)، تحقيق: علي النجدي ناصيف (اشراف محمد ابوالفضل ابراهيم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٧٢م.

١٩ . امالي المرتضى، للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق: محمد ابوالفضل ابراهيم (القسم الاول)، ط١، دار احياء الكتب العربية: ١٩٥٤م.

٢٠ . الامام جعفر الصادق (رائد الشيعة والسنة)، عبدالقادر محمود، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والادب والعلوم الاجتماعية، القاهرة: ١٩٦٩م.

٢١ . اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، اغناطيوس فرايم.

٢٢ . إنباه الرواة، القفطي.

٢٣ . انساب الاشراف، احمدبن يحيى البلاذري، تحقيق: محمد حميدالله(ج١)، دار المعارف، القاهرة: ١٩٥٩م.

٢٤ . انوار الربيع، ابن معصومة.

٢٥ . الايدلوجيا الشيعية، رثاء الحسين، محمد كامل سليمان، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٨١م.

٢٦ . ايام العرب في الاسلام، محمد ابوالفضل.

حرف الباء

٢٧ . بغية الوعاة في طبقات النحاة، السيوطي.

٢٨ . بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زائد .

حرف التاء

٢٩ . تاريخ الأدب السرياني، مراد كامل .

٣٠ . تاريخ آداب العرب، الرافعي .

٣١ . تاريخ الآداب العربية في الجاهلية حتى عصر بني امية، كارل كالينو، دار المعارف، مصر : ١٩٧٠م .

٣٢ . تاريخ الادب العربي، احمد حسن الزيات، الطبعة الخامسة والعشرون، دار النهضة، القاهرة .

٣٣ . تاريخ الادب العربي، شوقي ضيف (ج٢، قسم العصر الاسلامي)، ط ٣، دار المعارف، القاهرة .

٣٤ . تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان (الترجمة العربية، ج١، ص١٣٥) .

٣٥ . تاريخ الاسلام السياسي، حسن ابراهيم حسن، ط٣، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٥٣م .

٣٦ . تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام، شمس الدين محمدبن احمدبن عثمان الذهبي (ج٢)، مكتبة المقدس، القاهرة: ١٣٦٨هـ .

٣٧ . تاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، احمد شبلي، ط٥، مكتبة النهضة العربية، القاهرة: ١٩٧٠م .

٣٨ . تاريخ التمدن الاسلامي، جرجي زيدان (ج٢)، مراجعة وتعليق: حسين مؤنس، دار الهلال، مصر .

٣٩ . تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجري، احمد الشايب، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٧٦م .

٤٠ . تاريخ الشيعة، محمدحسين المظفر، مطبعة الزهراء، النجف الاشرف: ١٣٥٢هـ .

٤١ . تاريخ اللغات السامية، اسرائيل لفنشون .

٤٢ . تاريخ الطبري، ابوجعفر محمدبن جرير (ج٢) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة: ١٩٦٣م .

٤٣ . تاريخ مختصر الدولة، العلامة غريغوريوس ابي الفرج (ابن العبري)، مطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعي، بيروت: ١٩٨٠م .

٤٤ . تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف، العراق.

٤٥ . تأسيس الشيعة، السيد حسن الصدر.

٤٦ . تحت راية الحق، الشيخ عبدالله السبيتي، مطبوعات النجاح، القاهرة: ١٩٧٨م.

٤٧ . التطور والتجديد في الشعر الاموي شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة: ١٩٧٧م.

٤٨ . التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، في القرن الاول الهجري، صالح العلي.

٤٩ . تهذيب الاسماء واللغات، محي الدين النوري، دمشق.

٥٠ . تهذيب تاريخ ابن عساكر، عبدالقادر بدران.

٥١ . تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني.

حرف الجيم

٥٢ . جمهرة انساب العرب، ابن حزم الاندلسي، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط ٣، دار المعارف، القاهرة: ١٩٧١م.

٥٣ . حركات التجديد في الشعر العربي، يوسف خليف، دار الثقافة للطباعة، القاهرة: ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦م.

حرف الحاء

٥٤ . حركات الحياة الادبية بين الجاهلية والاسلام، سعيد حسن منصور، دار المعارف، مصر: ١٩٧٦م.

٥٥ . الحرية عند العرب، ابراهيم حداد، دار الثقافة، بيروت: ١٩٦٢م.

٥٦ . حسان بن ثابت شاعر الرسول، سيد حنفي حسنين، المؤسسة العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر.

٥٧ . حضارة الاسلام، جوستاف جرونباوم، ترجمة: عبدالعزيز توفيق وعبدالحميد جاويد، مكتبة مصر، القاهرة.

٥٨ . الحضارة الاسلامية، خودابخشي (المؤرخ الهندي)، ترجمة وتعليق: علي حسن الخربوطلي، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٥٩ . الحضارة العربية، جاك. س. رسلر، ترجمة: غنيم عبدون، الدار المصرية للتاليف والترجمة.

٦٠ . الحضارة العربية، شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة: ١٩٦٧م.

٦١ . الحضارة العربية، محمد عبدالسلام الكفافي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

٦٢ . الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية الاثني عشرية، محمدحسين الاعظمي والهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر: ١٩٧٠م.

٦٣ . حياة الحيوان، الدميري.

٦٤ . حياة محمد(ص)، محمدحسين هيكل، ط١، مصر.

حرف الخاء

٦٥ . خزانة الأدب، عبدالقادر البغدادي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: ١٩٦٨م.

٦٦ . الخلافة، رشيد رضا.

حرف الدال

٦٧ . دائرة المعارف، القرن العشرين، محمد فريد وجدي.

٦٨ . دراسات في الأدب العربي، جوستاف جرونباوم، ترجمة عباس احسان، وأنيس فريحه.

٦٩ . دراسات في مصادر الادب، طاهر احمد مكي، دار المعارف، مصر: ١٩٧٦م.

٧٠ . دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث، بدوي طبانه، ط٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة: ١٩٦٠م.

٧١ . ديوان جرير، نعمان محمد امين طه، دار المعارف، مصر.

٧٢ . ديوان الدؤلي، الشيخ محمدحسن آل ياسين.

٧٣ . ديوان سحيم عبدبني الحسحاس، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر: ١٩٦٥م.

حرف الراء

٧٤ . رجال الطوسي، محمدبن الحسن الطوسي، مطبعة الحيدرية، النجف الاشرف.

٧٥ . رسالة الغفران، عائشة عبدالرحمن.

٧٦ . روضات الجنات، الخوانساري.

حرف السين

٧٧ . سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ابن نباتة المصري.

٧٨ . سفينة البحار، الشيخ عباس القمي.

٧٩ . السقيفة والخلافة، عبدالفتاح عبدالمقصود، مكتبة غريب، القاهرة.

٨٠ . سمط اللآلي ، للوزير ابو عبيد البكري الادبني .

٨١ . سيرة النبي (ص) تهذيب بن هشام ، ابن اسحاق .

حرف الشين

٨٢ . شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ابي فلاح الحنبلي .

٨٣ . شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد المعتزلي .

٨٤ . شعر ابي زبيد الطائي ، جمع وتحقيق : نوري حمودي القيس ، مطبعة المعارف ، بغداد : ١٩٦٧م .

٨٥ . شعر خفاف بن ندبة السلمي ، جمع وتحقيق : نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد : ١٩٦٨م .

٨٦ . الشعر العربي بين الجمود والتطور ، محمد عبدالعزيز كفراوي ، دار النهضة ، القاهرة .

٨٧ . الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، محمد مصطفى هدارة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

٨٨ . الشعر العربي المعاصر ، احمد الطاهر مكي ، دار المعارف ، مصر : ١٩٨٠م .

٨٩ . شعر عمرو بن احمر الباهلي ، جمع وتحقيق : حسين عطوان ، مطبعة دار الحياة ، دمشق .

٩٠ . شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ، نعمان القاضي ، القاهرة : ١٩٦٥م .

٩١ . شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ، يحيى الجبوري ، مكتبة النهضة ، بغداد : ١٩٦٤م .

٩٢ . شعر النمر بن تولب ، جمع : نوري حمودي القيس ، مطبعة المعارف ، بغداد : ١٩٦٩م .

٩٣ . الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة : ١٩٦٦م .

٩٤ . الشماخ بن ضرار الذبياني ، صلاح الدين الهادي ، دار المعارف : ١٩٦٨م .

٩٥ . الشيعة في التاريخ ، محمدحسين الزيني العاملي ، مطبعة العرفان ، صيدا : ١٩٣٨م .

٩٦ . الشيعة في الميزان ، الشيخ محمد جواد مغنية ، مطبعة دار الشروق ، بيروت : ١٩٧٩م .

٩٧ . الشيعة وفنون الاسلام ، السيد حسن الصدر ، مطبوعات النجاح ، القاهرة : ١٩٧٦م .

حرف الطاء

٩٨ . طبقات الزبيدي ، الزبيدي .

٩٩ . طبقات فحول الشعراء ، محمدبن سلام الجمحي ، طبعة ليدن : ١٩١٣م .

١٠٠ . طبقات القراء، ابن الجزري.

١٠١ . الطبقات الكبرى، ابن سعد، بيروت: ١٩٥٨م.

١٠٢ . طبقات النحويين، الزبيدي(مخطوط).

حرف العين

١٠٣ . عبدالقادر القط وقضية الشعر ، ابراهيم عبدالرحمن محمد، مكتبة الشباب، القاهرة: ١٩٧٧م.

١٠٤ . العرب في العصور القديمة، لطفي عبدالوهاب يحيى، دار النهضة العربية، بيروت: ١٩٦٣م.

١٠٥ . العقدالفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ج١)، القاهرة.

١٠٦ . علم اللغة، محمد السعران، دارالمعارف القاهرة، ١٩٦٢ق.

١٠٧ . عليّ وبنوه، طه حسين.

١٠٨ . عليّ ومناوئوه، نوري جعفر، مطبوعات النجاح بالقاهرة: ١٩٧٦م.

١٠٩ . العمدة، ابن رشيق القيرواني، دار المعارف القاهرة: ١٩٧٩م.

١١٠ . عيون الاخبار، ابن قتيبة.

حرف الغين

١١١ . الغاية والنهاية في طبقات القراء، ابن الجزري.

١١٢ . الغدير، السيد محسن الامين، طبعة بيروت: ١٣٧٢هـ.

١١٣ . الغزل في العصر الجاهلي، احمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة: ١٩٧٢م.

١١٤ . الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية، عبدالله السلوم السامرائي، مديرية الثقافة العامة، بغداد: ١٩٧٢م.

حرف الفاء

١١٥ . الفاروق عمر، محمدحسين هيكل.

١١٦ . الفاضل ابو العباس محمدبن يزيد المبرد، تحقيق: عبدالعزيز الميمني الراجكوني، مطبعة دار الكتب، القاهرة: ١٩٥٦م.

١١٧ . فجر الاسلام، احمد امين، مطبعة الاعتماد: ١٩٢٨م.

١١٨ . الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، نعمان القاضي.

١١٩ . الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد بدر، مطبعة المعارف، مصر: ١٩١٠م.

١٢٠ . الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، القاهرة: ١٩٦٩م.

١٢١ . الفكر العربي ومكانته في التاريخ، ديلاس اوليرى، ترجمة: تمام حسان، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة، القاهرة.

١٢٢ . في النقد الادبي عند العرب، محمد طاهر دروسيه.

حرف القاف

١٢٣ . قصة الحضارة، ويل دورانت.

١٢٤ . قصص العرب، محمد احمد جاد المولى ومحمد ابوالفضل ابراهيم.

١٢٥ . قضية الشعر، ابراهيم عبدالرحمن محمد.

١٢٦ . قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر، عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، القاهرة: ١٩٧٠م.

١٢٧ . القيم الروحية في الاسلام (دراسات في الاسلام)، احمد فؤاد الاهواني، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية: ١٩٦٢م.

حرف الكاف

١٢٨ . الكامل، ابن الاثير، طبع المطبعة الكبرى، مصر: ١٢٩٠هـ.

١٢٩ . الكامل، المبرد، طبعة لايبزك: ١٩٦٤م.

١٣٠ . الكتاب، سيبويه، طبعة اولى، مصر.

حرف اللام

١٣١ . لسان العرب، ابن منظور، طبعة بولاق.

حرف الميم

١٣٢ . محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار، الشيخ الاكبر محي الدين بن عربي، تحقيق: محمد

موسى الخولي، دار الكتاب الجديد، القاهرة: ١٩٧٢م.

١٣٣ . محمدٌ رسول الحرية، عبدالرحمن الشفراوي، طبعة اولى.

١٣٤ . مجلة كلية الآداب في جامعة القاهرة، مجلد العاشر الجزء الثاني، ص٤ـ٥ (مقالةالاستاذ ابراهيم مصطفى)، مطبعة الجامعة: ١٩٤٨م.

١٣٥ . المختار الثقفي مرآة العصر الاموي، علي حسين خربوطلي، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٣٦ . مختصر تاريخ الشيعة، احمد عارف الزين.

١٣٧ . مختصر تاريخ البصرة، علي الاعظمي.

١٣٨ . المدارس النحوية، شوقي ضيف.

١٣٩ . مراتب النحويين واللغويين، ابن الطيب اللغوي.

١٤٠ . المراجعات، السيد شرف الدين العاملي، مطبوعات النجاح القاهرة: ١٩٧٦م.

١٤١ . مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ، ابن الحسن الحسين بن علي المسعودي الشافعي، المطبعة البهية المصرية: ١٣٤٦هـ.

١٤٢ . المزهر في علوم اللغة وانواعها، جلال الدين السيوطي، شرح وضبط: محمد احمد جاد المولى وآخرين، دار احياء الكتب العربية، القاهرة.

١٤٣ . المسالك، الشهيد الثاني (ج٢، باب الوقف).

١٤٤ . معالم الحضارة الاسلامية، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٧٥م.

١٤٥ . معجم الادباء، للشيخ شهاب الدين عبدالله ياقوت الحموي، دار الصادر، بيروت.

١٤٦ . معجم البلدان، ياقوت الحموي، تصحيح: الشيخ احمد الشنقيطي، مطبعة القاهرة.

١٤٧ . معجم رجال الحديث، آية الله السيد ابوالقاسم الخوئي، الطبعة الاولى، بيروت.

١٤٨ . معجم الشعراء، المرزباني، مكتبة القدس، القاهرة: ١٣٥٤هـ.

١٤٩ . معرفة الرجال، الكشي.

١٥٠ . مقالات الاسلاميين واختلاف المسلمين، الامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري - محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة العربية، القاهرة: ١٩٦٩م.

١٥١ . المقدمة، ابن خلدون، مطبعة البهية المصرية، القاهرة.

١٥٢ . الملل والنحل، ابو الفتح محمدبن عبدالكريم ابن ابي بكر احمد الشهرستاني، تحقيق: الاستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، القاهرة.

١٥٣ . من بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد.

١٥٤ . من حديث الشعر والشعراء، طه حسين، دار المعارف، مصر: ١٩٥٧م.

١٥٥ . من لايحضره الفقيه، الشيخ الصدوق.

١٥٦ . المؤتلف والمختلف، الآمدي.

حرف النون

١٥٧ . النجوم الزاهرة، جمال الدين الاتابكي، مصر: ١٩٢٩م.

١٥٨ . نزهة الالباب، الانباري.

١٥٩ . نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، علي سامي النشاره.

١٦٠ . نظرية عامة في تاريخ الفقه الاسلامي، علي حسن عبدالقادر، مطبعة السعادة، مصر: ١٩٦٥م.

١٦١ . النظريات السياسية الاسلامية، محمدضياء الدين الرئيس، دار المعارف، القاهرة: ١٩٦٩م.

١٦٢ . نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي، عبدالحميد المسلموت، دار القلم، القاهرة.

١٦٣ . نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، القلقشندي، بغداد.

١٦٤ . النقد الادبي عند العرب، محمد طاهر دروسيه.

١٦٥ . نقد الادب العربي في الجاهلية الى نهاية القرن الثالث، بدوي طبانه.

١٦٦ . نقد التاريخ والمذاهب الادبية، طه، الاسكندرية: ١٩٥٣م.

حرف الهاء

١٦٧ . الهجاء والهجاؤن، محمد حسين، مكتبة دار الآداب، القاهرة.

حرف الواو

١٦٨ . وفيات الأعيان، ابن خلكان.

١٦٩ . وقعة صفين، نصر بن مزاحم، تحقيق: عبدالسلام هارون، مصر.